النساء في آي القرآن

د. ليلى حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

؛

﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾

لكل مسلمة موحدة .. ترجو ما عند الله تعالى ..
لتلك الروح الأنصارية القريبة التي ساندتني لإخراج هذا العمل
..

النساء في آي القرآن

الفهرس

المقدمة 7
قصص النساء في القرآن 11
القصص القرآني 15
المرأة في القصص القرآني 18
تقسيم قصص النساء في القرآن 24
خصائص قصص النساء في القرآن 27
أسلوب القصة في القرآن 32
قصص النساء القرآنية في سورة الفاتحة 39
قصص النساء القرآنية في سورة البقرة 43
قصص النساء القرآنية في سورة آل عمران 83
قصص النساء القرآنية في سورة النساء 130
قصص النساء القرآنية في سورة المائدة 141
قصص النساء القرآنية في سورة الأنعام 142
قصص النساء القرآنية في سورة الأعراف 148
قصص النساء القرآنية في سورة الأنفال 158
قصص النساء القرآنية في سورة التوبة 162
قصص النساء القرآنية في سورة يونس 168
قصص النساء القرآنية في سورة هود 171
قصص النساء القرآنية في سورة يوسف 193
قصص النساء القرآنية في سورة الرعد 226
قصص النساء القرآنية في سورة إبراهيم 229
قصص النساء القرآنية في سورة الحجر 241
قصص النساء القرآنية في سورة النحل 243
قصص النساء القرآنية في سورة الإسراء 252
قصص النساء القرآنية في سورة الكهف 257

قصص النساء القرآنية في سورة مريم 262
قصص النساء القرآنية في سورة طه 263
قصص النساء القرآنية في سورة الأنبياء..... 287
قصص النساء القرآنية في سورة الحج 288
قصص النساء القرآنية في سورة المؤمنون..... 292
قصص النساء القرآنية في سورة النور 294
قصص النساء القرآنية في سورة الشعراء 308
قصص النساء القرآنية في سورة النمل..... 310
قصص النساء القرآنية في سورة القصص 325
قصص النساء القرآنية في سورة العنكبوت..... 333
قصص النساء القرآنية في سورة الروم..... 335
قصص النساء القرآنية في سورة لقمان..... 338
قصص النساء القرآنية في سورة السجدة 340
قصص النساء القرآنية في سورة الأحزاب 342
قصص النساء القرآنية في سورة سبأ..... 354
قصص النساء القرآنية في سورة فاطر..... 357
قصص النساء القرآنية في سورة يس 360
قصص النساء القرآنية في سورة الصافات..... 362
قصص النساء القرآنية في سورة ص 364
قصص النساء القرآنية في "آل حم" 379
قصص النساء القرآنية في سورة محمد..... 383
قصص النساء القرآنية في سورة الفتح..... 385
قصص النساء القرآنية في سورة الحجرات..... 388
قصص النساء القرآنية في جزء الذاريات 390
قصص النساء القرآنية في جزء المجادلة (قد سمع) 390
قصص النساء القرآنية في جزء تبارك 406

قصص النساء القرآنية في جزء عم 413
زوجات النبي صلى الله عليه وسلم 428
فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم 460
بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم 460
النساء في القرآن..... 509
أحكام المرأة في القرآن..... 517
الخاتمة..... 537

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

لا يزال الرباط على القرآن تلاوة وتدبرًا ودراسةً من أهم أسباب صناعة قوة القلب والثبات على سبيل الاستقامة، سبيل المؤمنين العظيم، ولا يزل المصدرالأول لصناعة الوعي والفهم اللائقين بالمسلم والمسلمة، ولطالما رأيت الوقوف عند مواضيع القرآن بو ابة الفتوحات لكل طالب علم وكل باحث ومثابر.

ومع أن علماء الأمة لا ينفكون يوصون بالعناية بدراسة القرآن وتدبره، واستخلاص الفو ائد والمعاني الجليلة منه، والاستدلال بآياته وسوره، إلا أن الكمّ الكبيرمن الكتابات في هذا الشأن لم يجد له بعد معايشة و اقعية للقرآن في حياتنا، ولم يصل -لا يزال- إلى تطبيق عملي لهديه، بما يليق بأمة الإسلام في ساحات الجدّ وميادين الأثر، إلا النذر اليسيرممن استوعب معاني "لا إله إلا الله محمد رسول الله". لذلك يُعد الحثّ على الاستنباط من القرآن واستلهام المعاني والمفاهيم منه، وإحياء الارتباط الوثيق به، أولى مهمات المصلحين والدعاة، ويزداد هذا الإلحاح في زمن النوازل والخطوب والحرب على الإسلام.

واليوم، أكثرفئة مستهدفة بالتضليل والتفسيق والسلخ من الدين، هي فئة النساء، لما تمثله من حصن مصيري لصناعة الأجيال المؤمنة العاملة

لـدين ربهـا، المسـتجيبة لأمـر الله ومـا أوصـى بـه نبيهـا ﷺ، ولـذلك تمكّنـت النسـوية مـن تحقيـق خسـائر منـذرة في الصـف الإسـلامي، وقـد كتبـت الكثير مـن الأقـلام والمؤلفـات في النسـوية تعريفًـا وتفصـيلًا وتشخيصًـا وعلاجًـا، ولـم تقصّـر في تبيـان تفاصـيل الحـرب التي تسـتهدف نسـاء المسـلمين وأجيـالهم، إلا أنني أرى دائمـا أن هـذا المـرض يتطلـب علاجًـا عقـديًا وحصـانة عقديـةً، تترسـخ مبكـرًا في قلـب كـل فتـاة مسـلمة لتفـادي كـل انحـراف خطيروخسـارة مثخنة.

هـذا العـلاج وهـذه الحصـانة نسـتمدها مـن القـرآن والسـنة، مـن قصـص النسـاء في القـرآن الكـريم ومـن سـير النسـاء في حيـاة رسـول الله ﷺ وصحابته الكـرام رضـي الله عـنهم. مـن العـلاج بالمثـال والقـدوة! مـن هنـا جـاءت فكـرة هـذا الكتـاب، ألا وهي جمـع العبروالـدروس مـن قصـص النسـاء اللاتي ذكـرن في كتـاب الله تعـالى للمسـلمة في عصـرنا، ولا شـك أن ذكـرهن في القـرآن فيـه حكـم عظيمـة تسـتوجب الوقـوف عنـدها طـويلًا، لمـا في ذلـك مـن أبـواب العلم وأسباب الهداية.

وفي الو اقـع لـم يُقصّـر العديـد مـن الكتـاب والمـؤلفين في عـدّ النسـاء اللاتي ذكـرن في القـرآن لـذلك لـيس الهـدف مـن طرحي هنـا الخـروج بفكـرة مكـررة، وإعـادة نسـخ الأفكـار التي سـبقنا لهـا العـاملون إنمـا الهـدف تحديـدًا هـو الحـديث عـن النسـاء في القـرآن بمعايشـة مـا نعيشـه في و اقعنـا اليـوم، فالتحـدي الأكبرفي حيـاة المسـلمين، هـو فهـم القـرآن والاسـتعانة بـه لتجـاوز محـنهم في زمـانهم الجـاري والاتعـاظ مـن القصـص القر آني لتفـادي التجـارب الفاشلة ولتحصين الأمة من الأمراض المستعصية.

على عكس ما يروّج له المنافقون والليبراليون وكل مرجف ومنهزم من أن القرآن عهد قديم لا يناسب متطلبات عصر العلمانية ومواكبة الأفكار الغربية! وهو لا يختلف أبدًا عن أقوال المنافقين منذ عصر النبوة، فقد تكررت سخريتهم واستهانتهم بعظمة هذا القرآن حتى علمتهم سنن الله في الأرض كيف يكون ثمن هذا الكفروالنفاق المشين.

لقد جمع القرآن كل الأمثلة العظيمة والقصص المهيبة التي تتصل اتصالًا مباشرًا بحياة كل فرد وأمة مسلمة، في كل زمان ومكان، وهو ما نحاول التعرف عليه في هذه الصفحات والسطور، وقد تعمدت الاختصار بدون الإخلال بالمعاني، كي تسهل قراءته، في زمن غلبت عليه القراءات السريعة وقلة الصبروالحلم، وكلي رجاء من الله ﷻ أن يلهمنا التوفيق والسداد في القول والعمل وتقديم أثر صالح ينفع.

قصص النساء في القرآن

عدّ الباحثون في كتاب الله العظيم ما يقدر بثمانٍ وعشرين قصة من قصص النساء في القرآن، وإن كنت في هذا الكتاب أعد أكثر من ذلك، وقد ذكرت النساء في الكثير من آيات الأحكام والشرائع، وهذا يدل على مكانة المرأة في الإسلام، وأهمية دورها ووظيفتها، كركن ركين في بنيان الأسرة والأمة المسلمة.

وقد خطّ العديد من المؤلفين والباحثين كتبًا ودراسات عن قصص النساء في القرآن، لاستخراج الفوائد والعبر منها، وأولى بعضهم اهتمامًا بالغًا بالجانب التربوي والأخلاقي في تربية المرأة من خلال هذه القصص، وأولى آخرون عناية بعلاقة الآباء والأبناء، واستند أغلبهم على سرد تفسيرات العلماء للآيات التي تناولت قصص النساء وعلى السير والآثار من السلف الصالح التي تتصل بها. وتمكّن المؤلفون من استخلاص الكثير عن الدور القيميّ لهذه القصص ودور الأسرة في التربية الخُلقية للبنات.

ولا أخال المكتبة الإسلامية ينقصها هذا النوع من الكتب الذي يتناول التربية الخُلقية للفتاة، من خلال القصص القرآني، لكنني في هذا الطرح، وإن كنت لا أخرج عن هدف من سبق من مؤلفين وكتّاب، لا أزال أسعى من خلال خطّ الحروف وسبك المعاني إلى تحقيق العبودية لله عز وجل، والمساعدة في صياغة شخصية مسلمة متوازنة وقادرة على تحمل

أمانة الإسلام، وتوجيه الطاقات وتربيتها نحو أفضل انسجام وتكامل لتحقيق غاية الإنسان في الأرض، وهي إعلاء كلمة الله ﷻ و إقامة بنيان الإسلام والحكم بشريعته لا نقبل بديلًا عنها مع الأخذ بعين الاعتبار نوازل العصر ومستجدات المكر والكيد لأمة الإسلام.

وأروم النزول لو اقع النساء في زماننا مع كل ما يتربص بهن من أخطار ويتخلله من شبهات ويتوعدهن من تهديدات بأسلوب سهل قريب من جميع مستويات النساء التعليمية، لعل وعسى نحسن التشخيص وبالتالي العلاج.

ولا أفضل من تشخيص ينطلق من القرآن عقيدةً ومنهجًا ويصل لعلاج بالقرآن هديًا وشفاءً.

قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (6)﴾ (سورة الفرقان)،

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "أنزل القرآن مشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخبارًا حقًا صدقًا مطابقًا للو اقع في الخارج ماضيًا ومستقبلًا".

وهذه الأخبار وهذه القصص هي التي تصنع الفهم السليم لحقيقة التوحيد والاستقامة، كما يأمر بها الله ﷻ، هي التي تسهّل فهم سنن الله في الأرض وتساعد في استقراء مستقبل الفرد والأمة، فإن الله جعل لهذا الكون قو انين يسير وفقها، من أحسن أحسن لنفسه ومن أساء فعليها!

ومما أجد نافعًا نقله في هذا المقام، كلمات للشيخ محمد صالح المنجد – حفظه الله – في مقال له بعنوان "عبر من قصص النساء في القرآن"، قال فيه حفظه الله:"وما يتطلبه الو اقع الإسلامي اليوم من المسلمين رجالًا ونساءً أن يكونوا على مستوى الأحداث، وأن يكونوا على مستوى الو اقع الذي نحيا فيه، هذا الو اقع الذي يعيش فيه المسلمون غربتهم الثانية وهم ينتظرون فرج الله عزوجل بعودة الحياة الإسلامية إلى بلاد المسلمين، هذه العودة التي تتطلب جهودًا كبيرة وسعيًا حثيثًا سيسألنا الله عزوجل عنه يوم القيامة، سيسألنا عن هذا الكتاب، وسيسألنا عن هذا النبي، وسيسألنا عن هذا الدين ماذا عملنا من أجله؟ وماذا ضحينا في سبيله؟ وهل سعينا لنصرته و إقامة هذا الشرع المطهر؟

ولأجل ذلك صار الو اقع يتطلب أن تقوم المرأة المسلمة بمجهود كبير في مواجهة هذه الحياة من القيام بالواجبات .. إحياء الشريعة .. الالتزام بإحكام الدين .. مواجهة الانحر افات المتفشية، خصوصًا وأن المرأة المسلمة و اقعها صار مخترقًا من كثير من أعداء الدين في قضايا الحجاب والفواحش وضياع الأوقات، وكثير من المعاصي التي حصلت ممن انحرفن من الكثيرات من المسلمات عن شرع الله.

والآن تشهد الساحة الإسلامية ولله الحمد عودة مباركة طيبة إلى هذا الدين؛ لم تقتصر على مجال الرجال أبدًا، بل إن العودة في مجال النساء قد تفوق في بعض المو اقع الرجال ولله الحمد والمنة، ولا بد في هذه الصحوة من تقديم المنهج الصحيح للمرأة المسلمة حتى تسير عليه ويبين للمرأة المسلمة ما هو المطلوب منها في هذا الوقت.

وشخصية المرأة المسلمة من الأمور المهمة التي يجب تكوينها، وعند تكوين شخصية المرأة المسلمة لا بد من الرجوع في هذا التكوين إلى المراجع الأصيلة، وعلى رأس هذه المراجع -ولا شك- كتاب الله عزوجل، ومن هذا المنطلق سنتكلم في هذه الليلة في حديث عن المرأة في القرآن الكريم.

لقد وردت أيتها الأخوات الكريمات سيرة المرأة في القرآن الكريم في عدة مواضع دالة على ما أولاه هذا الدين لهذه المرأة وعلى ما أعطاها من الرعاية والاهتمام البالغين".

القصص القرآني

يعرض لنا القرآن القصص بطرق متعددة وأشكال مختلفة، بحسب الهدف منها وطبيعة القضية التي يعالجها، وهو من إعجاز القصص القرآني.

وتختلف القصص في القرآن من حيث زمن وقوعها وحجم تفاصيلها وطبيعة شخصياتها، فنجد في القرآن قصصًا تاريخية، تعرض لنا أحوال الأمم السابقة وقصص واقعية تنقل لنا وقائع حدثت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، لنتعلم منها الدروس الجليلة من واقع بشريّ بحت، وقصص غيبية، لما لا يصل له العقل البشري في واقعه، كمشاهد الآخرة، وقصة خلق آدم عليه السلام وغيره.

ثم القصص التي يعرضها القرآن لضرب المثل وتقريب الصورة، كقصة صاحب الجنتين في سورة الكهف وأصحاب الجنة في سورة القلم. يسردها القرآن بحسب العبرة والغاية منها، فتأتي طويلة أو قصيرة أو متوسطة. وقد تكون القصص خاصة بالأنبياء و أقوامهم أو تكون خاصة بقصص أفراد وطوائف، كقصة مريم ولقمان والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وغيره. و أيضا قصص غير البشر كقصص الملائكة والجن والطير.

تجتمع جميع القصص القرآنية في هدف أول هو تثبيت عقيدة التوحيد، وحقيقة أن القرآن منزّل من عند الله تعالى ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

غَيْـرُهُ﴾ (هـود: 84) وتقـدم الـدروس والعبـر والمـواعظ، وهـو أصـل التربيـة بخلاصـات التجـارب، قـال تعـالى ﴿وَإِنْ يُكَـذِّبُوكَ فَقَـدْ كَـذَّبَتْ قَـبْلَهُمْ قَـوْمُ نُـوحٍ وَعَـادٌ وَثَمُـودُ (42) وَقَـوْمُ إِبْـرَاهِيمَ وَقَـوْمُ لُـوطٍ (43) وَأَصْـحَابُ مَـدْيَنَ وَكُـذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْـتُ لِلْكَافِرِينَ ثُـمَّ أَخَـذْتُهُمْ فَكَيْـفَ كَـانَ نَكِيرِ(44) فَكَـأَيِّنْ مِـنْ قَرْيَـةٍ أَهْلَكْنَاهَـا وَهِـيَ ظَالِمَـةٌ فَهِـيَ خَاوِيَـةٌ عَلَى عُرُوشِـهَا وَبِئْـرٍ مُعَطَّلَـةٍ وَقَصْـرٍ مَشِـيدٍ (45) أَفَلَـمْ يَسِـيرُوا فِـي الأَرْضِ فَتَكُـونَ لَهُـمْ قُلُـوبٌ يَعْقِلُـونَ بِهَـا أَوْ آذَانٌ يَسْـمَعُونَ بِهَـا فَإِنَّهَـا لا تَعْمَى الأَبْصَـارُ وَلَكِـنْ تَعْمَى الْقُلُـوبُ الَّتِي فِي الصُّـدُورِ (46)﴾ (الحج : 42-46).

ثـم تقريـر عقيـدة الإسـلام وشـرائعه، وتأييـد النبـي ﷺ وتثبيـت فـؤاده والصـحابة رضـي الله عـنهم بـل وكـل مؤمنـة ومؤمنـة مـن الـذين اتبعـوهم بإحسان إلى يوم الدين.

قـال تعـالى ﴿ وَكُـلًّا نَّقُـصُّ عَلَيْـكَ مِـنْ أَنبَـاءِ الرُّسُـلِ مَـا نُثَبِّـتُ بِـهِ فُـؤَادَكَ ۚ وَجَـاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: 120)

ثـم بيـان أوجـه الإعجـاز القرآني، وإرسـاء الأخـلاق الإسـلامية وأصـولها وتربيـة المسلم على قيم الإسلام الجليلة.

ويكفيـك مـن كـل ذلـك أن القصـص القرآنـي ربـانيّ! إنـه كـلام الله ﷻ، حـق وصـدق وشـفاء وعـلاج و انتقـاء بصـير حكـيم، علـيم خبيـر بعبـاده، إنـه قصـص تربـوي، سـامي الآداب، قـد اجتمعـت فيـه مـن الخصـائص مـا يسـتحيل أن تجتمع في قصص غيره.

ومع أن القرآن نزل على نبي الله ﷺ منذ 14 قرن إلا أنه يعالج جميع قضايا الفرد والأمة بالعناية بالأصول الثابتة وطبيعة النفس البشرية، ولذلك جاء القصص القرآني مناسبًا لكل عصروزمان ومكان، ولذلك أيضا نجد أن عنصر البيئة الزمنية والمكانية قليل الظهورفي القصة القرآنية، ويحدد ظهوره مقدارتحقيقه لأغراض القصة.

إن القصة القرآنية تحمل دورًا عظيمًا في التربية العقدية والأخلاقية والتشريعية والعقلية والتربوية الجسمية، فهي بالفعل دليل عظيم لمسيرة على نورمن الله ﷻ.

المرأة في القصص القرآني

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئًا، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن – بذلك – علينا حقًا، من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا". رواه البخاري.

لقد رفع الإسلام المرأة من مرتبة لا شيء! إلى مرتبة أمة لله أوجبت عليها عبادته ﷻ والقيام بفروضها التي تؤجر عليها وترتقي بها في مراتب الجنة، وحفظ لها في الأثناء حقوقها وصانها في أسرتها ومجتمعها بما يجعل الرجل مسؤولًا عن صيانتها وحفظها وتوفير العيش الكريم لها وهو ما يتفق مع فطرتها وخصائصها النفسية والخَلقية.

لقد جاءت الآيات لتحدد مفاهيم حقيقة المرأة في هذا الوجود قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء :1)

وبيّنت الآيات أن المرأة مكلّفة مثلها مثل الرجل، فقال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل :97).

ونجد في السيرة هذه المرأة أول من يستشهد في سبيل الله تعالى ومع أول من يهاجر ويبايع، وتنفق وتخدم دين الله بما يناسب فطرتها الأنثوية ولا يعرضها لما يخدشها .. وتلقى من ذلك الأجر العظيم.

لقد حارب الإسلام الظلم للمرأة وإهانتها ووأدها الذي كان متفشيًّا في الجاهلية، قال تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: 58-59).

وأمر الإسلام بالإحسان للمرأة واحتواء طبيعتها الأنثوية، أُمًّا، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف : 15)

وزوجةً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 19).

و ابنةً ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ﴾ (النساء: 11).

ونزل القرآن بأحكام تشريعية في حالة الظهار، والله ﷻ يسمع امرأة من فوق سبع سماوات، قال تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: 1).

ونصرها الله تعالى في حالة الإفك، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: 23).

وحدد الطلاق بطلقتين والثالثة لا تحل للزوج بعدها إلا إذا نكحت زوجًا غيره، لكون الرجل في الجاهلية كان يكثر الطلاق ويعود وقت ما شاء، كما جعل لها حق الخلع وحذّر من الظلم وتعدي حدود الله عند الانفصال، فقال تعالى ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة :229).

ومنع إمساكها ضرارًا للنيل منها أو الاعتداء عليها، فقال تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 231).

وبيّنت الآيات كيف تَربّى النساء بمراعاة فطرتهن الأنثوية، قال تعالى ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف: 18)

وأشارت الآيات لقوة عاطفتها، قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (القصص : 9-11).

وحرص الله عزوجل على حفظ مشاعرها من الحزن، قال تعالى ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ (القصص: 7) وقال سبحانه ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص: 10) وقال ﷻ ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (القصص: 13)

ونبّه سبحانه وتعالى إلى صفة الضعف فيها فأثابها عليها طاعة موجبة، وصيانةً وحفظًا ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان : 14). وقال تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ﴾ (آل عمران: 36).

فالمرأة أمة لله، مكلّفة حرّة، لها حقوق وعليها واجبات، بمراعاة فطرة المرأة وطبيعتها الأنثوية ودورها في الحياة، لحفظ الأسرة والأمة، ومن تجاوز ذلك أو حاول مساواتها بالرجل، فقد ظلمها ظلمًا عظيمًا وكان عدوًّا لها قبل أيّ عدوّ آخر لها.

قال الله ﷻ ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: 7).

وهذه الآية مفتاح لكل تنازع يثيره البعض بين الرجل والمرأة، فقد خصّ الله عزوجل كل واحد منهما بحقوقه وواجباته وجعل أدوارهما متكاملة، لا متنازعة أو متحاربة! وهذه الآية الجليلة، نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري، توفي وترك امرأة يقال لها: أم كجّة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه: سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئًا، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير، وإن كان الصغير ذكرًا، و إنما كانوا يورثون الرجال، ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة، فجاءت أم كجة فقالت: يا رسول الله، إن أوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات و أنا امرأته، وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالا حسنًا، وهو عند سويد وعرفجة، ولم يعطياني ولا بناته شيئًا، وهن في حجري، لا يطعمن ولا يسقين، فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلًّا ولا ينكي عدوّا، فأنزل الله عزوجل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾، يعني: للذكور من أولاد الميّت و أقربائه ﴿نَصِيبٌ﴾ حظّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ من الميراث، ﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾ وللإناث منهم ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾، أي: من المال، ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ منه ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، نصب على القطع، وقيل: جعل ذلك نصيبًا فأثبت لهن الميراث، ولم يبيّن كم هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة: (لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئًا؛ فإن الله تعالى جعل لبناته نصيبًا مما ترك، ولم يبيّن كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن)، فأنزل الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾ (النساء: 11). فلما نزلت أرسل رسول الله إلى سويد وعرفجة: أن ادفعا إلى أم كجة

الثمن مما ترك وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال". كما ورد في كتب التفسير.

وهذه الآيات الجليلة ترسخ مفهوما مصيريًا يجب أن تعيه العقول، فلا تتمنى المرأة خصائص الرجال وحقوقهم وواجباتهم، ولا يتمنى الرجل خصائص النساء وحقوقهن وواجباتهن، لأن الله تعالى قضى بأن يكون لكلّ منهما حقوقه، وعليه واجباته، في تكامل وتو افق بين الرجل والمرأة لا يُفسده إلا التنازع، الذي تدعوله الدعوات الغربية المحاربة.

والله عزوجل يعطي الحقوق بحسب الاستحقاق، ويوزع الواجبات بحسب القدرة. فهو ﷻ يحكم بمقتضى العدل والحكمة، ليس المساواة المطلقة التي إن وقعت وقع معها الظلم للمرأة والبخس لأنوثتها؛ وكذلك الظلم للرجل والبخس لرجولته، لأن المساواة لا تكون عدلا إلا إذا كانت بين متماثلين، والذكروالأنثى مختلفين، باختلاف طبيعة كل واحد منهما وباختلاف الالتزامات المنوطة بكل منهما فطرة وشرعًا.

وبهذا نخرج بخلاصة هي أساس في كل بناء: لكل من الرجل والمرأة خصوصيته وفضل الله عليه الذي خصّه به، فاسألوا الله من فضله العظيم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46).

تقسيم قصص النساء في القرآن

يرى بعض الباحثين أن قصص النساء في القرآن هي كل قصة قرآنية كانت المرأة إحدى شخصياتها[1].

واختلف الباحثون في طريقة تقسيم قصص النساء في القرآن، فبعضهم قسمها بحسب القرابة أو المكانة الاجتماعية مقتصرًا الحديث على النساء اللاتي نزل القرآن قاصدًا لذكر قصصهن: فكان التقسيم كالآتي:

أولًا: قصص القريبات من النساء وتشمل: قصص الأمهات وقصص الزوجات.

ثانيًا: قصص متفرقة في النساء وتشمل قصص ذوات الجاه والسلطان وقصص المستضعفات وقصة المرأة الحمقاء.

لكنه تقسيم يصنع خلطًا، فبعض القصص يمكن أن تكون في عدة أبواب، واختيار الباحث محض اجتهاد، قد يضيع معه الكثير من المعاني الجليلة للقصة، فحين يصنف قصة المجادلة في قصص الزوجات تجده لا يضع امرأة العزيزة وامرأة فرعون وامرأة أبي لهب في هذا القسم!

وذهب آخرون إلى تصنيف النساء بحسب العصر، فجاء تقسيمها بحسب المرأة في عصر آدم إلى عصر محمد عليهما الصلاة والسلام كما يلي:

المرأة في قصة يوسف عليه السلام.

---

[1] كتاب النساء في القرآن (ص 114)

المرأة في قصة موسى عليه السلام.

المرأة في قصة سليمان عليه السلام.

المرأة في قصة عيسى عليه السلام.

المرأة في عصر محمد ﷺ.

وليس بعيدًا عن هذا التقسيم هناك من جعله أكثر تخصصًا فذكر النساء بحسب التسلسل الزمني. فكان كما يلي:

أولًا: قصص النساء في القرآن من حيث زمن الوقوع:

1- القصص التاريخية، كقصة حواء وسارة ومريم.
2- القصص الو اقعية، وهي قصص نساء من عهد النبي صلى الله عليه وسلم كعائشة وزينب والمجادلة وامرأة أبي لهب.
3- القصص التمثيلية كقصة المرأة الحمقاء وامرأة نوح ولوط.

ثانيا: قصص النساء في القرآن من حيث حجم القصة:

1- القصة الطويلة: وتتمثل في قصة مريم عليها السلام.
2- القصة المتوسطة: كقصة امرأة العزيزوزوجة موسى وملكة سبأ.
3- القصة القصيرة: وجميع قصص النساء في القرآن تعتبر من هذا النوع القصيركقصة امرأة إبراهيم وأم موسى وأخته وكذا امرأة أبي لهب.

وتنوعت طرق تقسيم قصص النساء في القرآن وجميعها تسعى لجمع العبروالحكم والفوائد والخلاصات العقدية والتربوية من كل قصة.

خصائص قصص النساء في القرآن

يأتي ظهور المرأة في القصة القرآنية دائمًا ثانويًا ضمن قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهي لا تأخذ دورًا أوليًا في أي قصة قرآنية.

ثم إن ظهورها لم يكن في جميع القصص القرآني، فالمرأة في القصة القرآنية ليست مقصودة لذاتها، بحيث تكون محورًا تدور حولها أحداث القصة، أو تستجلب استجلابًا لتؤدي دور التشويق والاستثارة، إنما تأتي في القصة القرآنية إن كان هناك ثمّة فائدة من وجودها وتحقق غرضًا من أغراضها ولهذا خلا كثير من القصص القرآني من المرأة كقصة أصحاب الكهف وقصة العبد الصالح وموسى وقصة ذي القرنين.

وفي ذلك التقدير والتكريم لهذه المرأة، ففي زماننا يأتي ذكر المرأة كوسيلة للترويج البائس والخسيس كما يظهر في الإعلام.

يقول نجيب الكيلاني واصفًا وضع المرأة في العمل الأدبي الحديث:

"إذا برزت المرأة في عمل أدبي، انصرف الذهن مباشرة إلى غريزة الجنس وإلى الحب بمعناه المحدود، وإلى العواطف المشتعلة والانغماس في اللذة البهيمية، وما يتبع ذلك من تصورات و انفعالات. ولقد تمادت الآداب العالمية في إبراز هذا الجانب الجنسي وركزت عليه، حتى أصبح أمرًا يكاد يكون مألوفًا لا يثير الدهشة أو الغرابة أو الاشمئزاز، وعزفت السينما أيضًا في هذا البحر الهائج من الإثارة والإغراء، وأصبحت هناك سينما

ومجلات ونجوم تخصصوا في هذا اللون من الفن الساقط، ووجد ذلك قبولًا لدى المراهقين والمنحلين وتجار الرقيق الأبيض، أصبح الجنس سلعة رائجة في سوق الفنون الحديثة، و انتقل الوباء إلى أمم الشرق الإسلامي وفعل فعله في إتلاف القيم والأخلاق وسمّم العواطف والأفكار، ودفع الأدب – بالنسبة لعلماء الدين والأخلاقيين والمصلحين – بالفساد والرذيلة".[1]

ولنترفع عن هذا المستوى المنحط في تناول المرأة ونرجع لسمو القصص القرآنية عن النساء التي كان من خصائصها، التنوع في الشخصية والموضوع، فتذكر المرأة في نماذج متعددة ومتنوعة، نماذج لها في شتى أدوار الحياة، وفي شتى أحوالها، وفي شتى العصور، كل ذلك محكوم بالغرض والدور الذي جاءت لأجله القصة.

لقد ورد ذكر المرأة في مقام البنت والأخت والأم والزوجة والمرأة والأنثى والفتاة والمؤمنة والمسلمة، والزوجة الوفيّة، والناصرة لزوجها، والمرأة الصابرة والمرأة السيّدة في قومها وذات النفوذ، والمرأة العاقلة والذكيّة، بل وحتى الظالمة والمنافقة والمشركة والمعتدية والمرأة التي تحكمها النزوات والأهواء، والزوجة الخائنة، والحمقاء، وغيره، ورافق التنوع الكبير في شخصيات النساء في القرآن تنوع آخر في موضوعات هذه القصص.

[1] نجيب الكيلاني – مدخل إلى الأدب الإسلامي ص 107.

ونجد المواضيع يغلب عليها ظهور أخلاقيات المرأة وصفاتها الفطرية كما تظهر المرأة في المواضيع التي تهتم بإبراز النواحي العقدية، والشرعية، والسياسية والأسرية، وغيرها.

يقول خلف الله محمد أحمد تحت عنوان "بين قصص النساء والرجال في القرآن الكريم"[1]:

"شخصيات الرجال والنساء في القرآن الكريم تتفق في أمور وتختلف في أخر، فمن حيث الاختلاف يلاحظ أن المرأة في القصة القرآنية، لم تأخذ دورًا رئيسًا في أي قصة من قصص النساء في القرآن، فأدوار المرأة دائمًا أدوار ثانوية حتى مع مريم وحواء، كما يظهر فرق كبير بين قصص الرجال وقصص النساء في القرآن الكريم، في جانب بروز الشخصية والأدوار التي تمثلها. فبينما يغلب ظهور شخصيات الرجال في القصة القرآنية في جانب النبوة والرسالة والصراع بين الإيمان والكفر، والجوانب الدنيوية، يغلب ظهور شخصية المرأة في الجوانب العاطفية وفي الانفعالات الأنثوية، من حب وكيد وغيرة وحياء وغيرها. لذلك من الملاحظ أن شخصية المرأة وطباعها وخصائصها النفسية أكثر وضوحًا من شخصية الرجل".

لذلك فإن من يتدبر القصص القرآني للنساء تتجلى له بوضوح خصائص الأنثى، وصفاتها الخَلقية والنفسية والفطرية، فضلا عن الأحكام التي تخصها وتتعلق بها. قال الله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ (آل عمران: 36).

---

[1] الفن القصصي في القرآن الكريم (ص 285)

ويأتي حضور المرأة في القصص القرآني ليسلط الضوء على أهمية الأسرة في التربية الإسلامية، فهي مؤسسة تقوم على تكامل أدوار الرجل والمرأة، لا التنافس والندية بينهما كما يحاول أن يثير دعاة النسوية والانتكاس والهدم، أعداء الفطرة والدين والأمة، وليس غريبًا استهداف مؤسسة الأسرة من هؤلاء الظالمين، للدور الحيوي العظيم التي تقوم به، وهو دور مرتبط بجميع المؤسسات التربوية في المجتمع، بل تمثل الأسرة القاعدة التي تقوم عليها جميع مشاريع المجتمع ومؤسساته ومنظوماته. وفسادها فساد لحاضر ومستقبل كل أمة.

إننا نجد من خلال القصص القرآني تلك العلاقة الوطيدة بين الأم وطفلها، فهي حضنه الأول ومدرسته الأولى، ومنها يكتسب لغته وقيمه وعاداته الاجتماعية وأهدافه المستقبلية. وبحسبما تكون عقيدة الأسرة ينشأ الطفل. ما يجعل من دور الأم أهمّ المهن على الإطلاق وله يجب أن تسخّر الأسباب والعوامل لتقوم به على أكمل وجه.

فالأسرة هي المصنع الأول للطاقات البشرية وللهمم إذا صلحت وقامت بواجباتها بإخلاص، صلح المجتمع وصلحت الأمة وكان العطاء مهيبًا. و إنما قوة الأمم الدينية والأخلاقية والتربوية بقوة أداء الأسرة فيها. لذلك أضحت هذه الأسرة في مرمى أهداف أعداء الإسلام ولذلك أيضا استوجبت تحصينًا ودفاعات تليق بدورها المهيب في رد العدو الصائل وتحقيق الانبعاث الواعد. وإن نجاحنا في حفظ سلامة الأسرة المسلمة، نصر محقق!

ولكنه نصر لا يتحقق بدون انتصار المرأة في معركة كينونتها ضد كل الدعوات الغربية المحاربة وإغراءات سلطة الثقافة الغالبة المحاربة! لتعرف نفسها أمة لله موحدة.

أسلوب القصة في القرآن

يشمل أسلوب القصة في القرآن، أسلوب القدوة، والوعظ والنصح، والحوار والمناقشة، والترغيب والترهيب، والممارسة العملية، وأسلوب التربية بالأحداث.

وتهدف القصة في القرآن حين تتناول المرأة إلى تربية الفتاة على قيم الدين والخلق الجليلة، من الطاعة وحسن الاتباع والأمانة والصدق والحياء والعفة والكرم والوفاء والمحبة والشجاعة في الحق وعلى التعاون والمشورة وعلى الصبر واليقين.

وهذا يعني أن المرأة تخرج بذخائر عقدية وخلقية وعلمية زاخرة من خلال تدبر آيات الله تعالى تقوي قلبها وتعالج مشاكلها وتوجه مسيرتها وتحقق اتزانها وطموحاتها التي خُلقت لها.

وفي الو اقع من الصعب إيفاء الأسلوب القر آني حقه في الوصف والثناء، فإن فيه تأثيرًا عظيمًا متفرّدًا في النفوس بحسب إيمانها وصدق إقبالها، لا ينال بركته مثل المخلص لله تعالى المعظمّ لربه والمقدّره تعالى حق قدره، فهناك تطرق المعاني القلب طرقًا لا يُبارى! فينتفض عزيمةً وهمّةً وعملًا، وهو سرّ من أسرار الفتوحات الربانية، يجب أن تر ابط على بو ابته المؤمنة حتى يفتح الله عليها، فإن فتح فذلك هو الفوز العظيم! وهو ما يستوجب التنافس فيه لا الوظيفة والر اتب ومتاع الدنيا قليل!

قال ابن تيمية رحمه الله:" فإن هدايته لخلقه وإرشاده لهم هو بحسب حاجتهم إلى ذلك وبحسب قبولهم الهدى وطلبهم له قصدا وعملا"[1].

وقال رحمه الله:"معاني القرآن لا تذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين".[2]

وفي ذلك مفتاح من مفاتيح التوفيق والسداد للمؤمنة!

[1] درء تعارض العقل والنقل ج.3 صـ 162

[2] فتاوى ابن تيمية 254/13

قصص النساء في القرآن بحسب ترتيب السور في المصحف

لقد اخترت هذه المنهجية – من عرض قصص النساء في القرآن بحسب ترتيب السورفي المصحف- بعد الاطلاع على العديد من المؤلفات التي قسمت القصص القرآنية الخاصة بالنساء بناء على المواضيع التي تتناولها أو حال المرأة التي تذكرها القصة القرآنية، لكنني رأيت في التدبر مع كل ختمة معاني جليلة تبقى مرتبطة مع الجو العام للسورة، ورأيت ضرورة ربط المسلمة بالقرآن ربطًا وثيقًا، يربها على التدبر المتصل بمقاصد كل سورة من سور القرآن العظيم.

لذلك سنبدأ رحلتنا بعرض قصص النساء في القرآن بترتيب السور القرآنية، بحيث نذكر تفاصيل القصة الكاملة في أول ما وردت في كتاب الله تعالى ونشير لبقية المواضع التي ذكرت فيها أيضا، لنحاول الاستفادة منها في و اقعنا بكل تعقيداته وما أحدثه الناس من فوضى، نسأل الله أن يعيننا على حسن الإبانة والوصف، وتقديم حجة لنا لا علينا.

وقد خرجت من ذلك بهذه القائمة لقصص النساء في القرآن:

1. قصة حواء امرأة آدم عليهما السلام.
2. قصة نساء بني إسرائيل.
3. قصة امرأة عمران.

4. قصة مريم عليها السلام.
5. قصة امرأة زكريا عليه السلام.
6. قصة النساء المستضعفات في مكة.
7. قصة امرأة لوط عليه السلام.
8. قصة بنات لوط عليه السلام.
9. قصة امرأة نوح عليه السلام.
10. قصة سارة امرأة إبراهيم عليه السلام.
11. قصة امرأة العزيز.
12. قصة النسوة.
13. قصة أم يوسف عليه السلام.
14. قصة هاجر امرأة إبراهيم عليه السلام.
15. قصة وأد البنات.
16. قصة المرأة الحمقاء.
17. قصة أم الغلام الكافر.
18. قصة أم موسى عليه السلام.
19. قصة أخت موسى عليه السلام.
20. قصة امرأة موسى عليه السلام.
21. قصة آسية امرأة فرعون.
22. قصة عائشة أم المؤمنين ﵂.
23. قصة ملكة سبأ.
24. قصة ابنتي صالح مدين.

25. قصة زينب أم المؤمنين ﵂.
26. قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ.
27. قصة امرأة أيوب عليه السلام.
28. قصة أم الكافر العاق.
29. قصة المجادلة.
30. قصة عائشة وحفصة، ﵄.
31. قصة النساء المؤمنات من أصحاب الأخدود.
32. قصة امرأة أبي لهب.
33. زوجات النبي ﷺ.
34. فاطمة ابنة النبي ﷺ.
35. بنات النبي ﷺ.

وهكذا رصدت 32 قصة من قصص النساء في القرآن العظيم، وأضفت لها قسمًا خاصًا بزوجات النبي ﷺ وقسمًا آخر لبناته ﷺ، والله الموفق.

جدول (١)

سور وآيات قصص النساء في القرآن الكريم

القصة / السورة	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	المجموع
١- قصة حواء عليها السلام	البقرة (٣٥-٣٨)	الأعراف (١٩- ٢٥)	طه (١١٥- ١٢٣)	-	-	-	-	-	٣
٢- قصة امرأة نوح عليه السلام	هود (٤٠)	المؤمنون (٢٧)	التحريم (١٠)	-	-	-	-	-	٣
٣- قصة سارة عليها السلام .	هود (٦٩- ٧٣)	الذاريات (٢٤-٣٠)	-	-	-	-	-	-	٢
٤- قصة امرأة لوط عليه السلام وبناته	الأعراف (٨٠-٨٤)	هود (٧٧- ٨٣)	الحجر (٥٨-٧٤)	الشعراء (١٦٠-١٧٣)	النمل (٥٤-٥٨)	العنكبوت (٢٨-٣٥)	الصافات (١٣٣-١٣٦)	التحريم (١٠)	٨
٥- قصة امرأة العزيز والنسوة .	يوسف (٢١-٥٤)	-	-	-	-	-	-	-	١
٦- قصة أم موسى وأخته وزوجه وآسية عليهم السلام	طه (٩- ١٠)	طه (٣٧- ٤١)	النمل (٧)	القصص (٧- ١٣)	القصص (٢٣- ٢٩)	التحريم (١١)	-	-	٦
٧- قصة ملكة سبأ عليها السلام	النمل (٢٠- ٤٤)	-	-	-	-	-	-	-	١
٨- قصة مريم وأمها عليهما السلام	آل عمران (٣٥-٣٧)	آل عمران (٤٢- ٤٩)	المائدة (٧٥)	مريم (١٦- ٣٣)	الأنبياء (٩١)	المؤمنون (٥٠)	التحريم (١٢)	-	٧
٩- قصة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك .	النور (١١-٢٠)	-	-	-	-	-	-	-	١
١٠- قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها	الأحزاب (٣٦- ٣٧)	-	-	-	-	-	-	-	١
١١- قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في قضية التحريم	التحريم (١- ٥)	-	-	-	-	-	-	-	١
١٢- قصة المجادلة رضي الله عنها	المجادلة (١)	-	-	-	-	-	-	-	١
١٣- قصة امرأة أبي لهب	المسد (٤- ٥)	-	-	-	-	-	-	-	١

من كتاب "القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم ودور الأسرة في غرسها في نفوس الفتيات"، ص 127، لكوثر بنت محمد رضا الحسيني الشريف وهو بحث مكمل لمتطلبات نيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم التربية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى.

قصص النساء القرآنية في سورة الفاتحة

لم ترد قصص للنساء في سورة الفاتحة، أول سورة في القرآن العظيم، لكنني مع ذلك حرصت في هذا الكتاب على ذكر سور القرآن حتى التي لم يذكر فيها قصص النساء بهدف تقوية ارتباط المسلمة بكتاب ربها، وتربيتها على أهمية إتمام ختمة القرآن بالعناية بتر ابط المعاني والأحكام التي تقوم جميعها على أصل التوحيد العظيم، ولذلك أيضا جعلت الارتباط بالسورة أساسا لعرض قصص النساء، لا بمواضيعها المختلفة، لعل في ذلك مزيد استيعاب لشمولية وتكامل مواضيع القرآن الكريم وواجب أخذ الكتاب كاملا بقوة، ولعل في ذلك معاني أخرى يدركها من ير ابط على القرآن بورد ثابت لا يحيد عنه.

وهذه السورة هي أول السور التي تلخص للمؤمنة سبيل المؤمنين.

ومن أهم مقاصدها: التعريف بالمعبودِ تبارَك وتعالى وبيان طَريقِ العبوديَّة وبيان أحوال النَّاس مع هذا الطَّريق.

ولذلك ترددها المسلمة في كل ركعة من صلواتها ولا تصح صلاة بدونها. عن عُبادةَ بن الصَّامتِ ﷺ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "لا صلاةَ لِمَن لم يقرأْ بفاتحةِ الكِتاب". (رواه البخاري ومسلم).

وعلى التو اقة استحضار هذه المعاني الجليلة عند قراءة الفاتحة:

عن أبي هُرَيرَة ﷺ، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال:"أمُّ القُرآنِ هي السَّبْع المثاني، والقرآنُ العَظيم".

وعن أبي سَعيدِ بن المعلَّى ﷺ، قال:"مرَّ بي النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم و أنا أُصلِّي، فدَعاني فلم آتِهِ حتى صلَّيتُ، ثم أتَيتُ فقال: ما منَعك أن تأتيَ؟ فقلتُ: كنتُ أُصلِّي، فقال: ألم يقُلِ اللهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟! ثم قال: ألَا أُعَلِّمُك أعظمَ سورةٍ في القرآنِ قبلَ أن أخرُجَ منَ المسجدِ؟ فذهَب النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ليخرُجَ منَ المسجدِ فذَكَّرتُه، فقال: الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ هي السَّبعُ المَثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه".

ومن الأسباب الموجبة للخشوع استحضار هذه المعاني بقلب وجل:

عن أبي هُرَيرَة ﷺ، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال:"مَن صلَّى صلاةً لم يقرأْ فيها بأُمِّ القرآن، فهي خداجٌ -ثلاثًا- غيرتمام، فقيل لأبي هُرَيرَة: إنَّا نكونُ وراءَ الإمام، فقال: اقرأْ بها في نفسِك؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بَيني وبَين عبدي نِصفين، ولعَبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: الحمدُ لله ربِّ العالَمين، قال الله تعالى: حمَدني عَبدي، وإذا قال: الرَّحمن الرَّحيم، قال الله تعالى: أثْنَى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالِك يومِ الدِّين، قال: مَجَّدني عبدي، (وقال مرَّة: فوَّض إليَّ عبدي)، فإذا قال: إيَّاك نعبُدُ و إيَّاك نستعين، قال: هذا بَيني وبَين عبدي، ولعَبدي ما سأل، فإذا قال: اهدِنا الصِّراطَ المستقيمَ صِراطَ الذين أنعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ولا الضالِّين، قال: هذا لعَبدي، ولعبدي ما سألَ". رواه مسلم.

وتدبري معي أيتها المسلمة الموحدة،آيات سورة الفاتحة التي سميت أيضا بفاتحة الكِتاب وأمُّ القرآن وأُمُّ الكِتاب والسَّبْع المَثاني والقُرآن العظيم وسورة الحَمْد.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾.

فاللهم اجعلنا من الذين هديتهم لصراطك المستقيم و أنعمت عليهم، ولا تجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين.

وفي الو اقع، كلما فتشت عن أصل الانحر افات التي تعاني منها الأمة تجدها استنساخ عجيب لانحر افات المغضوب عليهم (اليهود) أو الضالين (النصارى)!

وهنا تستحضر بخشوع سورة الفاتحة، ﴿ولَقد آتَينَاكَ سَبعًا مِّن المَثَانِي وَالقُرآنَ العَظِيمَ﴾ (الحجر: 87)، وتدرك أن القلوب التي لم تفقه ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ مصيرها الانحراف!

قال الشيخ محمد عبد الوهاب -رحمه الله- في تفسيره لسورة الفاتحة[1]:"وأما قوله: (غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى. وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات فيا سبحان الله كيف يعلمه الله،

[1] تفسير الفاتحة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – نسخة مصورة، أ.د.فهد بن عبدالرحمن الرومي ص (54-55).

ويختارله، ويفرض عليه أن يدعو به دائمًا مع ظنه أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله. والله أعلم".

قصص النساء القرآنية في سورة البقرة

من أهمِّ المقاصد التي تضمَّنتها سورةُ البقرة:[1]

- الاهتمامُ بالجانب العَقديّ؛ فقد بيَّنت السورة الكثيرَ من أصول العقيدة، وأدلَّة التوحيد، وبراهين البعث.
- بيانُ جوانبَ من التَّشريع الإسلاميّ، سواءً في العِبادات، أو الأحوال الشخصيَّة، أو المعاملات الماليَّة، أو الحدود، وغير ذلك.

▪ قصة حواء

أول قصة ذكرت فيها المرأة في القرآن الكريم جاءت في سورة البقرة، حيث تذكر السورة حواء، زوج آدم عليه السلام، في إطار ذكر خلق الإنسان وبداية حياة أول أسرة من البشر في الجنة، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ (الحجرات: 13).

نحن نتحدث هنا عن أول أنثى خلقها الله ﷻ، وأول زوجة لأول خلق الله من البشر، نبي الله آدم عليه السلام، فهي أول نموذج على المسلمة أن تعرفه، وقد ورد ذكر حواء في عدة مواضع في القرآن الكريم، في سورة البقرة في الآيات (35 إلى 38)، وفي سورة الأعراف، الآيات (19 إلى 25) وفي سورة طه، الآيات (115 إلى 123).

---

[1] موسوعة التفسير.

وهي مواضع متفق عليها في كونها تذكر حواء مع آدم عليه السلام.

وذكر الله حواء في البقرة فقال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)﴾ (سورة البقرة).

وهي آيات تخبرنا بقصة بداية خلقهما وعداوة الشيطان لهما وتوبتهما.

وذكر الله تعالى حواء في الأعراف فقال ﷻ ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّوَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)﴾ (سورة الأعرف).

وهي آيات تخبرنا أيضا بقصة بداية خلقهما وعداوة الشيطان لهما وتوبتهما.

وذكرها تعالى في سورة طه فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (118) وَ أَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123)﴾ (طه 115- 123).

وهي آيات تخبرنا أيضا بقصة بداية خلقهما وعداوة الشيطان لهما وتوبتهما.

ويبقى موضع واحد مختلف عليه في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190)﴾ (الأعراف: 189- 190).

حيث اختلف العلماء هل الآيات عن آدم وزوجه أم غيرهما، فذهب فريق منهم إلى أن الآيات ليست عن آدم وحواء، ومنهم الحسن البصري -رحمه الله- حيث قال:"عني بهذا ذرية آدم من أشرك منهم من بعده" .[1]

بينما ذهب فريق آخر إلى أنها في آدم وحواء، ودليلهم في ذلك الحديث عن سمرة عن النبي صلى الله عيه وسلم قال:"ما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره".

لكن الحديث ضعفه عدد من العلماء منهم ابن كثير-رحمه الله- الذي رجح قول الحسن البصري رحمه الله حيث قال:" وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، و أنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، و إنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله عزوجل ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس".[2]

والراجح بين القولين، ما ذهب إليه الحسن البصري -رحمه الله- فآدم كان نبيًّا وهو معصوم من الكبائر ويظهر أن الآيات تشير لمن جاء بعد آدم وحواء من ذريتهما وهو ما يتسق ومكانة آدم عليه السلام.

[1] كما نقل ذلك تفسير الطبري لهذه الآية.

[2] تفسير ابن كثير

ملخص قصة حواء عليها السلام

لم يذكر اسم حواء قط في القرآن، لكنه ورد في السنة النبوية. فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْلاَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ".

ومعنى قوله: (لم يخنَز اللحم): بفتح النون، من خنز اللحم بالكسر: تغيّر و أنتن. وذلك أن الله تعالى عاقب بني إسرائيل بخنز اللحم لكفرهم بنعمة الله تعالى، حين ادخروا السلوى، وقد نهاهم الله ﷻ عن الادخار بسوء ظن بالله تعالى، ولم يكن اللحم يصيبه الفساد قبل ذلك، ولكن لسوء صنيعهم أصبح يفسد.

وقوله: (ولولا حواء): بالمد أي: لولا خيانتها في مخالفتها.

(لم تخن أنثى زوجها): أي: لم تخالفه.

(الدهر): أي: أبدًا.

قال القاضي: "أي لولا أن حواء خانت آدم، في إغرائه وتحريضه على مخالفة الأمر، بتناول الشجرة، وسنت هذه السنة، لما سلكتها أنثى مع زوجها".

وقيل: إن خيانتها أنها ذاقت الشجرة قبل آدم، وكان قد نهاها، فغرته حتى أكل منها.

وقيل: خيانتها أنها أرسلها آدم لقطع الشجرة فقطعت سنبلتين وأدته واحدة، وأخفته أخرى.[1]

وقال ابن هبيرة[2]: "إن خيانتها لزوجها، أنها لما رأت آدم قد عزم على الأكل من الشجرة، تركت نصحه في النهي له؛ لأن ترك النصح له خيانة؛ فعلى هذا، كل من رأى أخاه المؤمن على سبيل ذلك، فترك نصحه بالنهي عن ذلك، فقد خانه، ولا يخرج هذا من تسمية الخائنين الذين جزم الله سبحانه منهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾؛ اللهم إلا أن يسكت تقية، فذلك له حكم تعلق به "انتهى، بتصرف يسير.

وذكرت أحاديث أخرى خلق حواء دون ذكر اسمها، منها ما ورد في صحيح البخاري، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمُه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء".

وفي ذلك تنبيه حكيم لطبيعة في المرأة تستوجب الإحاطة بها والاستيعاب لضعفها لينسجم التو افق معها ولا يعني ذلك اتخاذها ذريعة لسب المرأة والنيل منها كما يفعل بعض المستعجلين، بل هي من باب التواصي بالنساء خيرًا كما في أمر النبي ﷺ في الحديث. وبذلك تستقر العلاقة وتنسجم.

---

[1] ينظر : "مرقاة المفاتيح" (5/ 2118)، و"إكمال المعلم" (4/ 682).

[2] الإفصاح (7/ 230)

وحواء هي أول أنثى خلقها الله عزوجل، خلقها سبحانه من أحد أضلاع آدم عليه السلام ليسكن إليها، ذكر ابن جرير بسند عن ناس من الصحابة، أنه لما خرج إبليس من الجنة حين لُعن، وأُسكن آدم الجنة، كان يمشي فيها وحشًا، ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة، فاستيقظ وإذ عند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟!

قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: تسكن إليّ، قالت له الملائكة – ينظرون ما بلغ من علمه- : ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حيّ.

وأسكن الله آدم وزوجه حواء الجنة، وأحل لهما الأكل من جميع أشجارها رغدًا حيث شاءا، إلا شجرة واحدة، نهاهما عن الأكل منها، ابتلاءً واختبارًا، وحذّرالله عزووجل الزوجين الكريمين من عداوة الشيطان الذي أبى أن يسجد لآدم، ولكن مع هذا التحذيرالإلهي للزوجين، استطاع الشيطان الرجيم أن يفتنهما بهذه الشجرة. ولا يزال يتربص بالمؤمنين والمؤمنات لا يفتر!

وعن اسم الشجرة التي أكلا منها، فقد اختلف العلماء في تحديدها وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تفسيره:"والصواب في ذلك يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها، من أشجار الجنة، دون سائر أشجارها، فأكلا منها، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة، وقد قيل: كانت البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت

شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم إذا علم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به والله أعلم".

فمرة يحتال الشيطان عليهما بالوسوسة، بأحب الأشياء للبشر، وهي الرغبة في الخلود والحياة بلا ممات، والملك الذي لا ينقضي فقال لهما: ما منعكما ربكما عن الأكل من ثمار هذه الشجرة إلا مخافة أن تصيبا الخلد والملك الأزلي، ومرة يحتال عليهما بحيلة أخرى، وهي القسم الكاذب بأنه صادق فيما يقول، فغرّت حيل إبليس الزوجين، فأكلا من الشجرة، فلما وجدا طعمها، سقطت عنهما ثيابهما التي كساهما الله إياها، وقد كانت من نور، وقيل: كانت من أظفار (روى ذلك ابن مسعود و ابن عباس وغيرهما أن لباسهما كان الظفر)، وعلى كل فإنها كانت تستر عوراتهما عنهما وعن من حولهما، ولما رأى الزوجان انكشاف عوراتهما، أقبلا على ورق شجر الجنة، يلصقان بعضه ببعض، ليسترا عوراتهما، و انطلقا هاربين في الجنة، حياء من الله مما فعلا من معصية.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَا﴾ .. لا يمكن لتعبير أن يصف حال قلبي آدم وحواء عليهما السلام أمام هذا النداء!

لقد نادى ذو العزة والجلال الزوجين معاتبًا لهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: 22)، ويا له من نداء عظيم!

فتابا إلى الله تعالى فورًا بقولهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فتاب الله عليهما بقوله ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ وحواء معه في ذلك.

وجلبت هذه المعصية لآدم وحواء الخروج من الجنة، حيث أمرهما الله تعالى بالهبوط إلى الأرض ليتحقق الابتلاء، لأن الله تعالى جعل الأرض دار ابتلاء والجنة والنار داري جزاء.

وكان تنبيه الله تعالى لعبده وأمته أول ما كان "التنبيه من عداوة الشيطان"، فقال تعالى ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (البقرة: 36).

قال تعالى ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: 36)، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره:"أي قرار وأرزاق وآجال (إلى حين) أي إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة".

قال الشاعر محمود الوراق[1]:

يا ناظرا يرنو بعيني راقد .. ومشاهدا للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي .. درج الجنان ونيل فوز العابد

أنسيت ربك حين أخرج آدما .. منها إلى الدنيا بذنب واحد.

[1] انظر عيون الأخبار لابن قتيبة (2/ 374) وبهجة المجالس لابن عبد البر (2/ 328، 329)

وهبطت حواء مع زوجها إلى الأرض وبدأت مع زوجها رحلة الحياة الدنيا، وهي تقوم بدورها سكنًا لزوجها، وبدأ التناسل منهما بحملها منه. و انتشرت بعد ذلك ذرية آدم عليه السلام.

وذكرت العديد من الروايات من الإسرائيليات عن آدم وحواء، قال صاحب كتاب قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبروالأحكام المستفادة منها، محمد بن ناصر بن خالد الحميّد عن هذه الإسرائيليات بشأن آدم وحواء: "من هذه الروايات ما هو منكرومنها ما هو ثابت ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأما ما روي من أن حواء خلقت في الجنة فهو خلاف ظاهر القرآن كما تقدم بيانه وهو أن خلقها كان قبل دخول آدم الجنة.
وأما ما روي من أن مباشرة آدم لحواء كانت في الجنة فالظاهر خلاف ذلك وهو أن المباشرة كانت بعد ما أهبطا إلى الأرض، كما أشارت إليه آية الأعراف التي فيها خبر حمل حواء.

وأما ما روي من أن حواء سقت آدم خمرًا حتى سكر فأكل من الشجرة فباطل إذ ليس في الجنة مسكر بدليل قوله تعالى في إخباره عن الجنة ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ (الصافات: 47)".

"وأما ما روي من تصفير الشيطان في الجنة وطرب حواء بذلك، ثم فعل ذلك مرة أخرى وأحزنها بذلك الصوت فكلام ساقط بعيد عن الصحة،

وما روي كذلك من دفع الملائكة لآدم وحواء حتى أخرجاهما فلا دليل عليه.

وأما ما روي من أن حواء كانت تحمل وهي في الجنة ويرى ما في بطنها فالظاهر أن الحمل كان في الأرض.

وأما ما روي من الخلاف في تعيين الشجرة التي أكل منها فلا دليل يؤيد أي قول من تلك الأقول أنه الصواب[1].

وأما ما قيل من أن تلك الشجرة من أكل منها أحدث فقد أكلا منها ولم يحدثا و إنما بدت سوءاتهما.

وأما ما روي من أن تلك الشجرة تأكل منها الملائكة فإن الملائكة لا تأكل بدليل قول قوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 7) وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه من الملائكة في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ (هود: 70).

وأما ما روي من الخلاف في مدة مكثهما في الجنة فلا دليل على أي قول من تلك الأقوال، والظاهر أنها كانت مدة قصيرة كما يفيده سياق الآيات.

وأما ما روي من الخلاف في تعيين مكان إهباطهما فلا دليل يؤيد أي ذلك أولى بالصواب.

[1] تفسير الطبري جـ1 ص: 233، وتفسير البغوي، جـ2، ص: 154، وتفسير القرطبي، ج.1: ص: 305.

وأما ما روي من تسمية ولدهما عبد الحارث لوحي الشيطان لهما بذلك فهو باطل لأن آدم عليه السلام نبي كريم معصوم عن الكبائروقد أبطل علماء الإسلام هذا الخبر، حيث قال ابن العربي:"وذلك مذكورفي ضعيف الحديث في الترمذي وغيره، وفي الإسرائيليات كثيرليس له ثبات ولا يعوّل عليها من له قلب، فإن آدم وحواء وإن كان غرهما بالله الغرور، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحا ولا يسمعا له قولا"[1].

وقال ابن كثير:"أما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، و أنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، و إنما المراد من ذلك المشركون من ذريته[2]، ولهذا قال الله ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف: 190).

وأما ما روي من أن حواء زيّنت لآدم الأكل من الشجرة فقد دلّ على ذلك الحديث المتقدم وفيه لولا حواء لم تخن أنثى زوجها، قال ابن حجرفي شرح هذا الحديث: "فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك".انتهى.[3]

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي ج.2 ص:820.

[2] تفسير ابن كثير، ج.3، ص: 531.

[3] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص (90-92)

العبرة المستخلصة من قصة حواء

- **أمة لله تعالى**

أيتها المسلمة نحن نتحدث عن أول امرأة خلقها الله عزوجل، يقدم لنا القرآن تفاصيل خلقها وقصة نزولها للأرض ويسلط الضوء على الغاية من خلقها وزوجها، وأول عبرة من ذلك هي معرفة الله ﷻ الذي خلق آدم من غير أم ولا أب، ثم خلق حواء من آدم، لتكون له السكن والعون قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: 189). فأنت أمة لله تعالى، خلقت لعبادته سبحانه وطاعته ورجاء رحمته ومغفرته ورضوانه والأجر العظيم. لذلك فإن أوجب واجباتك هي تحقيق العبودية لله ﷻ، وحده لا شريك له، والاستجابة لأمره والانتهاء عن نواهيه سبحانه، والاستقامة كما أمر لا كما تهوى الأنفس وتجادل، ففي ذلك الفلاح كله والتأييد كله والنصر كله وخاتمة السعداء، فإنما خلقت لعبادة الله تعالى فلا تكوني غير أمة لخالقك وحده لا شريك له. وتلك هي السبيل الوحيدة الموجبة لمعية الله وفضله وفتوحاته.

▪ سكن لزوجها

ثم ثاني وظيفتك كامرأة يا أيتها المسلمة بعد توحيد الله تعالى وتقديره حق قدره وإخلاص العباده له وحده لا شريك له، ومحبته والخشية منه ورجائه سبحانه، هي القيام بدور السكن عند الزواج، فالمرأة خلقت لتكون سكنًا لزوجها، والسكن يتطلب التعامل مع الزوج بروح الأنثى وفطرة المرأة وإعطائه مقام الرجل والقوام. وبذلك تصبح الأسرة أهم ثغر للمسلمة في حياتها لا يناجز أهمية ثغرها أي ثغر آخر. وعلى هذا فلا يليق بالحرة الاسترجال، أو مناكفة الرجل أو منافسته في ميادينه ووظائفه، وعليها حفظ حقوقه لتتحقق المودة والرحمة بينهما، فإن هي طغت و انحرفت عن مسار المؤمنات الصالحات، لقيت الشقاء في حياتها وتحدّت فطرتها قبل أي شيء، وهو ما لا يليق بمسلمة موحدة، والتجربة خير دليل، فالمرأة التي قامت بدورها سكنًا لزوجها، وتعاملت معه بما يرضي ربها من عشرة بالمعروف وطاعة في ما لا معصية فيه لخالقها، وجدت بركات هذه الاستقامة كما أمر الله تعالى، وحتى إن ظُلمت أو جار عليها زوجها، فلتجدن نصر الله وتأييد المؤمنين لها، من حيث لا تحتسب، ومن كان الله مولاه فلا حاجة له بأحد، لذلك كل الخذلان أن تعصي المرأة ربها وتبخس نفسها فضل أن تكون زوجة يكتمل بها عطاء الرجل ورجولته.

ثم بهذا الفهم السليم لدور الزوجة في الأسرة، نكسر محاولات الغزو الفكري الغربي الذي يريد من المرأة المسلمة أن تتحول لضحية

للمجتمعات كما هو حال المرأة الغربية، استعبدتها الرأسماليا للشركات والمؤسسات وخسرتها أسرتها، فأصبحت المرأة بلا هوية ولا وطن، ووطن المرأة بيتها الذي هو بمثابة مملكتها، تصنع لبناتها من البر والخير والإيثار والعمل الصالح والمسابقة بالخيرات.

إن الدعوات التي تصنع العداء في نفس الزوجة لزوجها، وتغذي النديّة والحسد! إنما هي دعوات الشيطان يريد أن يفرق بين المرء وزوجه ويخضع المرأة لنزوات الشارع وأرباب الاقتصاد والمصالح الجشعة، ثم لا بواكي عليها حين تخسر نفسها و أنوثتها وأسرتها ومستقبلها.

▪ التحذير من العدو المبين وأساليبه

كما تخبرنا الآيات أول معلومة يجب أن تستحضرها المسلمة بعد تعظيم الله خالقها وتوحيده وعبادته والقيام بدور السكن لزوجها وهي معرفة عدوها، إنه الشيطان العدو المبين. وبداية الحذر من الشيطان تكون بالحذر من اتباع خطواته وبسد الذرائع تحصنًا منه، قال تعالى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فعلى المسلمة أن تضع في ذهنها دائما حقيقة عداوة الشيطان واستدراجه لها، وتبتعد عن كل ما يؤدي لحرام أو شبهة حرام. فإن هدف الشيطان الأول معصيتها لله تعالى ونشوزها عن زوجها.

وهنا عبرة مهمة جدًا فما وصلت فكرة فاسدة لتحرف المرأة عن مقام العبودية لله تعالى والسكن لزوجها إلا كان خلفها عدو الله الشيطان، وأعوانه من شياطين الإنس والجن. فهم العدو الذين يجب أن تحذر منهم المرأة، فلا تفتح لهم الباب ولا تستدرج بخطواتهم الخادعة وتحصّن نفسها بالإيمان والتوحيد والتقوى ورجاء ما عند الله تعالى لتنعم بحياة طيبة في الدنيا والآخر ولتنال ولاية الله تعالى للمؤمنين وما أدراك ما ولاية الله للمؤمنين! فاعتني أيتها المسلمة بمرجعياتك ومصادرك العلمية والدينية والأخلاقية، ولا تُسلمي عقلك لكل رويبضة ومتعالم وعدو، بل تمسكي بالقرآن والسنة على منهج السلف يمنّ الله عليك بالسداد والتوفيق.

ومن أبرز ما يجب أن تحرص المسلمة عليه، الستر! فنحن نرى في الآيات التي ذكرت قصة حواء عليها السلام، أهمية الستر واللباس للإنسان، وهي تنبّه إلى أن العري هو مطلب الشيطان ومسعى يرجو تحقيقه كل أعوان الشيطان، قال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:27).

▪ الستر فريضة والعري معصية

وفي زماننا وكل زمان، جميع دعوات التعرية ترجع في أصلها إلى الشيطان، وقد بلغت هذه الدعوات مبلغًا مريعًا في الغرب حتى أصبح الرجال والنساء يُظهرون عوراتهم بلا حياء ولا خجل ولا كرامة بل ويُمنع تغطيتها في أماكن بعينها.

وقد جاء الإسلام بوجوب ستر العورة في الحديث:" لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة" (صحيح مسلم).

بل وفرض الله تعالى على الرجل كسوة زوجته، فنفقة الزوج الواجبة للمرأة هي الطعام والشراب والكسوة والمسكن، وما تفضل به بعد ذلك فهو مأجور عليه، قال تعالى ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (118) وَ أَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (119)﴾ (طه: 118-119).

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ:" ولهنَّ عليكم رِزقُهنَّ وكِسوتُهنَّ بالمعروفِ" .

وقال تعالى يصف هدف الشيطان من مكيدته لآدم وحواء ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ ، ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾، فبيّن تعالى عظم جرم التعرية وكشف العورة!

فكيف بالزوج الذي يعرّي زوجته ويخرجها متبرجة ومتزينة يتفرج عليها الرجال في الطرقات، كيف بالزوج الذي يقبل لنفسه الزواج من امرأة عارية لا تلبس الحجاب الشرعي وينظر لذلك على أنه تفصيل ثانوي!

ثم كيف ترضى المسلمة لنفسها أن تنزع حجابها وتمشي في الطرقات عاصية لربها!

ولو أدركت المتبرجة كيف ينظر لها الرجال، كل الرجال، بمن فيهم المولوعون بالتبرج أو المعارضون بشدة للتبرج، لتحجبت في اللحظة نفسها وأجهشت حرقة على ما فاتها من الستر والحجاب.

ما فرض الله عليك الحجاب إلا ليحفظك ويصونك فهو خبير سبحانه بصير بعباده ومن خلق!

ويكفي المتبرجة أنها تحمل عداد سيئات نشط! فأي ظلم للنفس وقعت فيه وأي بخس لقيمة نفسها و أنوثتها!

ثم كيف إن وصل الأمر لإقامة علاقات غير شرعية وهتك الستر بدون ميثاق غليظ!

لقد لخصت قصة أمنا حواء، أول أنثى خلقها الله تعالى دروسًا جليلة بشأن غايتنا في هذه الحياة وما يجب علينا إقامة النفس عليه، من توحيد الله عزوجل وتعظيمه وإخلاص العبادة له عزوجل وحده لا شريك له، ومن الوعي بطبيعة دور المرأة كسكن لزوجها جاءت لتشد أزره وتنصحه في الله وتعينه على الطاعات وتعينه على سد الذرائع، والبر والتقوى، ليكتمل بها ويزدهر وتزدهر معه، وينجوان معا من مكائد الشيطان، وعلى أهمية حب الستر والحياء والالتزام بأمر الله عزوجل، من

فرائض وأوامر، والحذر من أول عدو يتربص بالمؤمنة، الشيطان الرجيم والذي أهم أهدافه أن تكفر بربها أو تعصيه أو تتعرى!!

فضعي في ذهنك دائمًا يا مسلمة أن كل دعوة للتمرد على شريعة الله خلفها الشيطان وحلفه، وكل دعوة لتدمير سكن البيت ومعاداة الرجل، خلفها الشيطان وحزبه، وكل دعوة للعري أو التحايل في الوصول للعري بالتدرج، كالتدرج في تحريف معنى الحجاب و إفقاده هيبته في الستر، أو التدرج في سوء تأويل الآيات وحرفها عن معانيها الجليلة، وتفاسيرها الشهيرة عند السلف، هي دعوة من الشيطان وأعوانه، فلا بد أن يكون الرد اللائق من المؤمنة الموحدة، هو الاستعلاء بإيمانها ومزيد تشبثٍ بهدي القرآن والسنة لا تحيد عنه مستذكرة قصة حواء، وأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. قال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 27).

ومع ما نشاهده اليوم في الغرب من تمادي قبيح مقرفٍ في العري و انعدام الحياء والستر وكرامة الإنسان، ومحاولة نشره في بلاد المسلمين ودعوتهم إليه، يجعل من التمسك بهدي القرآن أولوية قصوى، فالعري فطرة حيوانية لا يميل لها الإنسان، ولم يكن يومًا العري مقياسا أخلاقيًا حضاريًا في الحضارات البشرية، وقد كان قبيحًا بذاته حتى في الحضارات الكافرة القديمة كانت المرأة تستر نفسها، وتميز الحرة عن الجارية بالستر. وكانت النصرانية واليهودية تلبس الحجاب وما نزعنه إلا مع تقدم الزمان

وبلوغ التحريف على الهوى مبلغًا وخيمًا والعياذ بالله! ويعجب كل عاقل كيف تعلق النصرانية صورا تزعم أنها لمريم عليها السلام، وهي بحجاب وستر كامل، وهي في الوقت نفسه عارية عريًا بهيميًا منحطًا!

وحتى الأقوام الذين وجدوا في العري جمالًا واستحسنوه، بقي في ذاته قبيحًا وإن لائم طبعهم.

▪ شؤم المعصية ومقام الحرّة

ورافق معصية العري الخروج من الجنة، قال الله تعالى منبّها آدم ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ (طه: 117) ومع أنه عقاب لآدم وحواء معا إلا أننا نرى هنا كيف جعل الله تعالى الشقاء في حق الرجل لا المرأة، لأن الرجل هو القوام المسؤول عن الكسب والمعاش، وهو ما ذهب إليه الإمام ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية حيث قرن الله تعالى بين حواء وزوجها في الخروج لكنه سبحانه خصّ زوجها بالشقاء. وعلى الرغم من شدة هذا الشقاء على الرجل، جعله الله تعالى مقرونًا بالعشرة بالمعروف والإحسان في التعامل مع زوجه، قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 19).

وهو ما يتفق مع قول الله تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب: 33) فالمرأة مكانها خدرها ملكة في بيتها، وليس الشارع

والشركة ومكاتب المؤسسات التي تكدح فيها وتضيع فيها أجمل سنين عمرها في سبيل الدنيا. فمن زيّن لها هذا الخروج ووصف العمل خارج البيت بتحقيق للذات يظلمها، لأن المرأة سكن للزوج الذي عليه أن العمل لكسب العيش تأمين مصالح بيته وزوجته، الدينية والدنيوية، وحين تتزن هذه المعادلة، تستقر المشاعر وتستقر العلاقة بينهما ووظائف كل منهما ويستقر البيت بل تستقر الأمة برمتها! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اعملوا فكل ميسر لما خلق"[1]. ولا يخفى على كل متابع كيف أن نسبة الطلاق تكثر بين الأزواج الذين اختارت نساؤهم العمل خارج البيت واستقلت ماديًا حتى أصبحت تستثقل دورها كزوجة وأم وربة بيت، وتحمل مشاعر استكبار وغرور، وتحولت لندّ لزوجها، فكان الاستغناء والانفصال هو الغالب في النهايات إلا من رحم ربي.

ولا يعني ذلك الإطلاق الذي لا يراعي حالات الضرورة كما هو حال النساء الأرامل والأيامى اللاتي لا يجدن معيلا أو اللاتي في مناطق الصراع ولا يجدن من يعولهن، وغيره من حالات يقترن فيها الخروج للعمل قطعًا بالضوابط الشرعية. وكذلك حال من عملها يكون من باب فرض الكفاية كالطبيبة والمعلمة والحارسة التي تفتش النساء وغيرها من مهن لا يناسب أن يعمل فيها غير المرأة بضوابط شرعية معلومة، من عدم الاختلاط والتبرج والسفور والخضوع بالقول، دون أن يكون في ذلك المساس بأنوثتها واستقامتها ومسؤولياتها، ويفضل أن تقوم عليها النساء من غير الأمهات لأن الأم لديها مهمة أولى هي تربية الأجيال.

---

[1] صحيح البخاري

وفي قول الله تعالى ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ (طه: 117) معنى عظيم لشؤم المعصية، فهي سبب أول في تحويل النعمة إلى نقمة. وحرمان العبد من بركات الخير! فخروج المرأة للعمل بدون ضوابط شرعية يجلب النقم والحرمان والأذى! وهذه نقطة قلّما يُلفت لها الانتباه، فإن تمرد المرأة على شريعة ربها مصيره الخسران، وخسارة معية الله خسارة لا تجبر، ولذلك من جربت طريق الاستقامة وعرفت بركاتها وإن كان في حياتها شدّة لا يمكن أن تقبل بإلقاء نفسها في دعوات النار، مثل النسوية العاصية لربها الكافرة بشريعة الله! ومن عرفت العالمين، عالم القرار في البيت عابدة عاملة لحسن خاتمتها، وعالم الخروج للعمل في اختلاط وفتن وعدم التزام بالضوابط الشرعية، أدركت قيمة هذه المعاني، وكانت صادقة مع نفسها. ولكن دعاوى الشيطان لا تزال تتربص ببنات المسلمين بتدليس وإغراء كحال المغريات التي تسوقها المؤسسات الدولية، ولا تزال سنن الله تؤدب الناس ليخضعوا لشريعة ربهم طوعًا أو كرهًا!

ونجد في وصف الله تعالى أحد أساليب إبليس في الإغواء ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: 21) تنبيهًا مهما لأساليب الغواية في زماننا وكل زمان، فالإغواء يأتي بإعطاء الأمان والأيمان ولكن الحالف بالله ليس بالضرورة الصادق، فلا ينخدعن المؤمن والمؤمنة بمن يقسم لهما وهو يدعوهما إلى معصية ومنكر.

وهذا هو الأسلوب المتبع اليوم من المؤسسات الدولية التي تزين للمرأة "تمكينها ومساواتها بالرجل وتحريرها" كما يزعمون و إنما هي دعوات لهلاكها! فيقدمون

لها مغريات على أنها من ناصح أمين ثم ما أن تتورط في هذا المستنقع حتى تفقد من أنوثتها وتنتكس بقدر غفلتها ثم تتحول لنموذج امرأة مسترجلة لا يطيقها رجل ولا يألفها ولا يقدر على عشرتها. وتنتهي بامرأة عاجزة عن استيعاب نفسها فكيف باستيعاب تكاليف هذه النفس!

▪ المسارعة للتوبة

ثم ها هنا موعظة بليغة جدًا في قصة حواء عليها السلام، فإن وقوع آدم وحواء في المعصية أعقبه مسارعة للتوبة، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه : 115) فقد كانت لحظة غفلة وهذه طبيعة في البشر أن يغفلوا وينسوا فيستغل ذلك الشيطان ليوقعهم في المعصية وبذلك تمكن من استدراجهم ولكن! هذا لا يمنع الإنسان من المسارعة للتوبة وطلب المغفرة من الله تعالى، لذلك رأينا كيف قال آدم وحواء: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: 23).

قال ابن كثير: "وقوله ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 37) أي: "إنه يتوب على من تاب إليه و أناب كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (التوبة : 104)، وقوله ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(النساء: 11) وقوله ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان: 71) وغير ذلك من

الآيات الدالية على أنه تعالى يغفر الذنوب ويتوب على من يتوب وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده لا إله إلا هوالتواب الرحيم".

وتسارع النجيبة للتوبة بعد كل غفلة توقعها في معصية، وتتقي الله في نفسها فلا تستهن بالمعصية ولو كانت في نظرها صغيرة، فإن هذه الاستهانة قد تجعل من معصية صغيرة كبيرة!

قال ابن القيم -رحمه الله-:"فإنه إن اعترف بنقصه خصّ نفسه بما حصل لها من عدم العلم والصبر بالنسيان الذي أوجب فوات حظه من الجنة، ثم قال ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: 23) فإنه سبحانه إن لم يغفر السيئات الوجودية فيمنع أثرها وعقابها ويق العبد من ذلك، وإلا ضرته آثارها ولا بد، كآثار الطعام المسموم إن لم يتداركه المداوي بشرب الترياق ونحوه وإلا ضره ولا بد"[1].

وكثيرًا ما تستثقل العاصية التوبة خشية أن لا يقبلها الله تعالى و أقول آية واحدة هي حجة لك أو عليك! قال الله ﷻ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53).

آية تتعطل عندها لغة الكلام ويتصدع القلب لها ويسجد لمولاه!

[1] الضوء المنير على التفسير، ج4 – سورة طه – ص226.

▪ طريقة آدم أم طريقة إبليس؟

ومن يتأمل كيف تجاوب آدم وحواء مع المعصية وكيف تجاوب إبليس الرجيم يدرك أن الإنسان بين خيارين عند الوقوع في المعصية والخطأ، فإما أن يقتدي بآدم وحواء فيسارع للتوبة والاستدراك فيكون جزاء ذلك كما قال الله تعالى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه: 122) فينال مغفرة الله ورحمته سبحانه – وهو الخبير بخلقه-، فيزداد إيمانًا بالله تعالى وقوة وقربًا من الله ﷻ، وأما من اقتدى بالشيطان، فإنه عند الوقوع في الذنب والمعصية يزداد كبرًا وعزوفًا عن التوبة فيزداد قلبه قسوة وضعفًا ووهنًا وبعدًا عن الله تعالى.

فاختاري لنفسك يا أيتها المسلمة، طريقة آدم عليه السلام وزوجه حواء، أم طريقة إبليس الرجيم! طريق تقربك من خالقك وتفوزين بها بمعيته ومغفرته والأجر العظيم والمرتبة الواعدة في الجنة، أم طريقة الكبر والحسد فتبعدك عن خالقك تعالى وتخسرين معيته فيكلك إلى نفسك وينتظرك العذاب الشديد والخسارة المبينة!

فالحمد لله على رحمة الله بعباده ومغفرته النسيان والخطأ وما استكرهوا عليه، قال رسول الله ﷺ:"إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[1].

[1] حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

▪ إنها دنيا فانية!

ومما يستفاد من الآيات التي تذكر آدم وحواء، أن هذه الدنيا فانية! وهذه من أجل النعم التي منّ الله بها على عباده المؤمنين، فحياتنا في هذه الأرض لوقت محدود، وتحقيق المنى يكون في الدار الآخرة، قال تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (الأعراف: 24) إلى حين يا أمة الله! فلا يشغلك عن قصرك في الجنة شاغل!!

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)﴾ (البقرة: 38-39) يقول تعالى مخبرًا عما أنذر به آدم وزوجته و إبليس، حين أهبطهم من الجنة، والمراد الذرية: أنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل، كما قال أبو العالية: الهدى الأنبياء والرسل والبيان، وقال مقاتل بن حيان: الهدى محمد ﷺ، وقال الحسن: الهدى القرآن، وهذان القولان صحيحان وقول أبي العالية أعمّ".

(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) أي: من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أي: فيما يستقبلونه من أمر الآخرة (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما فاتهم من أمور الدنيا، كما قال في سورة طه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه: 123)، قال ابن عباس: فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ

يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ أَعْمَىٰ﴾ (طـه : 124). كمـا قـال هـا هنـا ﴿وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا وَكَـذَّبُوا بِآيَاتِنَـا أُولَٰئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ ۖ هُـمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ﴾ (البقـرة: 39) أي مخلـدون فيها، لا محيد لهم عنها ولا محيص.

فـاتبعي هـدى ربـك .. ولـن تضـلّي ولـن تشـقي وإن ظلمـك وخـذلك كل النّـاس مـن حولك!

قال الله ﷻ ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 38).

لا عيش إلا عيش الآخرة!

▪ مكانـة الزواج في الإسلام

لعـل مـن أهـم الـدروس في قصـة خلـق آدم وحـواء هي موقـع المـرأة في حيـاة زوجهـا، فهـي سـكن وناصـح أمـين ومعـين علـى الطاعـة والاسـتقامة، هـذا دورهـا في الحيـاة، ثـم ذلـك الضـعف الـذي تحتويـه الـنفس البشـرية، والـذي لـم يخلـو منـه بشـر، فيـه سـلوى لكـل زوج، ليسـتعين بالصـبر والاسـتيعاب لزوجـه. ويتحصـن بالـذكر والتقـوى لأنـه سـيتأثر بـه عنـد لحظـة غفلـة، لا مناص من ذلك! والحمد لله على نعمة الاستدراك والتوبة!

تسـلط قصـة حـواء الضـوء علـى مكانـة الـزواج في الإسـلام وعلـى عظمـة معانيـه ومقاصـده، فـالزواج نعمـة حـين يكـون بهـذا المفهـوم مـن السـكن والتكامل والتعاون على البر والتقوى والتوبة.

إن العلاقة بين المرأة والرجل علاقة سامية، ترفعهما لمرتبة كريمة، لذلك هي علاقة في طاعة الله تعالى والتزام أمره والحذر من مكائد الشيطان واستدراجه وأساليبه التي أضحت في عصرنا كثيرة معقدة، وأصبح للشيطان الأعوان الكثر من الإنس والجن، يتفانون في نشر الفساد وإغواء البشر، وهم في مقامات قيادة وتأثير وإعلام ومدى وصول.

إن العلاقة بين الزوج والزوجة في الإسلام هي علاقة حب في الله و/ أو عشرة في سبيل الله!

وتبقى مرضاة الله تعالى والجنة أسمى أهداف المرأة مهما بلغت من مراتب دنيوية وهي أهداف لا تُنال إلا بالتقوى والاستقامة كما أمر الله تعالى و إيثار طاعة الله على كل البشر والمغريات والشهوات وكل زخرف في هذه الدنيا. كما يبقى الخوف من الله تعالى وعقابه وحرمانه للعباد من الخير والبركات وفضله وأجره ثم عذابه الشديد! أشد ما يخشاه العبد والأمة، ويحفّ هذا الحب والخوف، رجاءٌ وحسنُ ظنّ بالله تعالى، وترجمته حسن العمل والمحاسبة والتوبة والاستدراك!

فيا أيتها المسلمة، دليل تقواك، إخلاصك لخالقك وطاعتك له، دليله سترك وبغضك للعري وما يؤدي إليه ومن يدعو إليه، والتحصن من الوقوع فيه، دليله حسن صحبتك وعشرتك لزوجك ونصحك له.

وطاعة الله تعالى يدخل فيها حفظ حق الزوج قوامًا وسكنًا له وأمانة، وحفظ مقامك أنثى عفيفة أمة لله تعالى يقظة لمداخل الشيطان وخطواته، توابة منيبة لخالقها.

والتقية تحسن العشرة وتحفظ حق صاحبها وتقوم به مخلصة لله عز وجل، وهي مستحضرة معنى الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

وحتى من ابتليت بمعصية زوجها لله فهي لا تعصي الله فيه! وذلك مفتاح من مفاتيح النصر والظفر.

عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: "وضع عمر بن الخطاب ﷺ ثماني عشرة كلمة حكما كلها قال:

1 - ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه.

2 - وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه.

3 - ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شرا و أنت تجد لها محملا.

4 - ومن كتم سره كانت الخيرة بيده.

5 - ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن.

6 - وعليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرجاء، وعدة في البلاء.

7 - ولا تهاونوا بالحلف بالله فيهينكم الله عزوجل.

8 - ولا تسأل عما لم يكن، فإن فيما كان شغلا عما لم يكن.

9 - ولا تعرض لما لا يعينك.

10 - وعليك بالصدق وإن قتلك.

11 - ولا تطلب حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك.

12 - واعتزل عدوك.

13 - واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خاف الله عزوجل.

14 - ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم.

15 - وتذلل عند الطاعة.

16 - واستعن عند المعصية.

17 - وتخشع عند القبور.

18 - واستشر في أمرك الذين يخشون الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾ (سورة فاطر آية 28)".

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: 32). يضبط حياتك الزوجية، بتوازن سويّ، فتدركين أنك في موقع تكامل مع زوجك وليس مناكفة أو منازعة الأمر أهله. وذلك تمام الإكرام لنفسك، فترفضين – فطرة- كل دعوة تدعوك للتمرد على فطرتك وشريعة ربك، وكل مروءة أوجدها الله في النفوس السوية التي تسعى لمراتب النجباء والنبلاء..!

وير افق ذلك استيعاب الزوج لطبيعة المرأة وضعفها، وحقيقة أنها تغفل وتسهو لكنها تتوب وتستدرك! ويبقى شرف الإيمان والتوحيد والتوبة الشرف الجليل الذي يُشترى ولا يُباع بثمن بخس لمن كان يرجو رحمة ربه!

وقد تعترض معترضة فتقول، ولكن الأزواج في زماننا ألفوا ظلم المرأة، والتسلط عليها ويقصرون في قوامتهم ويعتدون، فكيف يطالب مني أن أتعامل مع ذلك بحسن العشرة والسكن!

وهنا نقطة يرتكز عليها الخطاب النسوي كثيرًا، من حيث تظلم المرأة وشكواها ظلم الرجل، وهو بلا شك أمر يقع في مجتمعاتنا التي ابتعدت عن شريعة ربها و انجرت للكثير من الدعوات الدنيوية الزائلة، وتخلفت عن مجالس الذكر والعلم والدعوة فكان لذلك خسائر ولا بد في الأسرة وفي صياغة الرجال والنساء على أخلاق وقيم الإسلام العظيمة، وكان الجفاء والقسوة و انعدام السكن. ولكن، الإسلام لم يترك المرأة بدون حق يكفله لها، وبدون ولاية للمؤمنة تنصرها على من عاداها وظلمها، والآيات في ذلك واضحة جليّة في القرآن وكذلك الأحاديث في السنّة، ولذلك أقول لكل مبتلاة، إن صدقت في شكواك ولم تجدي الحلول الإصلاحية مع هذا الزوج، فالله تعالى أعطاك حق الخلع، وأعطاك حق الانفصال عن زوج يطغى عليك، وهو حق تكفله الشريعة للمرأة المسلمة، فلك الحق في أن تنفصلي حين تصبح العشرة بالمعروف مستعصية والوفاء بالميثاق الغليظ منكرًا، ولا تخشي فقرًا فرزقك في السماء! واحذري أن تقابلي الظلم بظلم أو بطغيان، فلا تُكافئي مَنْ عصى الله فيك بأكثر من أنْ تطيعي الله فيه! واعلمي أن طاعة الزوج إنما في المعروف وما تجيزه الشريعة أما ما

كان من معصية الله، فلا طاعة للزوج فيها. لذلك عند كل خلاف يحصل بين الزوجين لابد من قياسه في ميزان الشريعة، فإن كان حقًا لك، ولم تأخذيه فعند الله لا يضيع حق، وإن كان خطأ منك وسوء فهم فالتصحيح والاستدراك واجب. وأما التظلم المخادع، فاعلمي أنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله!

ولا يليق بالمسلمة الموحدة أن تجعل من تصدع العلاقة مع زوجها سببًا للطغيان، فحتى إن وصل الأمر للطلاق، تؤدي الطلاق بخشوع لله تعالى وتقوى! تؤديه كعبادة ترجو رحمة الله فيها، فلا تبخس حقًا ولا تظلم أحدًا ولا تمنع طفلا من والده ولا طفلة من أبيها، بل تحسن الفراق كما أحسنت اللقاء! لأنه امتحان صدق! وما أجمل أن تخرج بضمير مرتاح وصدر منشرح، لم تتعدى حدود الله تعالى ولم تظلم أحدًا، فحققت بذلك أهم سبب للتوفيق الرباني، ويغني الله كلّا من سعته! قال الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)﴾ (سورة الطلاق).

وتأكدي أيتها المؤمنة، إنما الزواج قدر ورزق وامتحان، فإن رضيت بقدرك وشكرت الله على رزقك ونجحت في امتحاناته فأنت الفائزة، حتى وإن تزوجت أكثر من مرة، ولم توفقي في إيجاد الرجل السكن لك، وحتى وإن لم تشعري في كل تجربة بحقوق الزواج من عفة وقوامة وحسن عشرة، فأنت تتعاملين مع الله تعالى، تقدمين ما عليك باستحضار مقام الميثاق الغليظ، ثم من تعدى حدود الله وأسرف ولم يستجب للإصلاح، تفارقين

بتقوى بلا عدوان، وتخرجين المنتصرة من كل مرحلة! لا تزال روحك معلقة عند العرش وقلبك ساجد لمولاك!

وكفى بذلك فضلا ومعية يمنّ بهما الله تعالى على من لم تسلك سبل الحرام وارتضت لنفسها الحلال ولو لم تجد فيه غايتها، وعاشت فيه تمام الفقد لما تنشده المؤمنة من الزواج، ففضل الاستقامة كما أمر الله لا يناجزه فضل! وحتى الخسارة في الحلال مكسب! وأما الحرام فهلاك محقق إلا لمن تاب واستدرك!

ولا شك أن في قصة حواء الكثير من العبر بعد نزولها إلى الأرض وما رافق هذا النزول من ابتلاءات التي كان منها الخلاف بين ابنيها قابيل وهابيل وما عاشته من مواقف الثبات والصبر والمساندة لزوجها آدم حتى لقيا ربهما عليهما السلام.

▪ قصة نساء بني إسرائيل

يذكر الله ﷻ نساء بني إسرائيل اللاتي تعرضن للاستعباد على يد فرعون وقومه.

وقد ورد ذكرهن في خمس مواضع في كتاب الله العزيز، في قول الله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: 49).

وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم: 6).

وقوله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4).

وقوله تعال ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: 25).

وقوله سبحانه ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: 127).

ملخص قصة نساء بني إسرائيل

إنهن نساء بني إسرائيل في عصر موسى عليه السلام، حيث يخبرنا الله ﷻ عما حلّ بهن من بلاء في مصر على يد فرعون، أعتى طاغوت في ذلك الزمان، إنه الطاغوت الذي سلط عدوانه وبغيه على بني إسرائيل الذين كانوا خيار زمانهم، فكان يستضعفهم ويكدّهم في الأعمال ليلًا ونهارًا ويقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم إهانة لهم واحتقارًا.

قال تعالى ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾! إنه وصف يدفعنا للتفكر في عظيم الابتلاء الذي تُستحيى فيه النساء!

ومعنى استحياء النساء، أي استبقاؤهن أحياء في ذلّة وخدمة للطاغوت.

وكان استحياء النساء يذكر في القرآن على يد فرعون وعلى يد آل فرعون.

والعذاب في الاستخدام يكون بجعلهن خدمًا لفرعون وإذاقتهن حسرة قتل أبنائهن وإخوانهن وإذلالهم، فيستفرد بهن الطاغية إخضاعًا وإهانةً واحتقارًا.

ووقع استخدام نساء بني إسرائيل قبل مولد موسى، وأيضا بعد مبعثه عليه السلام، كعقاب لهم لمتابعة نبي الله ونصرته. كما يظهر في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: 25) وقوله تعالى ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ

أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 129).

ولكن الله تعالى أنجى نساء بني إسرائيل كما أنجى رجالهم و أبناءهم، بهلاك فرعون وأعوانه وأورثهم الأرض التي كانوا يستضعفون فيها حين استجابوا لأمره و اتبعوا نبيهم موسى عليه السلام. قال تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف: 137). فكانت نهاية قصة ابتلاء نساء بني إسرائيل التمكين في الأرض وشفاء صدورهن بمشهد هلاك عدوهم الطاغية. وإن جاءت بعد ذلك فصول لا تخفى من امتحان الله لهم بعد الاستخلاف في الأرض ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 129).

العبر المستخلصة من قصة نساء بني إسرائيل

إن أول عبرة تتراءى بين هذه المعاني هي حقيقة أن استحياء النساء واستعبادهن ابتلاء وعقاب تعيشه الأمم عند تسلط أعدائها عليها، وهو حقيقة ما نعيشه اليوم ولكن بشكل مختلف عن زمن بني إسرائيل، فتسلط أعداء الله على أمة الإسلام امتهن النساء واحتقرهن وأذلّهن للدينار والدرهم ولمقاييس الغرب المحارب، وكفى بذلك مذلة! فقد أخضعت النساء لنظام الرأسمالية وأضحت أول أحلام وأهداف المرأة

الخروج للعمل، وما أن تعمل حتى تتحول لخادمة مخلصة لشركتها ومكتبها ومؤسسة يتحكم فيها مديرها كما يحلو له، فتطيعه وتخشاه وتنشد رضاه أشد ما يكون ولو كان ذلك على حساب طاعتها لربها وزوجها! فتأخر تأسيس بيتها، وإن تأسس تصدعت سكينته، وأصبح الزوج يعاني المنازعة والتهديد والاسترجال!

وتحولت المرأة لأمة مسيّرة على حسب رغبات الغرب المحارب، تتجرع إملاءاته على أنه التحرير الأمثل للمرأة والمساواة الواعدة وغيره من مغريات الدجال التي تسوقها المؤسسات الدولية لحرف النساء عن سبيل المؤمنين وتحويلهن لعوامل انهيار في الأمة، وعقبات كؤود أمام فرص انبعاثها. وعلى الرغم من معارضة دعاوي الغرب الصريحة بل المحاربة لشريعة الله، لا تزال تسقط في شراكهن نساء يلهثن خلف سراب!

وهذا يقودنا لمعنى آخر، أن الأُمّة العزيزة تُعزّ نساؤها، وذلة الأمة تجلب ذلة نسائها وذلة مضاعفة، فهي ذلة لذلتهن أنفسهن، إضافة إلى ذلة لرؤية رجالهن في خضوع وضعف وذلة!، ولذلك ذكر الله تعالى استحياء النساء في مقام علو طاغية قال تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4).

لقد ذكر الله تعالى استحياء النساء في مقام (يسومونكم سوء العذاب) فهو نوع من أنواع العذاب التي قد يغفل عنها الناس! لكنه عذاب يفتك بقلب الحر والحرّة.

كما أن العدو الطاغية لا يستثني النساء من خطط إذلاله للمسلمين، وذلك صنيع فرعون حيث تسلط على الضعفاء من النساء والأطفال، وهو ما يفعله كل عدو صائل على الدين والأمة وإن اختلفت وسائله وطرقه. ولذلك لا تزال المرأة والطفل في مرمى أهداف الغرب الكافر، إما بحرف مفسد عن سبيل المؤمنين، فيتحولان إلى عقبة في سبيل ابنعاث الأمة أو عدو صريح للإسلام والمسلمين، أو بالاستهداف بالقتل في الحروب المباشرة! وهو ما نشاهده في كل حرب تندلع في أرض مسلمة، تعمد الغرب المحارب وحلفائه استهداف النساء والأطفال بأعداد كبيرة.

واستحياء النساء كان من الابتلاء الذي ابتلى الله تعالى به بني إسرائيل، قال تعالى ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ولكنهم حين استجابوا لأمر الله تعالى ونبيه موسى رفع عنهم هذا البلاء العظيم، قال تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: 5).

فالسبيل لتحرير النساء من عذاب الاستعباد الذي تفسد فيه سكينة البيوت والمجتمعات والأمم هو الاستقامة كما أمر الله تعالى والتحرر من سلطة الثقافة الغالبة المحاربة والعمل على كسر أغلال الهيمنة وإعادة الإسلام حاكم لحياة ومجتمعات المسلمين. وهو نصاب الوعي اللازم لكل مسلم ومسلمة.

ومع حجم البلاء الذي تعرضت له نساء بني إسرائيل، أرى البلاء في زمننا أعظم! فنساء بني إسرائيل كن يعلمن أن هذا الاستعباد ذلّة لهن فكن

يشتكين لله تعالى هذا الابتلاء، أما في زماننا فقد اعتبرت نساءٌ هذا الاستعباد هدفًا وشرفًا يتسابقن عليه بغفلة وحماقة! فانظر لمكر الكفار والطغاة في زماننا، وأي مصيبة أكبر من مصيبة أن يستلذّ المفتون المستعبد بالعذاب وينشده لنفسه!

وهذا يأخذنا إلى أهمية تفرس وتدبر أساليب أعداء الله فهي وإن كانت في أصلها مشابهة لما فعله الطاغية فرعون إلا أنها أكثر خبرةً ومكرًا وكيدًا من أساليب فرعون المباشرة، وذلك ما لجأ له الطغاة بعد أن عرفوا حقيقة قوة هذه الأمة بدينها، فطوروا أساليب "قوة ناعمة" تضعف الصلة المصيرية بين العبد ودينه، فيسهل الفتك بالمجتمعات أشدّ الفتك، وأساليب القوة الناعمة أخطر من تلك المصادمة! لأنها تروض فريستها وتعودها على التعايش مع المرض والفساد وتعززفيها نوازع الاستسلام إن لم يكن الإدمان على الذلّة وارتضائها والدفاع عنها! فهي حرب محسومة بسلطة ثقافة غالبة محاربة وانهزامية موهنة خطرة.

وإن كان من عبرة يجب التواصي بها في قصة نساء بني إسرائيل فهي أن الطاغوت مهما بلغ من قوة بطش وظلم وطغيان فهو إلى زوال، ذلك أن سنن الله له بالمرصاد، فمهما كانت مصائب المسلمين من تسلط الطواغيت، ومهما بلغ بهم الضعف، فإن استقامتهم على سبيل المؤمنين، هي أول مفتاح لنجاتهم، وأول سبب لهلاك عدوهم، قال تعالى ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 129).

وهـذا يعني أن لا شـيء يـدفع للاستسـلام لـدعوات الطواغيـت وأسـاليبهم لأنهـا مهزومـة وسـبيلهم سـبيل الخسـران المبين والعقـلاء لا يضـعون صـفقة أعمـارهم وأغلى مـا يملكـون في خسـارة بـل يتمسـكون بسـبيل الفـائزين صـبرًا ومصـابرةً وتواصيًا بالحق واليقين، وهو سبيل المؤمنين الذي مهما طال الزمن أو قصرينتهي بالتمكين للصالحين، وعدًا من الله حق!

وهكـذا وردت في سـورة البقـرة العظيمـة قصـتين للمـرأة، الأولى عـن حـواء، أول خلـق الله مـن النسـاء، كيـف كانـت الغايـة مـن خلقهـا وأهـم وظائفهـا ومـا هـي الأخطـار التي تتهـددها، والثانيـة عـن نسـاء بني إسـرائيل، كيـف كـن في مشهد الصراع، معلم استضعاف وسبب انتصار!

قصص النساء القرآنية في سورة آل عمران

مِن أهمِّ المقاصد الَّتي تضمَّنَتْها سورةُ آل عِمْران:

- إثباتُ وَحْدانيَّةِ الله، و إقامة الأدلَّة والحُجَجِ عليها.
- بيانُ أهميَّةِ عقيدةِ الولاءِ والبَرَاء، والتَّحذيرُ من ولايةِ غيرِ المؤمنين، وتفصيلُ أحوالِ أهلِ الكتاب.
- الاهتمامُ بجوانب التَّربيَةِ والإرشادِ والتَّوجيهِ للمؤمنين.[1]

قصة امرأة عمران

تعرض لنا سورة آل عمران العظيمة، قصة مهيبة، لامرأة مؤمنة خلّد الله ذكرها في كتابه العزيز، إنها امرأة عمران، ذكرها تعالى في مقام اصطفاء! قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36)﴾ (آل عمران: 33- 36).

[1] موسوعة التفسير

وباصطفاء الله تعالى لهؤلاء الأخيار قدم لنا ﷻ، قدوة يُقتدى بها، بفضل ما بلغوه من مقامات عبودية عظيمة لله ﷻ.

وقد ذكر الله تعالى امرأة عمران في موضع واحد في كتابه العزيز، في سورة آل عمران، وقد ورد ذكر قصتها و ابنتها مريم في القسم الأول من السورة التي نزلت أول ثلاث وثمانين آية منها في وفد نصارى نجران، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة.

ملخص قصة امرأة عمران

إنها امرأة من آل عمران، مؤمنة تقية، محبة لله تعالى مخلصة له ﷻ، وهي أم مريم عليها السلام، جدة نبي الله تعالى عيسى عليه السلام، قيل اسمها: حنة بنت فاقوذ ولكن لا دليل على صحة هذا الاسم لها، وزوجها عمران، وقيل هو ابن باشهم بن آمون وقيل ابن ماثان. وما يهمنا في هذا المقام تفاصيل أسماء إنما حقيقة أننا نتحدث عن أسرة مؤمنة من خيرة المؤمنين في زمانهم اصطفاهم الله تعالى لأعلى مقامات العبودية لله تعالى.

وكانت امرأة عمران تتضرع إلى الله تعالى أن يقبل ما في بطنها، حيث نذرت حملها لله تعالى، ليخدم دينه، وقد سألت الله تعالى بوصف الربوبية، ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ وسألته ﷻ بصفاته العلا ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، ولما ولدت كان المولود أنثى، على غير ما كانت تتمنى، فقالت تعتذر لله تعالى ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾ فالأثنى لا يمكنها القيام بما كان يقوم به الذكر في مقام خدمة الدين.

قال ابن كثير في قصص الأنبياء يروي لنا خبر هذه المرأة المؤمنة الصالحة:"وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره أن أم مريم كانت لا تحبل فرأت يومًا طائرًا يزق فرخًا له فاشتهت الولد فنذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها محررًا أي حبيسًا في بيت المقدس.

قالوا: فحاضت من فورها فلما طهرت و اقعها بعلها فحملت بمريم عليها السلام ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ وقرئ بضم التاء ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ أي في خدمة بيت المقدس، وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خدامًا من أولادهم.

وقولها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ استُدل به على تسمية المولود يوم يولد، وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه بأخيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنّك أخاه وسماه عبد الله. وجاء في حديث الحسن عن سمرة مرفوعًا "كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويُسمى ويحلق رأسه".

رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي. وجاء في بعض ألفاظه: "ويُدمى" بدل ويسمى وصححه بعضهم .. والله أعلم.

وقولها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ قد استجيب لها في هذا كما تقبل منها نذرها، فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: "ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إلا مريم و ابنها" ثم يقول أبو هريرة: و اقرأوا إن شئتم ﴿وَ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج عن بقية، عن عبد الله بن الزبيدي، عن الزهري عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال أحمد أيضًا: حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذؤيب، عن عجلان مولى المشمعل، عن النبي ﷺ قال: "كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم بنت عمران و ابنها عيسى".

تفرد به هذا الوجه. ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن عمر بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: "كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا ما كان من مريم و ابنها، ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه".

وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه من هذا الوجه، ورواه قيس عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم" ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

وكذا رواه محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبيد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. بأصل الحديث.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك، حدثنا المغيرة هو ابن عبد الرحمن الحزامي، عن ابن الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب". وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خروقها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم، فتنازعوا فيها، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها".

ووردت قصة امرأة عمران، أم مريم وجدة عيسى عليه السلام في سورة آل عمران حيث كانت آيات القسم الأول من هذه السورة الجليلة تحاجج النصارى من وفد نجران في عهد النبي ﷺ فكان ذكر القصة مهما لتبيان حقيقة الاصطفاء وطبيعة تلك النفوس الموحدة التي عبدت الله ﷻ وأخلصت له سبحانه، فاصطفاها الله لأعلى مقامات العبودية و أكرمها بذرية صالحة فيها النبوة معلمًا بارزًا لفضل الله تعالى.

العبر المستخلصة من قصة امرأة عمران

نرى في مقدمة العبر والدروس المستخلصة من قصة امرأة عمران، ذلك التوحيد العظيم الذي يجعل من حياة المرأة كلها لله، ويجعل تعلقها بخدمة دينها أولى أولوياتها، ويتعلق بها شغفها وأحلامها، ثم علو همة المؤمنة التي تعلم مسؤوليتها في إنشاء جيل يحمل أمانة الدين وينصره، وهي أجلّ وأسمى مهمة تربي عليها الأم أبناءها، ويسلط ذلك الضوء على دور الأم المصيري في تربية أبنائها وتأديبهم وتعليمهم وإعدادهم لحمل أمانة الإسلام. وقد لخصت كل ذلك امرأة عمران بفقه وبصيرة مدرسة! فقد نذرت المؤمنة الموحدة حملها لله تعالى وهو لا يزال جنينًا في بطنها، فبدأت عملها بالنية الصالحة والاستعانة بالله العلي العظيم.

ونرى كيف أن امرأة عمران لم تصادم الواقع والفطرة – على الرغم من عظم الهدف الذي تسعى له والحلم الذي تطمح لتحقيقه ونبله!- فلم تتجاوز حقيقة أن مولودها أنثى وليس ذكرًا وقابلت عطاء ربها بالرضا والاعتذار لله ﷻ من كون نيتها كانت ولدًا يخدم دين ربه وينصره، لكنها رزقت بابنة، فلن تكون قادرة على تلبية متطلبات الثغر المنشودة ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ وفي ذلك تسليم ورضا و إقرار بمشيئة الله تعالى.

ومن دلالة ذلك مسارعتها لأداء أول مهمة لها كأم وهي حسن التسمية لمولودتها، وهو أول حق أوفته لابنتها بحسن تسميتها، فسمتها مريم. وقالت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، ومريم تعني العابدة، قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم".(سنن أبي داوود).

ثم قامت المؤمنة البصيرة بواجبها الثاني في التربية وهو إعاذة ابنتها من الشيطان الرجيم بل وكل ذريتها لفقهها، فقالت ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فكان في ذلك مقام عبودية لله تعالى وتعظيم له سبحانه واستعانة به وبصيرة بأول عدو حذّر الله منه. وقد كان النبي ﷺ يعوّذ الحسن والحسين ويقول:"إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: "أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة". صحيح البخاري.

واستجاب الله تعالى لأمته الصالحة الصادقة بعطاء مهيب، إنها مريم البتول، أم نبي الله عيسى عليه السلام. وكان العطاء بقدر الصدق! وهنا خلاصة عظيمة، أن المرأة المسلمة حين تستجيب لله تعالى كما أمرها لا كما تريد هي ولو كانت ترى في ما تريده تمام الخير، فإنها تلاقي من الله تعالى أعظم مما كانت تنتظره، فامرأة عمران كانت تريد ولدًا يخدم بيت المقدس، فرزقها الله حفيدًا نبيًا مرسلًا!

فاستقيمي كما أمرت راضية بما قسمه الله تعالى لك، مخلصة في سعيك، شاكرة لربك، لتنعمي بفضله الواسع ولطائف أقداره!

لقد تمنت امرأة عمران الابن الصالح فرزقها الله تعالى الابنة الصالحة، التي ستلد نبيًا من أنبياء الله! فالله سبحانه خبير بصير بمكامن الخير والأفضل لعباده، والخيرة دائمًا فيما يختاره الله، وسؤال الله الذرية

الصالحة سنة توارثها الصالحون ومنقبة فيهم، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74).

ولم تكن نيّتهم في الذرية علوًا في الأرض وتفاخرًا ولا يدًا عاملة ومصدر دخل يتسابقون في الثراء به والتفاخر! وإنما لإقامة دين الله تعالى واتباع سبيل المؤمنين، قال رسول الله ﷺ:" إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ". (صحيح مسلم).

نشاهد في قصة امرأة عمران ذلك التوسل لله تعالى بربوبيته وصفاته العلا، ثم فقه التوكل، والرضا بما قسمه الله تعالى، فكان عاقبة ذلك فضلًا عظيمًا منه جلّ جلاله.

علمتنا امرأة عمران كيف تكون عبادة الوجل، ورجاء قبول العمل الصالح، إذ تقول المرأة الموحدة البصيرة ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

ويخشع القلب عند قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وإن كان من عبرة وهدي يجب أن يحفظ من هذه الآيات فهو ترسيخ التوحيد في القلوب وتعظيم الله ﷻ وتقديره حق قدره.

وفي وصف ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ علم كثير اختصرته عبارة جامعة، تنسف اليوم أرتال تنظيرات النسويات والليبراليين ودعاة الانحلال خلف

ستار العلمانية والديمقراطية، وكل ما سقط من دعوات وخالف هدي الإسلام الحق.

فالذكر أقدر على النهوض بالأعمال والواجبات المناطة بالرجال، وأعظم الظلم للرجل مساواته بالمرأة وأعظم الظلم للمرأة مساواتها بالرجل، وغضّ الطرف عن الفوارق الخُلقية والفيزيولوجية بينها وبينه. وإن حرمانها حق التكامل معه، ودفعها لمنازعته ومناكفته ليست إلا عملية تدمير ذاتي لفطرة المرأة وحربًا عليها منها! والمرأة لا تجد تمام سعادتها إلا في التو افق مع أنوثتها! وهو تو افق لا يحفظه شيء مثل الإسلام.

وإن كان من خلاصة نستخلصها من قصة امرأة عمران فهي أهمية تحقيق مقامات العبودية لله تعالى ودوام صلاح النية والعمل والاستعانة بالله تعالى والرضا بما كتبه سبحانه، فبقدر الصدق يكون العطاء والفتح! ثم القيام بالواجبات المناطة بالأم وفي مقدمتها خدمة دين الله تعالى وتنشئة ذرية موحدة تقوم بواجباتها في الاستقامة ونصرة الدين، كأولوى أولويات الأسر، فضلا عن ذلك الأدب والفقه والبصيرة التي ما ازدانت بها امرأة إلا وأشرقت حياتها وحياة من يعيش معها.

وقفة!

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

امرأة عمران!

في آية واحدة لخصت سيرة امرأة موحدة مهيبة!

أدب في دعاء الله ﷻ، وتعظيم له سبحانه بتحقيق التوحيد بأقسامه، توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

علو همة في الهدف بعين تبصر مكامن القوة فتعززها.

إخلاص وتفانٍ في البذل بصبر، فالحمل رحلة طويلة، لكنها مستعدة لها ابتغاء الأجر.

إدراك لدور المرأة المؤمنة! فسخرت أهدافها لخدمة دين ربها بما لا يتعارض مع فطرتها.

وجل وإدراك أن مدار الأمر كله في قبول الله تعالى للأعمال.

فإن انتقلنا للآية التالية:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

نجدها جمعت الرضا باختيار الله تعالى ومشيئته.

وإدراك لحقيقة الفوارق الخلقية بين الذكر والأنثى التي يترتب عليها اختلاف الأدوار والمسؤوليات وهو موجب لحسن الوفاء بها.

المسارعة لأداء حق الذرية، بحسن التسمية وذلك أول البر.

الفطنة لعدو الإنسان الأول، الشيطان الرجيم، فاستعانت بالله تعالى عليه بالاستعاذة منه.

علو همتها وبعد نظرها، وبركات ممتدة، بلغت بصلاح هذه المرأة الجليلة، ذرية مريم، فلم تقف عند حد ابنتها بل وصلت لما بعدها.

امرأة عمران هي النموذج الذي يجب أن تتربى عليها بنات الإسلام بنفوس سويّة باذلة صابرة راضية وجلة!

▪ قصة مريم عليها السلام

وفي سورة آل عمران بعد ذكر قصة امرأة عمران الأم، قصة ابنتها المباركة مريم، التي ذكرت مرة واحدة مع أمها، كما ذكرنا فيما سبق، وهي آيات مولدها.

وذكرت مريم بعد ذلك في سبع مواضع في القرآن الكريم، منها مواضع في سورة آل عمران، في قول الله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) ﴾.

وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (47) ﴾.

وذكرت مريم في سور أخرى، وهي سورة النساء في قوله تعالى ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا

(157) بَـل رَّفَعَـهُ اللَّهُ إِلَيْـهِ ۚ وَكَـانَ اللَّهُ عَزِيـزًا حَكِيمًـا (158) وَإِن مِّـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ إِلَّا لَيُـؤْمِنَنَّ بِـهِ قَبْـلَ مَوْتِـهِ ۖ وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ يَكُـونُ عَلَـيْهِمْ شَـهِيدًا (159) فَـبِظُلْمٍ مِّـنَ الَّـذِينَ هَـادُوا حَرَّمْنَـا عَلَـيْهِمْ طَيِّبَـاتٍ أُحِلَّـتْ لَهُـمْ وَبِصَـدِّهِمْ عَـن سَـبِيلِ اللَّهِ كَثِيـرًا (160) وَأَخْـذِهِمُ الرِّبَـا وَقَـدْ نُهُـوا عَنْـهُ وَأَكْلِهِـمْ أَمْـوَالَ النَّـاسِ بِالْبَاطِـلِ ۚ وَأَعْتَـدْنَا لِلْكَـافِرِينَ مِـنْهُمْ عَـذَابًا أَلِيمًـا (161) لَّٰكِـنِ الرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْـمِ مِـنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُـونَ يُؤْمِنُـونَ بِمَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَـا أُنـزِلَ مِـن قَبْلِـكَ ۚ وَالْمُقِيمِـينَ الصَّـلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَالْمُؤْمِنُـونَ بِـاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ ۚ أُولَٰئِـكَ سَـنُؤْتِيهِمْ أَجْـرًا عَظِيمًـا (162) إِنَّـا أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ كَمَـا أَوْحَيْنَـا إِلَىٰ نُـوحٍ وَالنَّبِيِّـينَ مِـن بَعْـدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَـا إِلَـىٰ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَالْأَسْـبَاطِ وَعِيسَـىٰ وَ أَيُّـوبَ وَيُـونُسَ وَهَـارُونَ وَسُـلَيْمَانَ ۚ وَ آتَيْنَـا دَاوُودَ زَبُـورًا (163) وَرُسُـلًا قَـدْ قَصَصْـنَاهُمْ عَلَيْـكَ مِـن قَبْـلُ وَرُسُـلًا لَّـمْ نَقْصُصْـهُمْ عَلَيْـكَ ۚ وَكَلَّـمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًـا (164) رُّسُـلًا مُّبَشِّـرِينَ وَمُنـذِرِينَ لِـئَلَّا يَكُـونَ لِلنَّـاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّـةٌ بَعْـدَ الرُّسُـلِ ۚ وَكَـانَ اللَّهُ عَزِيـزًا حَكِيمًـا (165) لَّٰكِـنِ اللَّهُ يَشْـهَدُ بِمَـا أَنـزَلَ إِلَيْـكَ ۖ أَنزَلَـهُ بِعِلْمِـهِ ۖ وَالْمَلَائِكَـةُ يَشْـهَدُونَ ۚ وَكَفَـىٰ بِـاللَّهِ شَـهِيدًا (166) إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا وَصَـدُّوا عَـن سَـبِيلِ اللَّهِ قَـدْ ضَـلُّوا ضَـلَالًا بَعِيـدًا (167) إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا وَظَلَمُـوا لَـمْ يَكُـنِ اللَّهُ لِيَغْفِـرَ لَهُـمْ وَلَا لِيَهْـدِيَهُمْ طَرِيقًـا (168) إِلَّا طَرِيـقَ جَهَـنَّمَ خَالِـدِينَ فِيهَـا أَبَـدًا ۚ وَكَـانَ ذَٰلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِـيرًا (169) يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ قَـدْ جَـاءَكُمُ الرَّسُـولُ بِـالْحَقِّ مِـن رَّبِّكُـمْ فَـآمِنُوا خَيْـرًا لَّكُـمْ ۚ وَإِن تَكْفُـرُوا فَـإِنَّ لِلَّهِ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَـانَ اللَّهُ عَلِيمًـا حَكِيمًـا (170) يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لَا تَغْلُـوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَـقَّ ۚ إِنَّمَـا الْمَسِـيحُ عِيسَـى ابْـنُ مَـرْيَمَ رَسُـولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَـا إِلَىٰ مَـرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْـهُ ۖ فَـآمِنُوا بِـاللَّهِ وَرُسُـلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُـوا ثَلَاثَـةٌ ۚ

انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) ﴾ (النساء 156- 171).

وذكرت في سورة المائدة، في قوله تعالى ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المائدة :75).

وخصّها الله تعالى بسورة كاملة باسمها هي سورة مريم. وذكرها فيها في الآيات ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (21) ﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)﴾ (مريم 16-29).

كما ذكر الله تعالى مريم في سورة الأنبياء في قوله تعالى ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 91).

وفي سورة المؤمنون في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: 50).

وفي سورة التحريم في قوله تعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (التحريم 12).

وهكذا نرى أن مريم هي أكثر النساء التي ورد ذكرها في القرآن في مواضع مختلفة وذلك لعلاقتها بمقام ابنها، نبي الله، عيسى عليه السلام،في الخطاب الموجه إلى النصارى ولما في قصتها من ارتباط مباشر بإقامة الحجج والبراهين على المشركين والذين كفروا.

ملخص قصة مريم عليها السلام

قال ابن كثير -رحمه الله- في قصص الأنبياء في فصل "قصة عيسى بن مريم عبد الله ورسوله و ابن أمته عليه من الله أفضل الصلاة والسلام":"قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى علىهم لعائن الله، الذين زعموا أن لله ولدًا، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله ﷺ فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الأقانيم ويدَّعون بزعمهم أن الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم، على اختلاف فرقهم فأنزل الله عزوجل صدرهذه السورة بَّين فيها أن عيسى عبدٌ من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صورغيره من المخلوقات و أنه خلقه من غيرأب كما خلق آدم من غيرأب ولا أم، وقال له كن فكان سبحانه وتعالى. وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى، وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما سنتكلم على ذلك كله بعون الله وحسن توفيقه وهدايته.

فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)﴾.

يذكرتعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته، ثم خصص فقال: ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ فدخل فيهم

بنو إسماعيل ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران، والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام.

وقال محمد بن إسحاق: وهو عمران بن باشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن أحريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إيشا بن إيان بن رحبعام بن داود.

وقال أبو القاسم بن عساكر: مريم بنت عمران بن ماثان بن العازربن اليود بن أخنزبن صادوق بن عيازوزبن الياقيم بن أيبود بن زريا بيل بن شالتال بن يوحنا بن برشا بن آمون بن ميشا بن حزقيا بن أحازبن موثام بن عزريا بن يوارم بن يوشافاط بن إيشا بن إيبا بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام. وفيه مخالفة لما ذكره محمد بن إسحاق.

ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم "أشياع" في قول الجمهوروقيل زوج خالتها "أشياع" فالله أعلم.".

وأضاف ابن كثير-رحمه الله-:" وقوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خروقها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم، فتنازعوا فيها، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها.

ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا في أيهم يكفلها، وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان، وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل زوجته أختها - أو خالتها على القولين. فشاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترع معهم، فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الأم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ قالوا: وذلك أن كلًا منهم ألقى قلمه معروفًا به، ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلامًا لم يبلغ الحنث فأخرج واحدًا منها وظهر قلم زكريا عليه السلام. فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن ألقوا أقلامهم في النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء، وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الأقلام قد انعكس سيرها صعدًا فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها إذ كان أحق بها شرعًا وقدرًا لوجوه عديدة.

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال المفسرون: اتخذ لها زكريا مكانًا شريفًا من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه وتقوم مما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة

والصفات الشريفة حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقًا غريبًا في غير أو انه. فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ فتقول ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي رزق رزقنيه الله ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد له من صلبه وإن كان قد أسن وكبر ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ قال بعضهم: قال: يا من يرزق مريم الثمر في غير أبانه هب لي ولدًا وإن كان في غير أو انه. فكان من خبره وقضيته ما قدمنا ذكره في قصته.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (51) ﴾.

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها، بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب وبُشرت بأن يكون نبيًا شريفًا ﴿يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي في صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك في حال كهوليته، فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها، وأُمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلًا لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة، فيقال إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماها ﷺ ورحمها ورحم أمها و أباها.

فقول الملائكة: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي اختارك واجتباك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي من الأخلاق الرذيلة وأعطاك الصفات الجميلة ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾. وكقوله عن بني إسرائيل ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى، وأن محمدًا ﷺ أفضل منهما، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها و أكثر عددًا و أفضل علمًا وأزكى عملًا من بني إسرائيل وغيرهم.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ محفوظ العموم فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها أو جد بعدها لأنها إن

كانت نبية على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى محتجًا بكلام الملائكة والوحي إلى أم موسى، كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره، فلا يمتنع على هذا أن تكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لعموم قوله ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ إذ لم يعارضه غيره. والله أعلم.

وأما قول الجمهوركما قد حكاه أبو الحسن الأشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال، وليس في النساء نبية فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى ﴿الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها. والله أعلم. وقد جاء ذكرها مقرونًا مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ ورضي الله عنهن وأرضاهن".

مريم صدّيقة

وقال ابن كثير-رحمه الله- في قصص الأنبياء:" وقد ذهب بعضُ العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة سارة وأم موسى ومريم عليهن السلام. والذي عليه الجمهور أنهن صدِّيقات رضي الله عنهن وأرضاهن.

واصطفى الله تعالى مريم وخصها بكرامته سبحانه، وهي ولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وقد نسبت الملائكة الولد إليها لأنه يولد بدون زوج،

و﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾".

أبناء الخالة

وقال ابن كثير-رحمه الله- في قصص الأنبياء عن قرابة يحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام:"و إنما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء: فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة فجاء على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث، فإن أم يحيى "أشياع" بنت عمران أخت مريم بنت عمران. وقيل بل "أشياع" وهي امرأة زكريا، أم يحيى هي أخت حنة امرأة عمران أم مريم، فيكون يحيى ابن خالة مريم فالله أعلم".

ثبات مريم

لقد كانت مريم تقضي وقتها في عبادة الله تعالى وخدمة دينها، وحين انفردت بنفسها شرقي المسجد الأقصى، و اتخذت حجابًا أي سترًا يسترها من أهلها ومن الناس، أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام في صورة بشر سوي الخلقة، فاستعاذت بالله مه، و﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾، فأجابها الملك: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا، قالت –كما يخبرنا القرآن- أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك

بغيا؟ أي كيف يكون لي ولد و أنا لم أتزوج ولم أكن ممن تخوض في الفاحشة؟

فأجابها الملك: كذلك قال ربك أي وعد أنه سيخلق منك غلاما من غير بغل أو زنى.

وهي آية أخرى كآية خلق آدم عليه السلام، خلقه من غير أب وأم وخلق عيسى من غير أب، فالله على كل شيء قدير، ونفخ جبريل نفخة، سلكت في فرجها فحملت بعيسى عليه السلام، و انفردت بعيدا عن الناس خشية أن يتحدثوا عنها، حتى جاءها موعد الطلق، فلجأت إلى جذع نخلة، وقالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا، لقد تمنت الموت وتمنت لو أنها لم تخلق لخشيتها مما سيتهمها الناس به من فاحشة!.

وهكذا هي الحرة العزيزة الموت أهون لديها من أن يمس شرفها ولو بكلمة. فالشرف مقام عظيم للمرأة الموحدة. ولذلك توعد الله تعالى بالعذاب العظيم لمن يفتري بالإفك على مؤمنة ويرمي المحصنات بالزنا كذبًا وبهتانًا و إفكًا عظيمًا وهي كبيرة من الكبائر لعظمة جرمها ولما تسببه من أذى عظيم في نفس المؤمنة العزيزة الموحدة.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4)﴾ (النور: 4).

ولنا في قصة عائشة ﷺ حين تفطر قلبها للتهمة التي مست بشرفها، فهذه صفة تتصف فيها المؤمنة، عزيزة بشرفها وعفتها والموت أهون عندها من أن تمسّ فيهما.

وهو ما نراه في قصة مريم الصديقة، لقد حملت همًّا عظيمًا فناداها (مِن) تحتها أو (مَن) تحتها على قراءتين، الأولى لنافع وحفص والكسائي وحمزة وخلف والثانية للباقين[1]، فإما أن الذين ناداها هو جبريل وإما هو عيسى عليهما السلام، كما أوضح المفسرون، فقال لها: لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا، أي نهرًا، وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًّا، ويحتمل أنها نخلة غير مثمرة لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[2] فكلي واشربي وقري عينًا وطيبي نفسًا بهذا المولود[3] ثم أوصاها قائلا: إن رأيت أحدًا من البشر يسألك عن أمرك وسبب ولادتك، فقولي بلسان الحال: أني نذرت للرحمن صومًا، أي صمتًا، فلا أُكلّم اليوم أحدًا من الناس.[4] فأتت به قومها تحمله، فأنكروا عليها وقالوا: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي منكرًا عظيمًا[5] فأشارت إليه حينما قالوا ما قالوا لتظهر المعجزة وتظهر براءة مريم عليها السلام مما رميت به من الفاحشة، قالوا متعجبين: كيف نكلم من كان في المهد صبيا؟! فأنطق الله تعالى عيسى عليه السلام بالحق، فظهرت براءة هذه

---

[1] إتحاف فضلاء البشر ص 298.

[2] قصص الأنبياء ص 566-570

[3] تفسيرالطبري ج16- ص 74.

[4] تفسير الطبري ج 16 ص 74.

[5] قصص الأنبياء لابن كثير ص 571.

المرأة التي وصفها الله تعالى بالعفاف، ثم آواها الله تعالى و ابنها إلى ربوة وهي مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر[1].

وعن ولادة عيسى يقول ابن كثير-رحمه الله- في" ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم العذراء البتول": "قال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (21) ﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ

[1] المرجع السابق.

مَـرْيَمَ ۚ قَـوْلَ الْحَـقِّ الَّـذِي فِيـهِ يَمْتَـرُونَ (34) مَـا كَـانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِـذَ مِـن وَلَـدٍ ۖ سُـبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَـىٰ أَمْـرًا فَإِنَّمَـا يَقُـولُ لَـهُ كُـن فَيَكُـونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُـمْ فَاعْبُـدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِـرَاطٌ مُّسْـتَقِيمٌ (36) فَـاخْتَلَفَ الْأَحْـزَابُ مِـن بَيْـنِهِمْ ۖ فَوَيْـلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) ﴾.

ذكر الله تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها كما ذكر في سورة آل عمران، قرن بينهما في سياق واحد وكما قال في سورة الأنبياء ﴿ وَزَكَرِيَّـا إِذْ نَـادَىٰ رَبَّـهُ رَبِّ لَا تَـذَرْنِي فَـرْدًا وَ أَنـتَ خَيْـرُ الْـوَارِثِينَ (89) فَاسْـتَجَبْنَا لَـهُ وَوَهَبْنَـا لَـهُ يَحْيَىٰ وَأَصْـلَحْنَا لَـهُ زَوْجَـهُ ۚ إِنَّهُـمْ كَـانُوا يُسَـارِعُونَ فِي الْخَيْـرَاتِ وَيَـدْعُونَنَا رَغَبًـا وَرَهَبًـا ۖ وَكَـانُوا لَنَـا خَاشِـعِينَ (90) وَالَّتِي أَحْصَـنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (91) ﴾.

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس، و أنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام، و أنه اتخذ لها محرابًا وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات، وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها، وبأنه سيهب لها ولدًا زكيًّا يكون نبيًّا كريمًا طاهرًا مكرمًا مؤيدًا بالمعجزات، فتعجبت من وجود ولد من غير والد، لأنها لا زوج لها، ولا هي ممن تتزوج فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، فاستكانت لذلك و أنابت وسلمت لأمر الله، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها،

فإن الناس يتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل.

وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورة لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء، فبينما هي يومًا قد خرجت لبعض شؤونها و﴿انتَبَذَتْ﴾ أي انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ فلما رأته ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا﴾ قال أبو العالية: علمت أن التقي ذو نهية. وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه "تَقِيٌّ" فإن هذا قول باطل بلا دليل، وهو من أسخف الأقوال.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي خاطبها الملك قائلًا ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي لست ببشر ولكني ملك بعثني الله إليك ﴿لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾ أي ولدًا زكيا.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا﴾ أي ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلًا ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي وعد أنه سيخلق منك غلامًا ولست بذات بعل ولا تكونين ممن تبغين ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي وهذا أسهل عليه ويسير لديه، فإنه على ما يشاء قدير.

وقوله ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلًا على كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر و أنثى. وقوله ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفوليته وكهوليته، بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأضداد والأنداد.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾. يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها، يعني أن هذا أمر قد قضاه الله وحتَّمه وقدره وقرره، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق واختاره ابن جرير، ولم يحك سواه. والله أعلم.

ويحتمل أن يكون قوله ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾.

فذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ومن قال إنه نفخ في فمها أو أن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها، فقوله خلاف ما يُفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن، فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام، و أنه لما نفخ فيها الروح ولم يواجه الملك الفرجَ بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه، كما قال تعالى:

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فدل على أن النفخة ولجت فيه لا في فمها، كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي فحملت ولدها ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعًا، وعلمت أن كثيرًا من الناس سيكون منهم كلام في حقها، فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عُباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار، وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجبًا شديدًا، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج، فعرَّض لها ذات يوم في الكلام فقال: يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم، فمن خلق الزرع الأول. ثم قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى. قال لها: فأخبريني خبرك. فقالت: إن الله بشرني ﴿اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾.

ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها فأجابته بمثل هذا. والله أعلم.

وذكر السدي بإسناده عن الصحابة: أن مريم دخلت يومًا على أختها فقالت لها أختها: أشعرت أني حبلى؟ فقالت مريم: وشعرت أيضًا أني حبلى؟ فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى: إني أرى ما في بطني يسجد لما في

بطنك وذلك قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾ ومعنى السجود ها هنا الخضوع والتعظيم، كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم.

وقال أبو القاسم: قال مالك: بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملها جميعًا معًا، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. قال مالك: أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام، لأن الله تعالى جعله يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص. رواه ابن أبي حاتم.

وروى عن مجاهد قال: قالت مريم كنت إذا خلوت حدثني وكلمني وإذا كنت بين الناس سبح في بطني.

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعن، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر.

وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر، وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعته. قال بعضهم: حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك بقوله ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه، كقوله: ﴿فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ وكقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يومًا كما ثبت في الحديث المتفق عليه.

قال محمد بن إسحاق: شاع واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل بيت زكريا.

قال: واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذي كان يتعبد معها في المسجد، وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم و انتبذت مكانًا قصيًا.

وقوله: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي فألجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة، وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي بإسناد لابأس به عن أنس مرفوعًا والبيهقي بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعًا أيضًا ببيت لحم الذي بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ما سنذكره هذا البناء المشاهد الهائل.

﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتن، وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه المعتكفات فيه، ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت ﴿نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ أي لم تخلق بالكلية.

وقوله: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ وقرأ من تحتها على الخفض وفي المضمر قولان: أحدهما أنه جبريل. قاله العوفي عن ابن عباس قال: ولم يتكلم

عيسى إلا بحضرة القوم. وبهذا قال سعيد بن جبيروعمرو بن ميمون والضحاك والسدي وقتادة. وقال مجاهد والحسن و ابن زيد وسعيد بن جبيرفي رو اية: هو إبنها عيسى. واختاره ابن جرير.

وقوله ﴿ أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾. قيل النهروإليه ذهب الجمهوروجاء فيه حديث رواه الطبر اني لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والربيع بن أناس وبن أسلم وغيرهم أنه ابنها. والصحيح الأول لقوله ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ فذكر الطعام والشراب ولهذا قال ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾.

ثم قيل: كان جذع النخلة يابسًا وقيل كانت نخلة مثمرة فالله أعلم. ويحتمل أنها كانت نخلة، لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك، لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الأمتنان ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ قال عمرو بن ميمون: ليس شيء أجود للنفساء من التمروالرطب ثم تلا هذه الآية. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا شيبان، حدثنا مسروربن سعيد التميمي، حدثنا عبد الرحمن بن عمروالأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: "أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجرشيء يلقح غيرها" وقال رسول الله ﷺ: "أطعموا نساءكم الولد الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر، وليس من الشجرشجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران".

وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ، عن مسروق بن سعيد، وفي رواية مسروربن سعد. والصحيح مسروربن سعيد التميمي، أورد له بن عدي هذا الحديث عن الأوزاعي به ثم قال: وهو منكر الحديث ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث.

وقال ابن حبان: يروى عن الأوزاعي المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج ممن يرويها.

وقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾. وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا، فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي فإن رأيت أحدًا من الناس ﴿فَقُولِي﴾ له أي بلسان الحال والإشارة ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا﴾ أي صمتًا، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام. قاله قتادة والسدي و ابن أسلم.

ويدل على ذلك قوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ فأما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها فمروا على محلتها والأنوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي أمرًا عظيمًا منكرًا، وفي هذا الذي قالوه نظر، مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته

بنفسها وأتت به قومها وهي تحمله. قال ابن عباس: وذلك بعدما تعالت من نفاسها بعد أربعين يومًا.

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال.

ثم قالوا لها ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة وكان اسمه هارون. قاله سعيد بن جبير. وقيل أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسبًا فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع، وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون ضربت بالدف يوم نجا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملأه، فاعتقد أن هذه هي هذه.

وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن كما قررناه في التفسير مطولًا ولله الحمد والمنة.

وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها. والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن إدرس، سمعت أبي يذكره، عن سماك، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا: أرأيت ما تقرأون: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال فرحت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم".

وكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن إدريس، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه وفي رواية: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم و أنبيائهم".

وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهارون حتى قيل إنه حضر بعض جنائزهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهارون أربعون ألفًا. فالله أعلم.

والمقصود أنهم قالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبي اسمه هارون وكان مشهورًا بالدين والصلاح والخير، ولهذا قالوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك، فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء.

فذكر ابن جرير في تاريخه أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك إبليس بطرف رداءه فنشره فيها كما قدمناه. ومن المنافقين من أتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار.

فلما ضاق الحال و انحصر المجال وامتنع المقال، عظم التوكل على ذي الجلال، ولم يبقى إلا الإخلاص والإتكال ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي خاطبوه وكلموه فإن جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه، فعندما ﴿قَالُوا﴾ من كان منهم جبارًا شقيًا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي كيف تحيلين في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب، وهو مع ذلك رضيع

في مهده ولا يميز بين مخض وزبدة، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والتنقص لنا والازدراء، إذ لا تردين علينا قولًا نطقيًا، بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيًا.

فعندها ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

هذا أول كلام تفوه به عيسى بن مريم، فكان أول ما تكلم به أن ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله، بل هو عبده ورسوله و ابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم، كما قال تعالى ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنى في زمن الحيض، لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة و اتخذ ولدها نبيًا مرسلًا أحد أولي العزم الخمسة الكبار ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة، والإحسان إلى الخليقة بالزكاة، وهي تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الأصناف وقرى

الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقرابات وسائروجوه الطاعات و أنواع القربات.

ثم قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي وجعلني برًا بوالدتي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها، فسبحان من خلق الخليقة وبراها وأعطى كل نفس هداها، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي لست بفظ ولا غليظ، ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته.

﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ وهذه المواطن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام".

وكانت هذه قصة مريم كما بسطها ابن كثيررحمه الله.

العبر المستخلصة من قصة مريم عليها السلام

من أبرزما يلفت الانتباه في قصة مريم عليها السلام، أنها المرأة الوحيدة التي ذكرها الله تعالى باسمها بشكل مباشر"مريم"، وهي المرأة الوحيدة التي قصّ علينا القرآن قصتها كاملة، وتكررذكرها في عدة مقامات في عدة سور، بينما بقية النساء ذكرن عرضًا لا قصدًا. قال الله تعالى ﴿وَاذْكُرْفِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ كما كان يقول تعالى ﴿وَاذْكُرْفِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ﴾، وبالمثل إسماعيل وإدريس لما في قصتها من حضور مهم في الرد على النصارى واليهود وفرياتهم.

فقصة مريم مرتبطة بقصة نبي الله عيسى عليه السلام، ومعجزة خلقه بدون أب، ونسبة عيسى لأمه معلم حق ثابت في القرآن في هذا المقام، فنجد الله تعالى يقول: "عيسى ابن مريم" أو يقول "المسيح ابن مريم" أو يقول "المسيح عيسى ابن مريم".

لأن نسبة عيسى لأمه إعجاز في خلق المسيح، الذي لم يولد من أب كما يولد بقية البشر إلا آدم عليه السلام، قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

وقد ورد ذكر مريم بنسبة إلى أبيها لا ابنها في مقام واحد في القرآن في سورة التحريم قال تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم: 12).

ذلك أن مقام الآية لا يتعلق بمعجزة خلق عيسى ولا مقام رد على النصارى إنما هو مقام ذكر لمناقب مريم ومدح وثناء عليها وعلى تقواها، فاقتضى الأمر ذكر اسمها الكامل كما أنه مدح لما قبل ولادة عيسى عليه السلام.

لقد أثنى الله تعالى على مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها، والسياق في هذه السورة كان في ذكر النساء ومنهن امرأة فرعون وامرأة لوط وامرأة نوح على عكس ظهورها في سورة الأنبياء حيث لم يذكر اسمها لأن السورة تركز على الأنبياء وهم أعلى مقاما.

ولعل أهم العبر المستخلصة من قصة مريم هي:

- اجتهادها اللافت في العبادات وتقديمها المثل والقدوة للمرأة المؤمنة العابدة التي يبارك الله لها في حياتها فتنعم بحياة طيبة ويسخر لها الخيرات والمؤمنين، وتلك ولاية الله للذين آمنوا لا تستبدل بكل ما في الأرض!.
- تقواها وعفتها وخشيتها على شرفها وسمعتها، فقد كانت شديدة العفة تحفظ نفسها وتصونها وقد سخّرت نفسها لخدمة دين الله تعالى، وهذا ما نلاحظه في حوارها مع الملك و أيضا عند لحظات الولادة. ثم تفكيرها فيما يكفّ ألسنة الناس عنها يدل على حكمة وبصيرة وعزة المؤمنة الموحدة. فكان تأييد الله لها بأن أنطق ابنها الرضيع! وهنا معادلة تتكرر في تاريخ المؤمنين، بقدر إيمانك وثباتك عليه واستجابتك لربك، تنال المعية الربانية التي لا تضاهيها معية!
- صبرها وتصبرها وتجلدها في المو اقف فقد مرت مريم بمو اقف عظيمة مزلزلة من حملها وولادتها ومواجهتها قومها، كل ذلك وهي لوحدها! ومع ذلك تميّزت برباطة الجأش والثبات واليقين والاستعانة بالله العظيم. واستمرت كذلك حتى حين عاينت العداء والخطر الذي يتربص بابنها، والأم عادة تضعف أمام مو اقف الأذى لابنها، لكنها كانت في كل ذلك صابرة عابدة محتسبة ومن ذلك جاء وصف "القانتة" كما شهد لها الله تعالى ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.
- تحملها لضريبة الحق ووقوفها مع ابنها أمام قومها وكل من عاداه، فلم تضعف ولم تستكين ولم تتحرج من الحق الذي تؤمن به ومن

إعلاء كلمة الله والتوحيد. وهكذا تفعل دعوة الحق في قلب المؤمنة الموحدة!

إن قصة مريم قصة المرأة العابدة المجتهدة التقية القانتة، الراكعة الساجدة، الشكورة العفيفة الحييّة، التي اصطفاها الله تعالى، فكانت نعم الأمة لربها، ثم نعم الأم لابنها النبيّ، تحملت تكاليف الدعوة للتوحيد بصبر ومصابرة وإعظام توكل ويقين، ثابتة صابرة مصابرة، فعليها وعلى ابنها السلام!

قصة امرأة زكريا

قصة أخرى عرضتها سورة آل عمران وهي قصة امرأة زكريا عليه السلام، حيث يرد ذكرها في الآية 40 من سورة آل عمران. قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

كما ورد ذكره في مواضع ثلاث أخرى، في قوله تعالى ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ (مريم: 5)

وقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (مريم : 8)

وقال تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: 90)

ملخص قصة زوجة زكريا

لم يذكر اسم زوجة زكريا في القرآن ولا السنة لكن بحسب المؤرخين قيل اسمها إيشاع أو أشياع بنت عمران، وقيل بنت فاقوذ بن قبيل، وهي زوجة نبي الله زكريا، وأم نبي الله يحيى، حيث ولدته على سنّ كبيرة وهي كذلك خالة عيسى عليه السلام أو خالة أمه بحسب تاريخ الطبري.

وقيل هي أيضا أخت امرأة عمران، أم مريم، وقال ابن كثيررحمه الله في قصص الأنبياء: "و إنما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء: فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة فجاء على قول الجمهوركما هو ظاهر الحديث، فإن أم يحيى "أشياع" بنت عمران أخت مريم بنت عمران. وقيل بل "أشياع" وهي امرأة زكريا، أم يحيى هي أخت حنة امرأة عمران أم مريم، فيكون يحيى ابن خالة مريم فالله أعلم".

ويقال أن اسمها هو إليصابات بحسب الصيغة اليونانية لاسم لفظه في اللغة العبرية (إليشيبا أو اليشبع)، أي "الله قسم" ومعناه المكرسة للرب، وهو اسم امرأة تقية من سبط لاوي ومن بيت هارون. وفي الإنجليزية هو إليز ابيث حيث عرّب الاسم إلى "إليَصابات" كما في كتب التاريخ العربي، وأصل التاء ثاء، لكن قيل أن العرب خففوها فجعلوها تاء.

وكانت صاحبة شرف ومكانة في بيت النبوة. وكانت عاقرًا، كما ذكر ذلك القرآن قال زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أي: ابنًا. والعاقرهي المرأة التي لا تلد، لكن بعد دعاء زوجها النبي زكريا عليه السلام، أصلحها الله تعالى فأنجبت النبي يحيى عليه السلام.

وورد في القرآن لفظ ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾، قال الطبري:"إن الله أصلح لزكريا زوجه بأن جعلها ولودًا حسنة الخَلق والخُلق، وكل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضها دون بعض في

كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد بعض دون بعض".

ومن أبرز صفات زوجة زكريا الجليلة مع زوجها، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السر في إيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) وهذه الجملة جاءت تعليلا لما قبلها من إحسانه سبحانه إلى أنبيائه.[1]

ومن أبرز صفات زوجة زكريا وزوجها عليه السلام، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي أنهم أهل عبادة، رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله سبحانه، ورهبة منهم من عذابه وعاقبه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته، وكانوا متذللين ولا يستكبرون عن عبادة الله تعالى.[2]

وجاء في قصص الأنبياء لابن كثير:"عن ابن عباس ﷺ: أنه لم تلد العو اقر مثله. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي دلالة على حمل امرأتي، لأنها عاقر وقد كبرت وأسنت قال تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: صحيحًا سليمًا من غير بأس ولا خرس، وكان الناس ينتظرون خروجه من وراء المحراب، فخرج عليهم متغيرًا لونه، فأنكروه وقالوا له: ما لك؟ فكتب لهم في الأرض ﴿.. أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا... ﴾ لأنه كان يخرج عليهم بكرة وعشيًا، فلما كان وقت حمل امرأته إنشاع ومنع من الكلام خرج إليهم وأمرهم بالصلاة (إشارة)، ولما تم حملها ولدت يحيى عليه السلام، ولما صارله من العمر ثلاث سنين أتاه الله الحكم

---

[1] تفسير أبي السعود، ج6 ص 83.

[2] تفسير الطبري.

صبيًا، قرأ التوراة وهو صغير وذكر في "تاريخ ابن الوردي": أن إيشاع ولدت يحيى عليه السلام قبل ما ولدت مريم عليها السلام عيسى بستة أشهر، فكان مولد يحيى سنة أربع وثلاثمائة لغلبة الاسكندر، ولهبوط آدم عليه السلام خمسة آلاف، وخمسمائة وأربع وثمانين".

وكانت هذه قصة زوج نبي وأم نبي!

العبر المستخلصة من قصة زوجة زكريا

إن أول عبرة من قصة زوجة زكريا عليه السلام، ذلك الصبر الذي تحلى به الزوجان عند حرمانهما نعمة الذرية وبقاء اليقين بقدرة الله تعالى على الاستجابة لدعائهما نابضًا في تفاصيل قصتهما رغم كبر سنهما وتضاؤل فرص تحقيق حلمهما.

وكانت زوجة زكريا نعم الزوجة لزوجها، وسبب ذلك هو عنايتها بأسباب الخيرية، وهي المسارعة في طاعة الله تعالى والعمل بما يقربهما إلى الله، فقدما نموذجًا للزوجين العابدين المخلصين والمتعاونين على البر والتقوى والصابرين على ابتلاءات الفقد، وفي ذلك الدرس الجليل لكل زوجين حرما الذرية، فأكرم الخلق، الأنبياء ابتلوا بالعقم وحرمان الذرية ولم يؤثر ذلك في يقينهم بقدرة الله تعالى ولم يضعف همتهم في المسابقة في الخيرات والعبادة والبر كما أنه لم يفسد الودّ بين الزوج والزوجة ولم يعكّر حقيقة

السكن. بل كانت هذه الصنائع من المعروف وهذا الرضا بما قضاه الله تعالى وقسمه، من أسباب استجابة الله تعالى لهما.

فعلى المسلمة العاقلة أن تكون من المسارعين بالخيرات والداعين الله تعالى رغبة ورهبة ومن الخاشعين في العبادات. قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11)﴾ (الواقعة)، وأن تتحلى بالصبر واليقين في حالات الابتلاء والفقد وأن تقدم لنفسها من الأعمال الصالحة والدعاء المبذول بأسبابه، ما يوجب لها الفرج والرحمة والعوض.

كما أن ها هنا لفتة طيبة، للأزواج الذين حرموا الذرية، أن علاقتهما لا تتأثر ما دامت لله وفي سبيل الله، فهما عابدين متعاونين على البر والتقوى، فإن شاء الله وهب لهما الذرية وإن شاء جعل ابتلاءهما بفقدها امتحان صدق لهما. ولا يبقى مثل العمل الصالح، فإن لم يكن ولدًا صالحا يدعو لهما، فليكن عملا صالحًا يشهد لهما.

وتقودنا هذه المعاني لمفهوم أشمل للسكن والمودة والرحمة بين الزوجين، قال ابن كثير في تفسيره[1]: "وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: خلق لكم من جنسكم إناثا يكن لكم أزواجا، لتسكنوا إليها)، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: 189) يعني بذلك: حواء، خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر. ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورًا وجعل إناثهم من

[1] في "التفسير"(6/ 309)

جنس آخر من غيرهم، إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس.

ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الر أفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون".

وقال ابن القيم رحمه الله [1]: "وقد امتن الله سبحانه بها على عباده فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: 21﴾؛ فجعل المرأة سكنا للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحب، وهو المودة المقترنة بالرحمة".

فإن سكنت الروح اكتملت، فأوجبت استقامة ومسابقة وشكرًا.

وهكذا عرضت لنا سورة آل عمران قصص ثلاث نساء مؤمنات كريمات: امرأة عمران، ومريم، وامرأة زكريا، ثلاث قامات موحدة سامقة جليلة، في كل واحدة مدرسة من التوحيد والأخلاق والأدب والمسابقة بالخيرات،

[1] الداء والدواء (552)

تستوجب الاقتداء، قد سجلن أسماءهن في سجل الخالدات، فالعقبى لكل مسلمة موحدة.

وحين نتأمل مناسبة السورة وعنايتها بالرد على النصارى وحديث الجهاد والابتلاء في سبيل الله، نبصر صلة المرأة الصالحة الوطيدة بنصرة دعوة التوحيد ومهمة إعلاء كلمة الله تعالى في ساحات الدعوة والجهاد، الجناحان المهيبان اللذان يحلق بهما المسلم والمسلمة!

وهي قاعدة رسختها النصوص والواقع، كلما اشتد الإيمان في قلب المؤمن والمؤمنة نبض بسنام الأمر، فلا تجد مؤمنًا كاذبًا أو خائنًا أو بخيلا أو جبانًا، بل دأب المؤمنين والمؤمنات المسابقة في ميادين البذل والفداء، بعضهم أولياء بعض، قد علم كل منهما أهمية ثغره وطبيعة دوره، فكان التكامل في أبهى صوره عملًا ووجلًا!

قصص النساء القرآنية في سورة النساء

مِن أبرزِ المقاصدِ التي تَضمَّنتها سورةُ النِّساء[1]:

- الاهتمامُ بالعقيدة وتوحيدِ الله سبحانه وتعالى وقضايا الإيمان، والردُّ على العقائد الباطلة، و إيضاح الحُجَّة على صِحَّة نبوَّة محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والتحذير من المنافقين.
- العناية بالأُسرة، وتنظيم العلاقة بين الزوجينِ، وحقوق الأرحام، وبيان نظام الإرْث، وتقسيم التَّرِكات.
- الاهتمام بأُسُس بناء الدولة الإسلاميَّة، ومقوِّماتها، والجهاد في سبيل الله.
- الاهتمامُ بحِفظ الدِّماء وأحكامها، وحِفظ الأموال، ورعاية حقوق اليتامى.

▪ قصة النساء المستضعفات في مكة

إنها قصة نساء مكة المستضعفات، ورد ذكرهن في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى، في سورة النساء، في قول الله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ

[1] موسوعة التفسير

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: الآية 75).

وفي قوله تعالى ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (النساء: 98).

وفي سورة الفتح في قوله تعالى ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الفتح: 25).

ملخص قصة النساء المستضعفات في مكة

جاء في حديث أبي جمعة جنيد بن سبع الأنصاري[1]، بيان عدد أولئك النسوة المستضعفات حيث قال: وكنا ثلاثة رجال وتسعة نسوة وفينا نزلت ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: 25).

وقال عبد الله بن عباس ﷺ: "كنت أنا وأمي ممن عذر الله"، وأمه هي أم الفضل لبابة الكبرى ابنة الحارث بن حزن، وينتهي نسبها إلى مضر، كان

[1] أبو جمعة جنيد بن سبع الأنصاري، اختلف في اسمه والأرجح أن اسمه حبيب، صحابي شهد فتح مصر، (انظر الإصابة ج 4- ص33)

إسلامها بعد خديجة بن خويلد ﵂، فهي ثاني من أسلم من النساء، وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس، وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويقيل في بيتها، وكانت تصوم الاثنين والخميس، فقال عبد الله بن يزيد الهلالي عنها:

ما ولدت نجيبة من فحل

كستة من بطن أم الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل.

ويبيّن الله تعالى لنا في هذه الآيات خبر أولئك القوم المؤمنين نساءً ورجالًا، الذين تخلفوا عن الهجرة بسبب عجزهم عنها، فلم يكن لديهم قوة عليها ولا نفقة تكفي تغطية تكاليف هجرتهم إلى المدينة أو كان حالهم حال من لا يعرف الطريق الموصلة إلى المدينة، فكان عجزهم هذا سبب بقائهم مضطهدين مستضعفين في مكة، ولكنهم ثبتوا على دينهم واستمروا في الدعاء بإلحاح يسألون الله عزوجل أن يجعل لهم مخرجًا ويخرجهم من القرية الظالم أهلها، وكان فيهم نساء كما صرحت بذلك الآيات، ومثل ما أوذي الرجال، نلن صنوفًا من العذاب والاضطهاد، فقد كان أعداء الإسلام في مكة يحبسونهم ويضربونهم ويعذبونهم بالجوع والعطش

وبإلقائهم في رمضاء مكة، ويخيرونهم بين الردة عن دينهم أو العيش بذلة وأذية مستمرة.

وفي هذه الأثناء غفل المسلمون في المدينة عن نجدة إخوانهم وعن الجهاد لتخليص إخوانهم المستضعفين فعاتبهم الله عزوجل على ذلك، وحرّضهم على إنقاذ المؤمنين والمؤمنات المستضعفين في مكة، قال عزوجل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ (النساء : 79) أي في سبيل الله وسبيل نجدة المستضعفين. وكان المسلمون قد منعوا من قتال أهل مكة عام الحديبية.

قال ابن كثير- رحمه الله-: "قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ أي بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطناكم عليهم فلقتلتموهم و أبدتم خضراءهم ولكن من بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات، أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهذا من حكمة الله تعالى ورحمته بأوليائه".

وقال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (75) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)﴾ (النساء : 75-76).

"يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها، ولهذا قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني ﴿ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (75) ﴾ أي: سخر لنا من عندك وليًّا وناصرًا.

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن عبيد الله قال سمعت ابن عباس قال: كنت وأمي من المستضعفين".

العبر المستخلصة من قصة المؤمنات المستضعفات في مكة

إن الاستضعاف قد يصل إلى درجة، يُعجز المؤمنين عن الهجرة، لكن لا يعني أن يرتد المؤمن والمؤمنة عن دينهما أو تأخذهما الدنيّة فيه.

وهما في حكم المكره لكن لا يعني التعايش وقبول الطواغيت والكفر والردة وعدم إنكاركل ذلك وكل معصية وتعدي لحدود الله تعالى ولو كان إنكارًا بالقلب، فهو أضعف الإيمان.

ولا يعني أيضا أن لا يحاولا السعي للهجرة عند أول فرصة ممكنة، وفي ذلك لزوم استنفاذ المسلم من أيدي الكفارومثل هذا استنفاذه من كل مضرة من ظالم أو لص وغير ذلك.

ونرى كيف يحث القرآن المسلمين على الرفق ببعضهم البعض ونجدة المستضعفين فيهم، وأخذ الحيطة في معاملتهم حتى لا يؤذى مؤمن أو مؤمنة بغير علم.

كما تبقى الحيلة ممكنة للخلاص من الظلم ولعدوان والنجاة بالدين. فنصرة الإيمان أبواب وفصول ولا يركع مؤمن لكافر ولا يخضع له إلا مكرهًا لكنه يعمل على التحرر من قبضته ولا يفتر له جهد في جمع أسباب ذلك.

ونرى في هذه القصة، شدّة عداوة الذين كفروا والطواغيت، فهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمّة وما نقموا منهم إلا لإيمانهم! وهو مشهد يتكرر كل زمان ومكان، وتبقى العداوة واحدة وإن تغيرت وسائل العدوان وإن توالت الطواغيت والأزمنة.

ومع ذلك يبقى الفرار إلى الله تعالى في المصائب والنوازل والمحن سنة، فالدعاء والاستغاثة بالله تعالى يظهر هنا عظيم مقام الربوبية بسؤال الله تعالى بقول "ربنا"!

وإن كان من درس بارز مستفاد من وجوب الهجرة في مقام استضعاف فهو إسقاط الإسلام لصنم الوطنية التي أضحت مرضًا مستشريًا في زماننا، فأرض الله واسعة، وأرض المؤمن وموطنه هي حيث يمكنه أن يعبد ربه ويقيم شعائر دينه، وقد أبدل الله عباده المؤمنين بأفضل من الوطنية، إنه الولاء بين المؤمنين الذي لا يزال معلمًا بارزًا في مشهد كل صراع واستضعاف.

وهذا يقودنا للحديث عن ولاية الله للمؤمنين الأعظم.

ولذلك كان للهجرة الفضل العظيم، لمن ينجو بدينه من القوم الظالمين، فالهجرة في سبيل الله والنصرة للدين هي من دلالات الصدق مع الله عز وجل والسبب الأهم لتكفير ذنوب المهاجر، قال تعالى ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ (آل عمران : 195).

من ذلك نفهم لماذا جعلت الشريعة، الهجرة، السبب في التفاضل في الإمامة، قال النبي ﷺ:"يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة". صحيح مسلم.

والهجرة في سبيل الله عبادة ثقيلة على قلوب الناس، لأن فيها الترحال والابتعاد عما ألفوه من أرض وأهل وعادات ومعارف وغيره مما ينعم به الإنسان وسط أهله وإخوانه، ولأن فيها انقطاعًا عن سند الأهل والقبيلة، فضلا عن أن الهجرة بعيدًا في الأرض لها تكاليف ثقيلة أيضًا من حيث المراغمة والبعد والوحشة والحرمان والخوف وبارقة السيوف والمخاطرة وغيره من تكاليف السير في أرض جديدة بدون سند ولا حاشية ولا ملك، ومن تكاليف عبودية المراغمة! إلا أنه في المقابل يحظى المهاجر في سبيل الله بمعية الله ﷻ التي لا تُبارى، فهو يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة! فالله تعالى يبدله بدل أهله، بتأييد المؤمنين الغرباء له، ويسخّر له من مخلوقاته وقدرته ﷻ، من حيث لا يحتسب ويعجز عن تصوره العبد،

ويؤنس وحشته بالعبادات والقرآن وتثبيت الملائكة له، ويعوّضه بنصرته لدين الله تعالى، معية وتأييدًا ويسرًا وتوفيقًا من الله تعالى يغنوه عن كل الناس! قال الله ﷻ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: 100).

ويكفي المهاجر في سبيل الله شرفًا وفضلًا قول الله تعالى ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. فيا لها من تجارة رابحة وصفقة منجية! كيف لا تكون وقد هانت كل الدنيا في عين المهاجر فداء لدين الله الإسلام!

وبهذا جاءت قصة النساء المستضعفات في مكة لتسلط الضوء على عبادة الهجرة والنصرة للمستضعفين من المؤمنين والمؤمنات، ولتبيّن أن هذا الدين لا يرضى الاستضعاف بل يجب بذل كل الأسباب لنصرة المستضعفين و إقامة صرح الإسلام الذي يستقوي فيه المؤمنون والمؤمنات فلا يذلّون لطاغية ولا عدو! جاءت الآيات لتعيد الاعتبار لفريضة الجهاد، سنام الأمر التي حاولت الدعوات المعادية تغييبها وطمرها ويأبى الله إلا أن تستمر شامخة عزيزة مؤيدة بنصره وبالمؤمنين.

ولعل أهم درس يجب أن نذكره في هذا المقام هو تذكير الذين يعيشون في حالة استضعاف سواء أكانوا في بلاد المسلمين أو الغرب والشرق الكافرين، أن الهجرة واجبة في حالهم والسعي لها من أوجب الواجبات، وأما من يحتج بمعيشة أيسر ومداخيل وأموال كحال من يعيش في الدول الأوروبية وهو يرى كيف يُختطف أبناء المسلمين بقوة قانون "السوسيال"

فيتم وضعهم في أسر كافرة وشاذة، فإن عليه أن يتذكر بخشية عظيمة قول الله تعالى ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ﴾ (النساء : 97). فالأمر جدّ وليس بهزل!

ومن أهم المعاني المهيبة التي يجب العناية بها، نصرة المسلمين المستضعفين في الأرض، ويكون ذلك بقدر الاستطاعة من دعاء و إنفاق ونصرة إعلامية ودعوية وتعليمية وسياسية وجهادية، وتحسس حاجاتهم وتفقد أحوالهم والسعي في رفع الكرب عنهم وهو من أوجب واجبات المسلم في زماننا في وقت يتعرض فيه المسلمون للإبادة بطرق بشعة وشديدة المكر كما هو حال الإيغور في الصين، والروهينجا في بورما، والمسلمون في الهند والفلسطينيون والسوريون والعراقيون تحت الاحتلال الصهيوني والنصيري والرافضي على التوالي، وفي بلاد إفريقيا وفي كل مكان وجد فيه طاغية يسوم المسلمين سوء العذاب!

ومما يؤنس القلب في قصة النساء المستضعفات ويحمل العزاء الأوفى للمؤمنين والمؤمنات، أن الله تعالى لا يحرم الذكر والأنثى -على حد سواء- الأجر والفضل في مقامات الصبر والبذل والفداء للدين، قال عز وجل ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: 195).

فسلام الله على المهاجرين والمهاجرات في سبيل الله، وسلام الله على الأنصاروالأنصاريات في سبيل الله! فإنما هي عبادات تتكامل، هجرة ونصرة، وبذلك سبق السابقون الأولون ومن تبعهم بإحسان! وكل ذلك من فقه الدعوة والجهاد وواجب التمكين لدين الله ﷻ وإعلاء كلمته وحده لا شريك له.

ولا أجمل ولا أفضل ولا أجلّ من تربية على فقه وبصيرة مدرسة المهاجرين والأنصار.

ونلاحظ أن سورة النساء على طولها وعظمة آياتها واختلاف مواضيعها، ذكرت قصة واحدة من قصص النساء وكانت هذه القصة في مقامها تماما بشكل يدعو للتفكر والتكبير!

فسورة النساء اهتمت بشكل أساسي بالعقيدة وتوحيدِ الله سبحانه وتعالى وقضايا الإيمان، والردّ على العقائد الباطلة، و إيضاح الحُجَّة على صِحَّة نبوَّة محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والتحذير من المنافقين.

وركزت في الوقت نفسه على واجب العناية بالأُسرة، وتنظيم العلاقة بين الزوجينِ، وحقوق الأرحام، وبيان نظام الإِرْث، وتقسيم التَّرِكات.

ر افق هذا الاهتمام المهيب بالأسرة والمرأة، الاهتمام بأُسُس بناء الدولة الإسلاميَّة، ومقوِّماتها، والجهاد في سبيل الله. الذي يتصل بشكل وطيد

بالاهتمامُ بحِفظ الدِّماء وأحكامها، وحِفظ الأموال، ورعاية حقوق اليتامى.

فجاءت قصة النساء المستضعفات في قلب هذا الطرح المهيب متصلة بهذه المنظومات المتكاملة، لتؤكد على تكامل دور المرأة المسلمة وواجب تأمينها في الأمة ودولة الإسلام.

قصص النساء القرآنية في سورة المائدة

مِن أَهمِّ المقاصدِ التي تَضمَّنَتْها سورةُ المائدةِ: [1]

- التَّأكيدُ على حِفظِ العُهودِ والمواثيقِ والوفاءِ بها.
- بيانُ الكَثيرِ من الأحكامِ الشَّرعيَّةِ.
- تَنظيمُ العَلاقاتِ بينَ المسلمينَ وغَيرِهم.

قصة مريم

تكررذكرمريم في سورة المائدة وسبق تفصيل قصتها في سورة آل عمران حيث ذكرت لأول مرة. وسياق الآيات في سورة المائدة محاججة للنصارى و إقامة للحجة عليهم فكان حضورقصة مريم الصديقة ضروريًا، حيث أكدت الآيات على حقيقة مريم البشرية ومريم المخلوقة، الأمة لله تعالى التي أنجبت نبيًا يدعو لله وحده لا شريك له.

ولم يرد في سورة المائدة قصة امرأة غيرقصة مريم عليها السلام.

[1] موسوعة التفسير

قصص النساء القرآنية في سورة الأنعام

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ سُورةِ الأنعامِ[1]:

- ترسيخُ العَقيدةِ، وتعريفُ النَّاسِ بربِّهم، وتعبيدُهم له، و إقامةُ الأدلَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ، وصِدقِ رسولِه، وعلى اليومِ الآخرِ.
- مُحاجَّةُ المشركِينَ وغيرِهم من المُبتدِعينَ، ومَن كذَّبَ بالبَعْثِ والنُّشورِ، ودحْضُ شُبَهِهم.

لم تعرض سورة الأنعام أي قصة للنساء، وهي سورة عظيمة، حريّ بالمؤمنة الوقوف عند معانيها وأحكامها. وفيها آيات زاد وسند ونبراس في المسيرة لا تفوت لبيبة.

قال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن مسلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال:"نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح".[2]

و أنتقي من سورة الأنعام هذه الآيات الجليلة التي أدعو المسلمات للوقوف عندها بقلب حيّ!

---

[1] موسوعة التفسير

[2] (المعجم الكبير: 12930).

﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18) ﴾.

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (44) ﴾.

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (60) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62) ﴾.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68) ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73)﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (82)﴾.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (90)﴾.

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ

مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (104) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106)﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115) وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118)﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126) ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127)﴾.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (158) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159) مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (165)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الأعراف

مِن أهَمِّ المقاصِدِ التي تضَمَّنَتْها سورةُ الأعرافِ[1]:

- تَسليةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم في تَكذيبِ الكفَّارِ إيَّاه.
- إنذارُ مَن أعرَضَ عمَّا دعا إليه الكِتابُ في السُّوَرِ الماضِيَةِ .

قصة حواء

ورد ذكر قصة حواء عليها السلام مرة أخرى في سورة الأعراف وسيرد أيضا في سورة طه، وقد سبق التعريف بقصتها في عرضنا لها في سورة البقرة. وجاءت الآيات التي تذكر قصتها في سورة الأعراف في سياق ذكر خلق آدم وحواء وعداوة الشيطان لهما.

قصة امرأة لوط

ورد ذكر امرأة لوط في ثمانية مواضع في القرآن:

في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) ﴾ (الأعراف: 83)

[1] موسوعة التفسير.

وفي سورة هود في قوله سبحانه ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: 81).

وفي سورة الحجر في قوله ﷻ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (62) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63) وَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (64) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65) ﴾ (الحجر: 57-65).

وفي سورة الشعراء في قوله تعالى ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ﴾ (الشعراء: 170-171)

وفي سورة النمل في قوله سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57) ﴾ (النمل: 57)

وفي سورة العنكبوت في قوله عزوجل ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) ﴾ (العنكبوت: 32-33)

وفي سورة الصافات في قوله سبحانه ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ﴾ (الصافات : 134-135).

ثم في سورة التحريم في قوله عزوجل ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم: 10).

ملخص قصة امرأة لوط

لم يذكر القرآن ولا السنة اسم امرأة لوط و إنما ذكره المؤرخون على أن اسمها "هيشفع" كما ذكر ذلك الطبري في تفسيره. وقيل اسمها واهلة، وقيل والهه، كما ورد في تفسير البغوي.

وقدمت امرأة لوط نموذج المرأة العدو لزوجها، وهو في مقام نبي عليه السلام!

فقد خانت نبيّ الله لوط في دين الله فكفرت بذلك، حيث كانت تدل قومه المجرمين على أضيافه وكان يخفيهم عنهم لما يعلمه عنهم من شذوذ وفساد عظيم في فطرتهم. واستمرت على هذه الحال وقد كبرت في السن، فاستوجبت العذاب مع قومه، لإعانتها لهم على إجرامهم ولرفضها الاستجابة لدعوة زوجها عليه السلام، وقد أعلم الله تعالى نبيه بمصيرها ومصير قومه ولم يلتفت لوط عليه السلام.

وورد في تفسير قصة هلاكها اختلاف. فقد فسر مفسرون الاستثناء﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ كالطبري بقول: ﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾، بالنصب بتأويل (فأسر بأهلك إلا امرأتك) على أن لوطا أمر أن يسري بأهله سوى زوجته، فإنه نهي أن يسري بها وأمر بتخلفها مع قومها.

﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ رفعًا، بمعنى ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾، فإن لوطا قد أخرجها معه و أنه نهي لوط ومن أسري معه أن يلتفت سوى زوجته، وأنها التفتت فهلكت بذلك.

ورجح ابن كثيررحمه الله أنها بقيت مع قومها فلم تخرج، و أنه لم يعلمها لوط بما سيحل بقومه، وفسر المراد بالغابرين أنه بمعنى الباقين، ثم قال :"ومنهم من فسر ذلك ﴿ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الهالكين وهو تفسير باللازم، ثم إن الله تعالى أخبرعن مصيرها في الآخرة وهو أنه يقال لها: أدخلي النار مع الداخلين، فكانت بذلك من الأشقياء المبعدين، وفضح أمرها في العالمين، حيث سطرخبرها في كتاب الله المبين المحفوظ من رب العالمين إلى يوم الدين".

وقد ورد في خبرها الإسرائيليات، منها ما هو ثابت ومنها ما هو مردود ومنها ما هو مسكوت عنه، يقول صاحب كتاب "قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبروالأحكام المستفادة منها": "فأما ما روي من أنها خرجت مع لوط عليه السلام، وما روي أنها تخلفت عن قومها فكلا القولين محتمل، .. كما في تفسيرالاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾.

وأما ما روي من أنها مسخت حجرًا فيرده قوله تعالى﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ والذي أصاب قومها ما قاله الله تعالى﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (82) ﴾ (هود: 82) وليس في هذا ذكر للمسخ.

وأما ما روي من أنه كان للوط عليه السلام بنتان فيستأنس له بقوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ وقوله ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ والبنات من الأهل ويدل على أن الأبناء من الأهل، قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام حيث قال ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ .

وأما سوى ذلك من أخبار فلا أعلم ما يثبته ولا ما ينفيه فهو من قبيل المسكون عنه والله تعالى أعلم".[1]

العبر المستخلصة من قصة امرأة لوط

إن أول درس يتراءى لنا في قصة امرأة لوط، هو كيف أن الزوج الصالح قد يبتلى بامرأة طالحة، وأن هذا من قدره الذي قدره الله تعالى له و ابتلائه الذي كتبه الله له، فليس كل الزوجات يُسكن إليهن، وليست كل زوجة سكن! فقد تكون الزوجة عدوا، كما قال تعالى في سورة التغابن ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ (التغابن : 14).

[1] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص (109 – 110)

وخيانة زوجة لوط هنا لم تكن خيانة زوجية، إنما خيانة في الدين، قال تعالى ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم : 10)

والخيانة الزوجية للأنبياء مستحيلة بإجماع العلماء، ولكنها كانت خيانة دعوة، فلم تستجب لدعوة زوجها النبي عليه السلام فكانت كافرة.

ولا يوجد تزكية ولا حصانة في أمر الخيانة في الدين، حتى لو كانت المرأة زوجة نبيّ مرسل ولذلك أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها الكافرين العصاة.

ومع أن زوجة لوط لم تمارس إجرام قومها بنفسها إلا أن مجرد صمتها عنهم ومجرد مساعدتها لهم، كانا كافيان لينالها العذاب العظيم، وكافيان لدخولها النار، وفي ذلك الدرس المهيب بشأن ما يتربص بالمسلمين من دعوات الشذوذ التي أحدثها الغرب ويروّج لها اليوم بكل صفاقة وبلا خجل، على أنها حقوق إنسان ويتماهى معها المنهزمون من بني جلدتنا ويحسبونه هيّنًا وهو عند الله عظيم!

فإن الوقوع في مجرد الصمت أو اللامبالاة بمنكر الشذوذ والترويج له والتعاطف معه لهو جريمة كبرى تستوجب العذاب. فلا يعين مسلم ولا مسلمة على منكر، ولا يرتضيانه، وإلا فهما مشاركان في الإثم وداخلان في العقوبة.

ونرى من خلال قصة امرأة لوط كيف أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، فإذا أخذ الظالم أخذه أخذ عزيز مقتدر، فنعوذ بالله من أن يأمن العبد عذاب الله ومكر الله تعالى، فذلك هو الخسران المبين.

وفي قصة امرأة لوط يظهر عظم جريمة إفشاء سر الزوج، ولا تفعل ذلك عاقلة تقية. فما فسدت البيوت إلا من باب تضييع أماناتها و إفشاء أسرارها.

ونتعلم من قصة امرأة لوط أن صلاح الزوج لا يعني بالضرورة قدرته على إصلاح زوجته مع أنه نبيّ مرسل إلا أن فساد قلبها لم يكن يسمح لها بالاستجابة لدعوته فكانت مع الكافرين.

ولا يصل المرء لهذه الحالة من عمى البصر والبصيرة إلا بسبب الكبر والعناد فيحرم رؤية الحق، و أيضا مع استمراره في الذنوب، فهي التي يصدأ معها القلب حتى يصير رانًا.

ولعل أكثر ما يؤلم في قصة امرأة نبيّ الله لوط، أنها كانت في سن كبيرة، وهلكت في سن كبيرة، فلا عبرة بالسن في اختيار السبيل! على عكس بناتها، اللاتي كن أصغر سنًا ولكنهن اتبعن الحق فكتب الله لهن النجاة من العذاب.

و أكدت قصة امرأة لوط أن الخبيث لا يستمر مع الطيب ولا يجتمع معه، فقد فرّق الله بينهما بأن شملها بالعذاب وكتب النجاة لعبده ونبيه وبناته، والله سبحانه خبير بصير بعباده يبتليهم ويمتحنهم، قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

نُـدَاوِلُهَا بَـيْنَ النَّـاسِ وَلِـيَعْلَمَ اللَّهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَيَتَّخِـذَ مِـنكُمْ شُـهَدَاءَ﴾ (آل عمران : 140).

وفي نمـوذج قصـة لـوط تحـذير عظـيم لكـل امـرأة خائنـة لا تحفـظ دينًـا ولا أمانـة ولا رسـالة ولا عهـدًا. وسـلوى لكـل زوج ابتلـي بـامرأة عاصـية ظالمـة، فقد ابتلي بذلك أنبياء!

▪ قصة بنات لوط

ورد ذكـر بنـات لـوط في الآيـات نفسـها التي ذكـرت فيهـا امـرأة لـوط، والفـرق في قصـتهن أنهـن اسـتجبن لـدعوة أبـيهن وحفظـن الأمانـة ونصـرن دعـوة التوحيـد على عكس أمهن.

ملخص قصة بنات لوط عليه السلام

لقـد تربـت بنـات لـوط في بيـت منقسـم، بـين أب صـالح وأم طالحـة، ولكـن الله تعـالى نجـاهن بتقـواهن و اتبـاعهن الحـق، وفي ذلـك عبـرة كافيـة في أن الله تعـالى يُخـرج الصـالح مـن الطالحـة، و أنـه لا يـأس ولا قنـوط عنـد الابـتلاء بـأم عاصـية، فقـد حفـظ الله تعـالى بنـات لـوط مـن أمهـن الضـالة، ولا يعني فسـاد الأم فسـاد ذريتهـا دائمًـا، فقـد تسـتقيم الذريـة علـى الـرغم مـن فسـاد الأم، وصلاح الأب كان كافيًا في هذا المقام.

العبر المستخلصة من قصة بنات لوط عليه السلام

لقد اتبعت بنات لوط دعوة أبيهن وآمن بها، وكان ذلك سبب نجاتهن معه في حين أهلك الله أمهن وقومها. وفي ذلك درس عظيم لواجب اتباع الحق ولو كان أتباعه قلة، وعدم الانجرار لاختيارات الأغلبية حين تكون مخالفة لشريعة الله تعالى ولو بقيت المؤمنة لوحدها ولو حاربها أقرب الناس.

ثم إن فساد أحد الأبوين ليس بالضرورة فساد كل الذريّة، لذلك لا يعجز الأب أو الأم في أداء واجباتهما في التربية وتبليغ رسالة الله تعالى في حال عجز الآخر، لأن الاستجابة بحسب نقاوة القلوب وصدقها.

ولا شك أن بنات لوط ابتلين بابتلاء عظيم، وهو الابتلاء بفساد أمهن، وما كن يتمنين هذه النهاية لها، ولكن لكل نفس ما كسبت والجزاء من جنس العمل، ولذلك لم تلتفت بنات لوط كما لم يتلفت والدهن عليه السلام استجابة لأمر الملائكة، فقد كانت لحظات مفاصلة، بين الإيمان والكفر، لا عبرة فيها بصلة الدم! إنما بصلة العقيدة، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23)﴾ (التوبة : 23).

وإن كان من عبرة في هذا المقام فهي رسالة لكل فتاة ابتليت بأم قاسية عاصية، فإن الله تعالى لا يؤاخذك بجريرة أمك مهما طغت وظلمت، وإن الاستقامة والثبات على سبيل المؤمنين هي السبيل الوحيدة التي ستعوضك فقد الأم وفقد صلاحها. فلا حجة للفتاة بالمعصية بقول أن

أمها أجبرتها على ذلك أو أن أمها لا تبالي بها! بل البالغة مسؤولة عن أفعالها ومكلّفة محاسبة، فلتكن الفتيات يقظات بشدة من أن يؤتين من هذا التبرير الذي يضرهن ولا ينفعهن. وأن لا يستجبن لدعوات الأمهات المفسدات اللاتي يطالبنهن بالتبرج ويتساهلن في أمورالاختلاط و إقامة علاقات غيرشرعية، أمهات لا يحملن غيرة ولا خشية، شغلهن الشاغل اللهث خلف المال ولوكان على حساب الشرف والدين!

كما يعني ذلك أن الابنة قد تتحول لداعية لأمها حين تضلّ هذه الأم السبيل وتستمرفي دعوتها للخيروالصلاح وأعمال المعروف والبر، فإن ذلك من برالوالدين الذي هوفريضة في ديننا العظيم. فإن لم تستجب فلا يضرها ذلك فقد أعذرت عند ربها، ولا شك أن الابتلاء بفساد الأم عظيم، وأن الصبرعلى أذيتها ودعوتها للحق والنجاة، مرتبة إيمان جليلة!

وهكذا عرضت لنا سورة الأعراف ثلاث قصص للنساء، قصة حواء وامرأة لوط وبناته عليه السلام، جاءت في اتساق مهيب مع الآيات التي هدفها تَسليةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم في تَكذيبِ الكفَّارِإِيَّاه. و إنذارُمَن أعرَضَ عمَّا دعا إليه الكِتابُ في الأخبارالماضِيَةِ. فجاء عرض هذه القصص ضروريًا في مقامه ومتصلًا اتصالًا وطيدًا في مكانه ولله الأمروالحكم.

قصص النساء القرآنية في سورة الأنفال

مِن أهَمِّ مقاصِدِ سُورةِ الأنفالِ[1]:

بيانُ أسبابِ النصرِ، وبعضِ أحكامِ الجهادِ.

قال لبيد:

إِنَّ تَقوى رَبِّنا خَيرُ نَفَل وَبِإِذنِ اللَهِ رَيثي وَعَجَل

لم ترد قصص النساء في سورة الأنفال، سورة القتال، إلا أن فيها من الآيات التي تقوي قلب المؤمنة ما لا تفرط فيه عاقلة!

و أنتقي من سورة الأنفال هذه الآيات الجليلة التي أدعو المسلمات للوقوف عندها بتدبر:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾.

[1] موسوعة التفسير.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14)﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (23) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)﴾.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ

هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ(44)﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)﴾.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (51)﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53)﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55)﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62)﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة التوبة

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ سُورةِ التَّوبةِ:

- رسمُ المنهاجِ الذي يجبُ أن يسلكَه المؤمنون في علاقاتِهم مع المشركينَ، ومعَ أهلِ الكتابِ، ومعَ المنافقينَ.
- كشفُ الغطاءِ عن المنافقينَ وأصنافِهم وأوصافِهم، وفضحُ أفاعيلِهم في المجتمعِ المسلمِ.
- بيانُ كثيرٍ مِن الأحكامِ والإرشاداتِ التي تحتاجُ إليها الدولةُ الناشئةُ.[1]

هذه السورة العظيمة هي من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ، كما قال البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: 176) وآخر سورة نزلت براءة[2].

وأول هذه السورة الجليلة نزلت على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج.

---

[1] موسوعة التفسير.

[2] صحيح البخاري

لم ترد قصص للنساء في سورة التوبة إلا أن فيها وصفًا للمؤمنات ووعدًا بالأجر العظيم، ومن المعاني الجليلة والمهيبة التي لا بد أن تتدبرها المؤمنة. ما أنتقيه هنا من آيات أدعو المسلمات للوقوف عندها:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10)﴾.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (35)﴾.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (50) قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (52)﴾.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (68)﴾.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ

سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79)﴾.

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89)﴾.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (92)﴾.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (105)﴾.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110) ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121)﴾.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126) ﴾.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة يونس

مِن أهَمِّ مقاصِدِ سُورةِ يُونُس: [1]

- تقريرُ أصولِ العقيدةِ، و إثباتُ التوحيدِ والرسالةِ والبعثِ.
- دفعُ شُبَهِ المشركينَ.

كذلك سورة يونس لم تعرض قصصًا للنساء إلا أنها سورة جليلة حوت من الآيات الكثير من معاني التوحيد والإيمان.

و أنتقي من سورة يونس هذه الآيات الجليلة التي أدعو المسلمات لقراءتها بقلب يرجو رحمة ربه:

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6)﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا

[1] موسوعة التفسير.

أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)﴾.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (47) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (48) قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (55) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (56) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (61)﴾.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65)﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100) قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (101)﴾.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (108) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة هود

من أهمِّ مَقاصدِ سورةِ هودٍ:

- تثبيتُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وتَسلِيتُه.

▪ قصة امرأة نوح

ذكرت امرأة نوح في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم:

في سورة هود في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) ﴾ (هود: 40).

وفي سورة المؤمنون في قوله تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (27)﴾ (المؤمنون 27).

وفي سورة التحريم في قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: 10)

ملخص قصة امرأة نوح

لم يرد ذكر اسم امرأة نوح في القرآن ولا في السنة، وقال المؤرخون أن اسمها "واعلة" وقيل اسمها والعة، كما ورد في تفسير البغوي، وهي أم ولد نوح حام وسام ويافث ويام بحسب تفسير ابن كثير.

وامرأة نوح كحال امرأة لوط، خانت زوجها النبي نوح عليه السلام، وبدل أن تكون سنده وسكنه، كما كانت خديجة ﷺ لنبي الله محمد ﷺ، خانت زوجها وكفرت واستكبرت فاستوجبت العذاب.

وقد بلغ بها الاستكبار والظلم لنفسها أنها كانت تتهم زوجها نوح عليه السلام بالجنون، وكان تدل الجبابرة على من آمن به، كما ورد في تفسير الطبري. وبقيت على حالها كافرة معاندة ر افضة للاستجابة لدعوة زوجها النبي عليه السلام، حتى أهلكها الله تعالى مع قوم نوح، ولم يغن عنها كونها زوجة نبي، فكل من كفر بالله نال جزاءه، وستدخل النار مع الداخلين، فخسرت الدنيا والآخرة بدل أن يرفعها مقام بيت النبوة إلى مرتبة عظيمة وذلك جزاء ما قدمت لنفسها.

وكما أوضحنا في قصة امرأة لوط، فإن خيانة زوجات الأنبياء يستحيل أن تكون خيانة زوجية، فإن الله تعالى حفظ أنبياءه من أن تمس نساءهم فاحشة الزنى، ولكنها خيانة في الدعوة والدين، قال ابن عباس ﷺ في امرأة نوح وامرأة لوط:"ما زنتا، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الضيف". وقال عكرمة ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ "في الدين".

العبر المستخلصة من قصة امرأة نوح

لقد كانت امرأة نوح كامرأة لوط تحت عبد صالح ونبي مرسل. ومع ذلك لم تستجب ولم تبصر الحق لكبر في نفسها وقلب أصابه الصدأ من الذنوب. ولم يغني عنها أن يكون زوجها نبيًا حين كفرت، فالله تعالى لا يغفر الكفر. قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾.

وخيانة المرأة لزوجها جريمة كبرى، فكيف بخيانة نبي مرسل، والسخرية منه والاصطفاف مع أعدائه ضده، لقد كانت عدوًا لزوجها الصالح، كما في سورة التغابن يقول تعالى ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾.

إن هذا الدين لا يقبل المداهنة أو التطفيف، لقد كان أمر الله تعالى واضحًا أن كل من آمن يركب السفينة، وأما من أبى فلا حصانة له، لذلك نهى الله تعالى أن يحمل نوح زوجته وولده لكفرهما.

وفي ذلك دلالة على أن المرأة مكلفة محاسبة ولا شفاعة في كفر ولو كانت زوجة نبي وأن صلاح الزوج لا يعني بالضرورة صلاح الزوجة، كما لا يشفع صلاحه لها.

ولعل من أهم ما يستفاد منه من قصة امرأة نوح كما امرأة لوط، أن السكن والأمان لا يعني أنه يقع بمجرد الزواج، فقد يتزوج الصالح بالطالحة ولا يكون بينهما المودة والرحمة، ولذلك يحذر الزوج من تقديم أسراره لمن لا تستؤمن عليها ولو كانت زوجته. ولا يعني أن كونها أصبحت

زوجته فيعطيها أسراره ويستأمنها قبل أن يستوثق من دينها وأمانتها. وفي ذلك سلوى لمن ابتلي بامرأة خائنة فهو ابتلاء ابتلي به أنبياء مرسلون!

والله تعالى يمهل ولا يهمل، فلم تفرح كثيرًا امرأة نوح حتى لقيت جزاءها ولم تنفعها سخريتها من زوجها. ولا يليق بالزوجة السخرية من زوجها فهذا من ضعف التقوى والخشية. حتى لو كانت تراه ضعيفًا أو أقل مقامًا اجتماعيًا فإن السخرية منه خبث وقلة أدب موجبة لإيغار الصدور والفرقة.

و إيمان المرأة وتوحيدها هو سبيل نجاتها وليس قرابتها وصلتها بالصالحين إن لم تكن صالحة في نفسها.

وهنا تقودنا هذه المعاني إلى أن العكس أيضا صحيح، فالمرأة الصالحة قد تتزوج رجلا فاسقًا وطالحًا ومرتدًا، ولا يؤثر ذلك في ثباتها واستقامتها وإن كان فراقه هو الخير لها. فالعدو زوجًا كان أو زوجة، ابتلاء يرفع درجة المؤمن والمؤمنة إن تعاملا معه بالصبر والاستقامة والاحتساب.

▪ قصة سارة زوجة إبراهيم

ورد ذكر سارة زوجة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، في موضعين في القرآن الكريم، في سورة هود في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73) ﴾ (هود 69 : 73).

وفي سورة الذاريات في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) ﴾ (الذاريات 24 : 30).

ملخص قصة سارة زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام

إنها سارة، زوج إبراهيم عليه السلام، ورد اسمها في السنة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبارومعه سارة وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امر أتي يغلبني عليك"[1].

وبحسب المؤرخين فإن سارة هي ابنة هارون بن ناحوربن ساروج بن راعو بن فالغ وهي ابنة عم إبراهيم. كما ورد في تفسير الطبري.

وورد خبرها في القرآن في سياق ذكر قصة زوجها نبي الله إبراهيم عليه السلام، حيث دخلت عليه الملائكة عليه السلام في صورة بشر، فأكرمهم وسارع إلى تقديم الطعام لهم، فلما رآهم لا يقربون الطعام، خاف منهم فطمأنوه وأخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، لينالوا جزاء ظلمهم وطغيانهم، وكانت سارة قائمة على خدمة الضيوف، فلما سمعت خبرهم ضحكت واستبشرت غضبًا لله تعالى على قوم لوط، فكافأها الله تعالى على ذلك بأن بشرتها الملائكة بإسحاق ولدًا ويعقوب حفيدًا عليهم الصلاة والسلام. وكانت البشارة وصلت إبراهيم قبلها، وقال تعالى ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (112) ﴾ الصافات (112)

وفي هذه البشرى لإبراهيم وسارة بشارة بيعقوب وأن سارة ستعيش حتى ترى حفيدها، وكان رد فعل سارة حين بشرتها الملائكة (الذاريات : 29)

---

[1] صحيح مسلم

بقول: "يا وليتي!"، متعجبة، "أألد و أنا عجوز وهذا بعلي شيخا"، وقالت في آية أخرى ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ فكيف يمكنها الحمل في مثل هذه الحال؟ ولم يكن تعجبها من قدرة الله تعالى بل من استعظام نعمة الله تعالى عليها.

و أنكرت عليها الملائكة تعجبها، لكونها تعيش في بيت النبوة وترى الآيات والمعجزات، وقالوا لها، ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (هود : 73).

فإن الله تعالى قادر على أن يجعل العقيم ولود ولو في سن كبيرة.

خبرها في كتاب قصص الأنبياء لابن كثير

وقال ابن كثير عند "ذكر هجرة الخليل عليه السلام إلى بلاد الشام، ودخوله الديار المصرية واستقراره في الأرض المقدسة": قال الله: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ ﴾. (العنكبوت 26:27)
وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (71) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَةِ الصَّلاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾. (الأنبياء 71:72)

لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقرًا لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر،

وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله وعقبه، خلعة من الله وكرامة له، حين ترك بلاده وأهله و أقرباءه، وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عزوجل، ودعوة الخلق إليه.

والأرض التي قصدها بالهجرة أرض الشام، وهي التي قال الله عزوجل: ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

قاله أُبَيّ بن كَعب و أبو العالية وقتادة وغيرهم.

وروى العوفي عن ابن عبَّاس قوله: ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ مكة ألم تسمع إلى قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ وزعم كعب الأحبار أنها حران.

وقد قدمنا عن نقل أهل الكتاب أنه خرج من أرض بابل هو و ابن أخيه لوط وأخوه ناحور وامرأة إبراهيم سارة، وامرأة أخيه "ملكا"، فنزلوا حران فمات تارح أبو إبراهيم بها.

وقال السُّدِّي: انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام، فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران، وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن لا يغيرها. رواه ابن جرير وهو غريب.

والمشهور أنها ابنة عمه هاران، الذي تنسب إليه حران.

ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش فقد أبعد النجعة، وقال بلا علم.

ومن ادعى أن تزويج بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعًا، فليس له على ذلك دليل. ولو فرض أن هذا كان مشروعًا في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فإن الأنبياء لا تتعاطاه والله أعلم. ثم المشهور أن

إبراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجرًا من بلاده كما تقدم والله أعلم.

وذكر أهل الكتاب: أنه لما قدم الشام أوحى الله إليه "إني جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك" فابتنى إبراهيم مذبحًا لله شكرًا على هذه النعمة، وضرب قبته شرقي بيت المقدس، ثم انطلق مرتحلًا إلى التيمن، و أنه كان جوعٌ، أي قحط وشدّة وغلاء، فارتحلوا إلى مصر.

وذكروا قصّة سارة مع ملكها، وأن إبراهيم قال لها: قولي أنا أخته وذكروا اخدام الملكِ إيّاها هاجر. ثم أخرجهم منها فرجعوا إلى بلاد التيمن يعني أرض بيت المقدس، وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال.

وقال البُخَاريّ: حَدَّثَنا مُحَمْد بن محبوب، حَدَّثَنا حماد بن زيد، عن أيوب عن محمد، عن أبي هريرة قال: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتان منهن في ذات الله قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه وسأله عنها؟ فقال من هذه؟ قال: أختي فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني.

فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية مثلها أو أشد، فقال "ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلقت. فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان و إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر.

فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مَهْيَمْ. فقالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره، وأخدم هاجر.

قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء".

تفرد به من هذا الوجه موقوفًا.

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار، عن عمرو بن علي الفلاس، عن عبد الوهاب الثقفي، عن هشام بن حسام، عن مُحَمْد بن سِيرِين، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة، إذ نزل منزلًا فأتى الجبار فقيل له: إنه قد نزل هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس. فأرسل إليه فسأله عنها فقال إنها أختي، فلما رجع إليها قال إنَّ هذا سألني عنك؟ فقلت إنك أختي و إنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك و أنك أختي فلا تكذبيني عنده.

فانطلق بها، فلما ذهب يتناولها أخذ فقال: "ادعى الله لي ولا أضرك، فدعت له فأرسل، فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها. فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأرسل ثلاث مرات فدعا أدنى حشمه فقال: إنك لم تأتني بإنسان ولكن أتيتني بشيطان أخرجها وأعطها هاجر.

فجاءت و إبراهيم قائم يصلي فلما أحس بها انصرف فقال: مَهْيَمْ، فقالت: كفى الله كيد الظالم وأخدمني هاجر".

وأخرجاه من حديث هشام. ثم قال البزار: لا يعلم أسنده عن محمد عن أبي هريرة إلا هشام ورواه غيره موقوفًا.

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنا علي بن الحفص، عن ورقاء - هو أبو عمر اليشكري - عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله حين دعي إلى آلهتهم فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقوله لسارة "إنها أختي".

قال: ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك، أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس، قال: فأرسل إليه الملك أو الجبار من هذه معك؟ قال: أختي قال: فأرسل بها، قال: فأرسل

بها إليه، وقال لا تكذبي قولي فإني قد أخبرته أنكِ أختي إنْ ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك.

فلما دخلت عليه قام إليها فأقبلت تتوضَّأ وتصلِّي، وتقول اللهم إن كنت تعلم إني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلاّ على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر، قال: فغطَّ حتى رَكَضَ برجله.

قال أبو الزناد: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة "إنها قالت: اللهم أن يمت يقال هي قتلته، قال: فأرسل.

قال: ثم قام إليها، قال: فقامت تتوضأ وتصلّي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر. قال فغطَّ حتى ركضَ برجله، قال أبو الزناد وقال أبو سلمة عن أبي هريرة: إنها قالت اللهم أن يمت يقل هي قتلته، قال: فأرسل.

قال: فقال في الثالثة أو الرابعة: ما أرسلتم إليّ إلا شيطانًا أرجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها هاجر.

قال: فرجعت فقالت لإبراهيم: أشعرت أن الله رد كيد الكافرين وأخْدَمَ وليدة! تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط الصحيح.

وقد رواه البُخَاريّ عن أبي اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ به مختصرًا.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنا أبي، حَدَّثَنا سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات إبراهيم الثلاث التي قالها: "ما منها كلمة إلاّ ما حل بها عن دين الله فقال: إني سقيم، وقال بل فعله كبيرهم هذا، وقال للملك حين أراد امر أته: هي أختي".

فقوله في الحديث "هي أختي"، أي في دين الله، وقوله لها: إنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك يعني زوجين مؤمنين غيري وغيرك، ويتعين حمله على هذا لأن لوطًا كان معهم وهو نبيٌّ عليه السلام.

وقوله لها لما رجعت إليه: مَهْيَمْ؟ معناه ما الخبر؟ فقالت: إن الله رد كيد الكافرين. وفي رواية الفاجر. وهو الملك، وأخدم جارية. وكان إبراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها إلى الملك قام يصلي لله عزوجل ويسأله أن يدفع عن أهله، وأن يرد بأس هذا الذي أراد أهله بسوء، وهكذا فعلت هي أيضًا، فلما أراد عدو الله، أن ينالَ منها أمرًا قامت إلى وضوئها وصلاتها، ودعت الله عزوجل بما تقدم من الدعاء العظيم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليله إبراهيم عليه السلام.

وقد ذهب بعضُ العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة سارة وأم موسى ومريم عليهن السلام. والذي عليه الجمهور أنهن صدِّيقات رضي الله عنهن وأرضاهن.

ورأيت في بعض الآثار: أن الله عزوجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم عليه السلام وبينها، فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه، وكان مشاهدًا لها، وهي عند الملك، وكيف عصمها الله منه، ليكون ذلك أطيب لقلبه و أقر لعينه، وأشد لطمأنينته، فإنه كان يحبّها حبًا شديدًا لدينها وقرابتها منه، وحسنها الباهر، فإنه قد قيل: إنه لم تكن امرأة بعد حَوَّاء إلى زمانها أحسن منها ﷺ. ولله الحمد والمنة.

وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعونَ مصر هذا كان أخًا للضحاك الملك المشهور بالظلم، وكان عاملًا لأخيه على مصر. ويقال كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح. وذكر ابن

هشام في التيجان أن الذي أرادها عمرو بن امرئ القيس بن مايلون بن سبأ، وكان على مصر. نقله السهيلي والله أعلم.

ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر إلى أرض التيمن، وهي الأرض المقدسة التي كان فيها، ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل، وصحبتهم هاجر القبطية المصرية.

ثم إن لوطًا عليه السلام نزح بماله من الأموال الجزيلة بأمر الخليل له في ذلك إلى أرض الغور، المعروف بغورزغر فنزل بمدينة سدوم، وهي أم تلك البلاد في ذلك الزمان، وكان أهلها أشرارًا كفارًا فجارًا.

وأوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل، فأمره أن يمد بصره، وينظر شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، وبشَّره بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك إلى آخر الدهر، وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض.

وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ما كملت ولا كانت أعظم منها في هذه الأمة المحمدية. يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها".

قالوا: ثم إن طائفة من الجبّارين تسلّطوا على لوط عليه السلام، فأسروه وأخذوا أمواله، واستاقوا أنعامه. فلما بلغ الخبر إبراهيم الخليل سار إليه في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلًا فاستنقذ لوطًا عليه السلام واسترجع أمواله وقتل من أعداء الله ورسوله خلقًا كثيرًا، وهزمهم وساق في آثارهم، حتى وصل إلى شمالي دمشق، وعسكر بظاهرها عند برزة، وأظن مقام إبراهيم إنما سمي لأنه كان موقف جيش الخليل والله أعلم.

ثم رجع مؤيدًا منصورًا إلى بلاده، وتلقاه ملوك بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين، واستقر ببلاده صلوات الله وسلامه عليه.

وورد أيضا في ذكر مولد إسحاق عليه السلام:" قال الله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ(113)﴾ (الصافات 112:113).

وقد كانت البشارة به من الملائكة لإبراهيم وسارة، لما مروا بهما مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط، ليدمروا عليهم، لكفرهم وفجورهم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌوَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(73)﴾(هود 69:73).

وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (54) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56)﴾ (الحجر 51 : 56).

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًاۖقَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ

بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) ﴾ (الذاريات 24 : 30).

يذكر تعالى: أن الملائكة قالوا، وكانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل، لما وردوا على الخليل، حسبهم أولًا أضيافًا، فعاملهم معاملة الضيوف، وشَوَى لهم عجلًا سمينًا، من خيار بقره، فلما قرّبه إليهم وعرض عليهم، لم يَرَلهم همّةً إلى الأكل بالكلية، وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام (فنكرهم) إبراهيم وأوجس منهم خيفة ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي لندمر عليهم.

فاستبشرت عند ذلك سارة غضبًا لله عليهم، وكانت قائمة على رؤوس الأضياف، كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم، فلما ضحكت استبشارًا بذلك قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي بشرتها الملائكة بذلك ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي في صرخة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي كما يفعل النساء عند التعجب. وقالت: ﴿يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ أي كيف يلد مثلي و أنا كبيرة وعقيم أيضًا، وهذا بعلي أي زوجي شيخًا؟ تعجبت من وجود ولد، والحالة هذه، ولهذا قالت: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.

وكذلك تعجَّب إبراهيم عليه السلام استبشارًا بهذه البشارة وتثبيتًا لها وفرحًا بها: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ، قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنْ الْقَانِطِينَ﴾ أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه فبشروهما ﴿بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾. وهو إسحاق أخو إسماعيل غلام عليم، مناسب لمقامه وصبره، وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر. وقال في الآية الأخرى ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

وهذا مما استدل به مُحَمْد بن كعب القرظي وغيره على أن الذبيح هو إسماعيل، وأن إسحاق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت عليه البشارة بوجوده ووجود ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده.

وعند أهل الكتاب أنه أحضر مع العجل الحنيذ وهو المشوي رغيفًا من مكة فيه ثلاثة أكيال، وسمن ولبن. وعندهم أنهم أكلوا وهذا غلط محض. وقيل: كانوا يرون أنهم يأكلون، والطعام يتلاشى في الهواء.

وعندهم أن الله تعالى قال لإبراهيم: أما ساراي امر أتك فلا يدعى اسمها ساراي، ولكن اسمها سارّة، و أبارك عليها وأعطيك منها ابنًا، و أباركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه، فخرّ إبراهيم على وجهه، يعني ساجدًا، وضحك قائلًا: في نفسه أبعد مائة سنة يولد لي غلام؟ أو سارة تلد؟ وقد أتت عليها تسعون سنة؟!

وقال إبراهيم لله تعالى ليت إسماعيل يعيش قدامك. فقال الله لإبراهيم بحقي إن امر أتك سارة تلد لك غلامًا وتدعو اسمه إسحاق إلى مثل هذا الحين من قابل، وأوثقه ميثاقي إلى الدهر، ولخلفه من بعده، وقد استجبت لك في إسماعيل، وباركت عليه وكبرته ونميته جدًا كثيرًا، ويولد له اثنا عشر عظيمًا، وأجعله رئيسًا لشعب عظيم.

وقد تكلمنا على هذا بما تقدم والله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق، ثم من بعده بولده يعقوب.

أي يولد في حياتهما لتقر أعينهما به كما قرت بولده. ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة، ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بولده كما سرا بمولد أبيه من قبله، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا﴾. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

وهذا إن شاء الله ظاهر قوي ويؤيده ما ثبت في "الصحيحين". في حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. قلت: ثم أي؟ قال: ثم حيث أدركت الصلاة فصلِّ فكلها مسجد".

وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذي أسس المسجد الأقصى، وهو مسجد إيليا بيت المقدس شرفه الله.

وهذا متجه، ويشهد له ما ذكرناه من الحديث، فعلى هذا يكون بناء يعقوب عليه السلام وهو إسرائيل بعد بناء الخليل، و ابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء، وقد كان بناؤهما ذلك بعد وجوب إسحاق لأن إبراهيم عليه السلام لما دعا قال في دعائه: كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (36) رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ

تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41) ﴾ (إبراهيم 35 : 41).

وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالًا ثلاثًا كما ذكرناه عند قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾، وكما سنورده في قصته، فالمراد من ذلك والله أعلم أنه جدد بناءه كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة، ولم يقل أحد إنَّ بين سليمان و إبراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان في تقاسيمه و أنواعه، وهذا القول لم يو افق عليه ولا سبق إليه.

وفاتها

وماتت سارة قبله بقرية حبرون، التي في أرض كنعان، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة، فيما ذكر أهل الكتاب، فحزن عليها إبراهيم عليه السلام ورثاها رحمها الله، واشترى من رجل من بني حث، يقال له عفرون بن صخر مغارة بأربع مائة مثقال، ودفن فيها سارة هنالك". انتهى.

قصة سارة في الإسرائيليات

وقد وردت العديد من الإسرائيليات بشأن سارة يقول صاحب كتاب "النساء في القرآن الكريم والدروس والعبروالأحكام المستفادة منها": "من هذه الروايات ما هو ثابت ومنها ما هو مردود ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأما ما ذكر من أنها كانت قائمة وراء الباب أو أنها قائمة تصلي فإن النص القرآني لم يدل على شيء من ذلك، و إنما الذي دل عليه النص هو ما ذكره ابن كثيررحمه الله كما سلف وهو أنها كانت قائمة لخدمة الأضياف، وأن إبراهيم عليه السلام كان جالسًا مع أضيافه، وهذا المعنى هو الأنسب، ولو أراد بالقيام الصلاة لذكر ما يدل عليها كما في قوله تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ (آل عمران:39) وقوله تعالى ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)﴾ (الحج 26) وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) ﴾(الفرقان 64) ففي هذه الآيات ذكر الصلاة صراحة أو بعض أركانها.

وأما القول بأنها كانت قائمة وراء الباب لتستمع لحديث إبراهيم عليه السلام مع أضيافه فهذا لم يدل عليه النص، ثم إنه ليس خليقًا بامرأة مؤمنة صالحة مثل سارة أن تفعل هذا لأنه مناف للأخلاق الحميدة، قال ﷺ "ولا تحسسوا ولا تجسسوا". صحيح البخاري.

وأما ذكر من حوارها مع الملائكة فقد دل القرآن الكريم على شيء من ذلك في قوله تعالى ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌوَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(73)﴾ ﴾ (هود 72 : 73).

وقوله تعالى ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) ﴾ (الذاريات 29:30).

وأما سوى ذلك فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فلا بأس في ذكره والله أعلم"[1].

ومن ذلك ما رواه الضحاك أنه قال لها جبريل عليه السلام: يا سارة، قالت: إن اسمي يسارة، فكيف تسميني سارة؟ فقال لها جبريل عليه السلام: كنت يسارة لا تحلمين فصرت سارة تحملين الولد وترضعين"[2].

العبر المستخلصة من قصة سارة

لقد قدمت سارة قدوة ومثلا للمؤمنة الصالحة حيث كانت نعم الزوجة لزوجها، فقد هاجرت معه وثبتت معه في الخطوب والنوازل وحفظت زوجها بالغيب في امتحان صدق وكانت كريمة سخية كزوجها، تخدم الضيوف بنفسها. وفي كل تفاصيل أخبارها نرى الزوجة المحبة لزوجها المخلصة لدينها الصابرة التي فرحت للحق وعقاب الله للظالمين فبشرتها الملائكة بالبشرى.

---

[1] النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص (117 – 118).

[2] الدر المنثور: ج4 ص452.

ومن يقرأ اليوم كيف تخاض المعارك والملاحم لأجل إثبات أن ليس للزوجة خدمة زوجها وجوبًا ثم ينظر كيف تقف سارة على جلال قدرها تخدم ضيوف زوجها، يكتفي ببصيرة من سبق.

ولعل من أبرز الخلاصات في قصة سارة أن الله عزوجل لا يعجزه شيء، ولا تقف أمام قدرته سبحانه مو انع مادية أو خلقية، أو ظروف أو قوى! فسبحانه عزوجل قادر على إزالة المو انع و إنما قوله: كن فيكون.

كما أن قصة سارة تقدم مثالا لحِلم الزوج وصبره وقدرته على استيعاب غيرة زوجته، فكما هي حفظته بالغيب حفظ هو ضعفها، وعاملها بما تقوى عليها حين غارت عليه من هاجر.

ثم إن غضبها لدين الله تعالى وبراءتها من قوم لوط كانت من أسباب أن أكرمها الله تعالى بذرية على سن كبيرة. فالغضب لدين الله تعالى مقام من مقامات العبودية الجليلة التي يؤجر الله تعالى عباده عليها.

وها هنا نموذج لقدوة في بيت النبوة وامرأة حفظت زوجها وسندته وكانت له سكنًا وأعانته على حمل الرسالة نبيًا مرسلا فقد كانت مؤمنة مؤيدة لزوجها، حافظة له بالغيب، مدركة لعظم الرسالة التي يحمل كما كانت مريم مع ابنها عيسى عليه السلام. على عكس امر أتي نوح ولوط عليهما السلام.

ويكفي المسلمة من قصة سارة أن تتعلم كيف يكون برّ الزوجة الصالحة بزوجها وكيف يكون تعاونهما على الخير والتقوى ومكارم الأخلاق ونصرة

الحق في سبيل المؤمنين. ثم كيف تكون ولاية الله للذين آمنوا وأخلصوا دينهم لله.

وهكذا عرضت سورة هود الجليلة قصتين، الأولى لامرأة نوح الطالحة، والثانية لامرأة إبراهيم الصالحة. وكلاهما في بيت النبوة، فما أغنى عن الكافرة الجاحدة كفرها وجحودها، و إنما رفع الزوجة المؤمنة التقية إيمانها وتقواها. وفي ذلك عبر مديدة والسلوى لكل مؤمنة!

قصص النساء القرآنية في سورة يوسف

مِن أهمِّ مَقاصِدِ سُورَةِ يُوسُفَ: [1]

- بَيانُ أنَّ العاقِبَةَ للمُؤمِنينَ المُتَّقِينَ الصَّابِرينَ رُغْمَ الابْتِلاءاتِ والمِحَنِ.
- تَسْلِيَةُ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم وأَصحابِه، وتَطْمِينُ نُفوسِهم.

▪ قصة امرأة العزيز

ورد ذكر امرأة العزيز في موضعين في القرآن الكريم، كلاهما في سورة يوسف، عند قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ

[1] موسوعة التفسير.

مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (32) ﴾. (يوسف: 21 – 32).

وفي سورة يوسف عند قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (53) ﴾ (يوسف: 51 – 53).

ملخص قصة امرأة العزيز

لم يرد ذكر اسم امرأة العزيز في القرآن ولا في السنة، ولكن اشتهر في التاريخ على أن اسمها زليخا، وقيل راعيل وأما زوجها فهو العزيز، وقيل اسمه قِطفير أو أطفير.

وقال ابن كثير في قصص الأنبياء:" قالوا: وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها، وهو الوزير بها الذي (تكون) الخزائن مسلمة إليه. قال ابن إسحاق: واسمه أطفير بن روحيب، قال: وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد، رجل من العماليق، قال: واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعاييل. وقال غيره: كان اسمها زليخا، والظاهر أنه لقبها. وقيل: "فكا" بنت ينوس، رواه الثعلبي عن ابن هشام الرفاعي".

وقد ذكر لنا القرآن قصة امرأة العزيز مع زوجها بشأن يوسف عليه السلام ثم مع النسوة ثم في الختام في حضرة الملك حين حصحص الحق.

وأول قصتها أن زوجها بعدما اشترى يوسف عليه السلام، أحضره إليها وأمرها أن تكرم مثواه، ورجا أن ينتفعا به أو أن يتخذاه ولدًا، ويبدو أنه لم يكن لهما ولد ولهذا طمع في تبنيه.

ثم كان الموقف الثاني منها وكان مع يوسف عليه السلام وذلك أنها حاولت إيقاعه في الفاحشة معها بمراودتها له عن نفسه، وسعت في ذلك بجد ماكر، و اتخذت الحيطة والسرية التامة لتنفيذ ما تريد فغلقت الأبواب ودعته إلى نفسها قائلة له: هيت لك، ولكن لم يتحقق مرادها بعصمة الله

نبيه من شرها فأبى واعتصم واستعاذ بالله قائلا: معاذ الله. ونزّه نفسه عن الخيانة حيث قال: إنه ربي أحسن مثواي، أي إن زوجك أحسن منزلتي وأكرمني وائتمنني فلا أخونه، إلا أنها لم تتأثر بكلامه ولم تنزجر بمقاله، بل أصرّت على ما تريد كما يفيده التوكيد في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾.

فلما رأى همها وجدّها في فتنته، كاد أن يفتن بها لولا أن رأى برهان ربه، فأسرع إلى الباب ليخرج ويفرّ من شرها وأسرعت خلفه لتمنعه وتراوده، وأمسكت قميصه من الخلف وشقّته في محاولة لمنعه الخروج.

وعند الباب وجدت العزيز على تلك الحالة، فسارعت إلى تبرئة نفسها وإلقاء التهمة على يوسف عليه السلام، فقالت: ما جزاء من أراد بأهلك سواء، وقذفت بذلك يوسف عليه السلام، وأشارت إلى أن يحكم عليه بالسجن أو العذاب الأليم، أي الضرب بالسياط، وما ذكرته من الوعيد كان تخويفًا ليوسف عليه السلام ومكرًا منها به ليطيعها كرهًا بعدما امتنع أن يستجيب لها طوعًا، وحينما افترت عليه ذبّ عن نفسه ولم يسكت عن الحق مع كونه ممن اشتراهم زوجها، ورد فريتها فهو مؤمن بالله عزيز النفس من عباد الله المخلصين، وقال: هي راودتني عن نفسي، ففضحها جزاء ما اقترفت في حقه واتهمته في عرضه وكرامته، ووجد العزيز القميص هو الحل في معرفة الصادق من الكاذب منهما، وظهر له بعد السؤال وتبيّن موضع تمزيق القميص أن امرأته هي الخاطئة، فقال لها، إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم، وأمرها بأن تستغفر لذنبها لكونها بذلك الفعل كانت من الخاطئين.

لقد كان موقف العزيز من امرأته على الرغم من ثبوت التهمة عليها موقفًا باردًا جدًا، منعدم الغيرة! ولذلك تكررت المحاولة مرة أخرى منها مع يوسف عليه السلام وذلك حينما اجتمع النسوة في بيتها وقد كان اجتماعهن في بيتها بعدما أشعن خبرها وتناقلنه بينهن، وكان بلوغ الخبر إليهن عن طريق من حضر تلك المخاصمة بين يوسف وامرأة العزيز عند الباب وبحضرة العزيز، وربما كان معهم أناس آخرون من خدم وغيرهم نشروا الخبر، وقد كان أولئك النسوة من ذوات الطبقة العالية بمصر، والناظر في مقالة أولئك النسوة يدرك ما فيها من التشهير ونشر الفاحشة والتوسع والزيادة فيها ويظهر ذلك من قولهن "امرأة العزيز"، فأفصحن عنها، ثم قولهن "تراود" بالفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار، ثم قولهن "فتاها"، ثم ذكرن الدافع إلى ذلك بقولهن: "قد شغفها حبًا"، ثم سفهنها بقولهن: "إنا لنراها في ضلال مبين"، وكان هذا القول منهن محاولة إلى أن تريهن يوسف، ولهذا سماه الله تعالى مكرًا، ولما سمعت بقول النسوة وهنّ من عليّة القوم حملت همّ هذا الكلام كثيرًا، وحزّ في قلبها، وأخذتها الحمية وأرادت أن تبرئ نفسها وأن تريهن عذرها فيما صنعت، فأرسلت إليهن تدعوهن وهيأت لهن متكأ من وسائد يتكئن عليها، وقدمت لهن طعامًا و آتت كل واحدة منهن سكينًا، وقصدت بتلك الهيئة – قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن – أن يدهشن ويبهتن عند رؤية يوسف عليه السلام، وتقع أيديهن على السكاكين وتقطّع أيديهن، من شدّة البهت.

ثم أمرت يوسف عليه السلام بأن يخرج عليهن، فلما رأينه أعظمنه وقطعن أيديهن، والتضعيف في هذا الفعل لكثرة الحزّ في يد كل واحدة منهن، وقلن: حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم!، قصدن بذلك وصفه بأعلى مراتب الحسن والجمال، فلما رأت ما جرى منهن قالت معتذرة إليهن، فذلكن الذي لمتنني فيه، أي إنه حقيق أن يحبّ لجماله وكماله، وأشارت إليه بقولها، فذلكن، ولم تقل فهذا مع قربه منهن لرفع منزلته في الحسن، أو أن ذلك إشارة للمعنى وهو قولهن: عشقت فتاها، فتقول: هو ذلك العبد الذي لمتنني فيه، حيث أنكن لم تتصورن ما هو عليه من الحسن والجمال، ولو عرفتن حقيقة ذلك من قبل لعذرتنني فيه حبّه والافتتان به. ولما علمت أنه لا ملامة عليها منهن حينما رأت أنه أصابهن ما أصابها عند رؤيته من الدهشة والافتتان، صرّحت بما اقترفت بقولها: ولقد راودته عن نفسه، ثم إنها أخبرتهن بأنها لم تحصل ما تريد بقولها: فاستعصم، وعاودت المراودة مرة أخرى بمحضر منهن وهتكت جلباب الحياء، وتوعدت بسجنه وإذلاله إن لم يستجب لها، فهي الآن تجاهر بالمنكر، وعبّرت عن مراودتها بالأمر إظهارًا لجريان حكومتها عليه و اقتضاء الامتثال لأمرها. ولم تصرّح باسمه في قولها: ولئن لم يفعل ما آمره بل أتت بلفظ عام تهويلا للأمر ومبالغة في التخويف، كأن ذلك قانون مقرر في كل أحد كائنا من كان، ومع هذه الجرأة وهذا التهديد لم تحصل منه ما تريد إذ عصم الله نبيه منها ثم أودع نبي الله يوسف عليه السلام في السجن، ثم ذكر القرآن ختام هذه القصة وهو ما جرى في حضرة ملك مصر، وذلك أنه سأل النسوة عما جرى منهن مع يوسف عليه السلام

وكانت المساءلة بطلب من يوسف عليه السلام لتظهر براءته قبل الإفراج عنه، فقال لهن الملك: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه؟ فأجبن الملك قائلات: حاش لله ما علمنا عليه من سوء وبالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير زيادة من، ولما رأت امرأة العزيز إقرارهن ببراءة يوسف عليه السلام، خافت أن يشهدن عليها إن أنكرت فأقرت هي أيضا، فقالت: أنا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين، وهذا القول منها – وإن لم يكن سأل عنه الملك – إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف عليه السلام وكرامته، لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه، ثم ذكرت أن اعتر افها ليعلم زوجها أنها لم تخنه بارتكاب الفاحشة وأن الذي كان منها إنما هو المراودة فقط، ثم قالت ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، أي: إلا من عصمه الله تعالى – إن ربي غفور رحيم. وهذا القول منها لا يُستبعد لأنها من قوم يعلمون أن الذي يغفر الذنب ويأخذ به هو الله مع كونهم مشركين، وهذا المعنى مبنيّ على أن هذا كلام امرأة العزيز وهو أحد القولين في تفسير هاتين الآيتين والقول الآخر على أنه من كلام يوسف عليه السلام. والله أعلم.[1]

وقد وردت رو ايات تقول بأن يوسف عليه السلام تزوج امرأة العزيز بعد وفاة زوجها، ولكن لا دليل عليها.

وقال ابن كثير في قصص الأنبياء في قصة امرأة العزيز:"﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ أي أحسني إليه ﴿عَسَى أَنْ

[1] قصص النساء في القرآن الكريم بتصرف.

يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وهذا من لطف الله به ورحمته وإحسانه إليه بما يريد أن يؤهله له، ويعطيه من خيري الدنيا والآخرة.

قالوا: وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها، وهو الوزير بها الذي ﴿تكون﴾ الخزائن مسلمة إليه. قال ابن إسحاق: واسمه أطفير بن روحيب، قال: وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد، رجل من العماليق، قال: واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعاييل. وقال غيره: كان اسمها زليخا، والظاهر أنه لقبها. وقيل: "فكا" بنت ينوس، رواه الثعلبي عن ابن هشام الرفاعي.

وقال مُحَمْد بن إسحاق، عن مُحَمْد بن السائب، عن أبي الصالح، عن ابن عبَّاس: كان اسم الذي باعه بمصر، يعني الذي جلبه إليها مالك بن ذعر بن نويب بن عفقا بن مديان بن إبراهيم، فالله أعلم.

وقال ابن إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود، قال: أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر حين قال لامرأته اكرمي مثواه، والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ و أبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب ﷺ.

ثم قيل: اشتراه العزيز بعشرين دينارًا. وقيل: بوزنه مسكًا، ووزنه حريرًا، ووزنه وَرِقًا. فالله أعلم.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أي وكما قيضنا هذا العزيز وامرأته يحسنان إليه، ويعتنيان به مكنا له في أرض مصر ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ أي فهمها. وتعبير الرؤيا من ذلك ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، أي إذا أراد شيئًا فإنه يقيض له أسبابًا وأمورًا لا يهتدي إليها العباد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الأشد، وهو حد الأربعين الذي يوحي الله فيه إلى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين.

وقد اختلفوا في مدة العمر الذي هو بلوغ الأشد، فقال مالك وربيعة وزيد بن أسلم والشَّعبي: هو الحلم، وقال سعيد بن جبير، ثماني عشرة سنة، وقال الضحاك: عشرون سنة، وقال عكرمة: خمس وعشرون سنة، وقال السُّدِّي: ثلاثون سنة. وقال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة، ثلاث وثلاثون سنة، وقال الحسن أربعون سنة. ويشهد له قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنْ الْخَاطِئِينَ﴾.

يذكر تعالى ما كان من مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه، وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه، وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه، وتهيأت له، وتصنعت ولبست أحسن ثيابها و أفخر لباسها، وهي مع هذا كله امرأة

الوزير. قال ابن إسحاق: وبنت أخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر.

وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شابً بديع الجمال والبهاء، إلا انه نبي من سلالة الأنبياء، فعصمه ربُّه عن الفحشاء. وحماه عن مكر النساء. فهو سيد السادة النجباء السبعة الأتقياء. المذكورين في "الصحيحين" عن خاتم الأنبياء. في قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه ورجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وشاب نشأ في عبادة الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله".

والمقصود أنها دعته إليها وحرصت على ذلك أشد الحرص، فقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾. يعني زوجها صاحب المنزل سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أي احسن إلي واكرم مقامي عنده ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وقد تكلمنا على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ بما فيه كفاية ومقنع في التفسير.

وأكثر أقوال المفسرين ها هنا متلقى من كتب أهل الكتاب فالإعراض عنه أولى بنا.

والذي يجب أن يعتقد أن الله تعالى عصمه وبرّأه ونزّهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ أي هرب منها طالبًا الباب ليخرج منه فرارًا منها فاتبعته في أثره ﴿وَأَلْفَيَا﴾ أي وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ أي زوجها ﴿لَدَى الْبَابِ﴾،

فبدرته بالكلام وحرّضته عليه ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. اتهمته وهي المتهمة، وبرأت عرضها، ونزهت ساحتها، فلهذا قال يوسف عليه السلام: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ احتاج إلى أن يقول الحق عند الحاجة.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: كان صغيرًا في المهد قاله ابن عبَّاس. وروي عن أبي هريرة، وهلال بن يساف، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، والضحاك واختاره ابن جرير. وروى فيه حديثًا مرفوعًا عن ابن عبَّاس ووقفه غيره عنه.

وقيل: كان رجلًا قريبًا إلى أطفير بعلها. وقيل قريبًا إليها. وممن قال: إنه كان رجلًا: ابن عبَّاس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والسُّدِّي ومُحَمْد بن إسحاق وزيد بن أسلم.

فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾. أي لأنه يكون قد راودها فدافعته حتى قدَّت مقدم قميصه ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾ أي لأنه يكون قد هرب منها فاتّبعته وتعلّقت فيه فانشق قميصه لذلك، وكذلك كان. ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ أي هذا الذي جرى من مكركن، أنتِ راودتيه عن نفسه. ثم اتهمته بالباطل.

ثم أضرب بعلها عن هذا صفحًا، فقال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي لا تذكره لأحد، لأنَّ كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن، وأمرها بالاستغفار لذنبها الذي صدر منها، والتوبة إلى ربّها فإنَّ العبد إذا تاب إلى الله تاب الله عليه.

وأهل مصر وإن كانوا يعبدون الأصنام إلاّ انهم يعلمون أن الذي يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له في ذلك. ولهذا قال لها

بعلها، وعذرها من بعض الوجوه، لأنها رأت ما لا صبر لها على مثله، إلا انه عفيف نزيه برئ العرض سليم الناحية، فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنْ الْخَاطِئِين﴾.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَاعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَ آتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ، قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة، من نساء الأمراء، وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز، وعيبها والتشنيع عليها، في مراودتها فتاها، وحبها الشديد له، وهو لا يساوي هذا، لأنه مولى من الموالي، وليس مثله أهلًا لهذا، ولهذا قلن: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ أي في وضعها الشيء في غير محله.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنّ﴾ أي بتشنيعهن عليها والتنقص لها والإشارة إليها بالعيب، والمذمة بحب مولاها، وعشق فتاها، فأظهرن ذمًا، وهي معذورة في نفس الأمر، فلهذا أحبت أن تبسط عذرها عندهن، وتتبيّن أن هذا الفتى ليس كما حسبن، ولا من قبيل ما لديهن. فأرسلت إليهن فجمعتهن في منزلها، واعتدت لهن ضيافة مثلهن، وأحضرت في جملة ذلك شيئًا مما يقطع بالسكاكين، كالأترجّ ونحوه، و أتت كل واحدة منهن سكّينًا، وكانت قد هيّأت يوسف عليه السلام وألبسته أحسن الثياب، وهو في غاية

طراوة الشباب، وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة، فخرج وهو أحسن من البدر لا محالة.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أي أعظمنه وأجللنه، وهِبْنَه، وما ظنن أن يكون مثل هذا في بني آدم، وبهرهن حسنه، حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يحززن في أيديهن بتلك السكاكين، ولا يشعرن بالجراح ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وقد جاء في حديث الإسراء "فمررت بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن".

قال السهيلي وغيره من الأئمة، معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام. لأن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، فكان في غاية نهايات الحسن البشري، ولهذا يدخل أهل الجنَّة الجنَّة على طول آدم وحسنه، ويوسف كان على النصف من حسن آدم، ولم يكن بينهما أحسن منهما، كما أنه لم تكن أنثى بعد حَوَّاء أشبه بها من سارة امرأة الخليل عليه السلام.

قال ابن مسعود: وكان وجه يوسف مثل البرق، وكان إذا أتته امرأة لحاجة غطَّى وجهه. وقال غيره: كان في الغالب مبرقعًا، لئلا يراه الناس. ولهذا لما قدم عذر امرأة العزيز في محبتها لهذا المعنى المذكور، وجرى لهن وعليهن ما جرى، من تقطيع أيديهن بجراح السكاكين، وما ركبهن من المهابة والدهش عند رؤيته ومعاينته.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ ثم مدحته بالعفة التامة فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي امتنع ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

وكان بقية النساء حرّضنه على السمع والطاعة لسيدته فأبى أشدّ الإباء، ونأى لأنه من سلالة الأنبياء، ودعا فقال: في دعائه لرب العالمين، ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾. يعني إن وكلتني إلى نفسي فليس لي من نفسي إلا العجز والضعف، ولا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا، إلا ما شاء الله، فأنا ضعيف، إلاّ ما قويتني وعصمتني وحفظتني وأحطتني بحولك وقوتك.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ، وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ، قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ، وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ، يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

يذكر تعالى عن العزيز وامرأته أنهم بدا لهم، أي ظهر لهم من الرأي، بعد ما علموا براءة يوسف، أن يسجنوه إلى وقت، ليكون ذلك أقل لكلام

الناس، في تلك القضية، وأخمد لأمرها، وليظهروا أنه راودها عن نفسها، فسجن بسببها، فسجنوه ظلمًا وعدوانًا.
وكان هذا مما قدر الله له. ومن جملة ما عصمه به فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم. ومن ها هنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم الشافعي: أن من العصمة أن لا تجد!.".

ومما يجدر التنبيه له في هذا المقال، تفسيرات السلف لما تعرض له يوسف عليه السلام من فتنة، وهو ما ذهب إليه الطبري رحمه الله مخالفًا ابن كثير رحمه الله، في تفسير "همّ بها"، قال أبو عُبيد القاسم بن سَلاَّم: "وقد زعم بعض من يتكلم في القرآن بر أيه أن يوسف ﷺ لم يهمَّ بها، يذهبُ إلى أن الكلامَ انقطَعَ عند قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ قال: ثم استأنف فقال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ بمعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، واحتجَّ بقوله ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ﴾ وبقوله ﴿وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ و ابنُ عباس ومن دُونه لا يختلفون في أنه همَّ بها، وهمْ أعلمُ باللهِ، وبتأويل كتابه، وأشدُّ تعظيماً للأنبياء، من أن يتكلموا فيهم بغير علم ".

وعن ابن أبي مليكة، قال: "شهدت ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ؟ قال: حلّ الهِميان، وجلس منها مجلس الخاتن".

وقال الطبري في مسالة الهم: "وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأوَّلوا القرآن بآرائهم، فإنهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة".

وأضاف ابن كثير رحمه الله:" ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي

بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ، قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ، وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌرَحِيمٌ﴾.

لما أحاط الملك علمًا بكمال علم يوسف عليه الصلاة والسلام وتمام عقله ورأيه السُّدِّيد وفهمه، أمر بإحضاره إلى حضرته، ليكون من جملة خاصته، فلما جاءه الرَّسول بذلك أحب أن لا يخرج حتى يتبين لكل أحد انه حبس ظلمًا وعدوانًا، و أنه بريء السَّاحة مما نسبوه إليه بهتانًا ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ يعني الملك ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ قيل: معناه إن سيدي العزيز يعلم براءتي مما نسب إليّ، أي فمر الملك فليسألهن: كيف كان امتناعي الشديد عند مراودتهن إياي؟ وحثهن لي على الأمر الذي ليس برشيد ولا سديد؟

فلما سئلن عن ذلك اعترفن بما وقع من الأمر، وما كان منه من الأمر الحميد و﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.
فعند ذلك ﴿قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ وهي زليخا: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.
أي: ظهر وتبيّن ووضح، والحق أحق أن يتبع ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ﴾ أي فيما يقوله من أنه بريء و أنه لم يراودني و أنه حبس ظلمًا وعدوانًا وزورًا وبهتانًا.
وقوله ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ قيل إنه من كلام يوسف أي إنما طلبت تحقيق هذا ليعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب. وقيل إنه من تمام كلام زليخا، أي: إنما اعترفت بهذا

ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر، و إنما كان مراودة لم يقع معها فعل فاحشة.

وهذا القول هو الذي نصره طائفة كثيرة من أئمة المتأخرين وغيرهم، ولم يحك ابن جرير و ابن أبي حاتم سوى الأول.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قيل: إنه من كلام يوسف، وقيل: من كلام زليخا، وهو مفرع على القولين الأولين. وكونه من تمام كلام زليخا أظهر و أنسب و أقوى، والله أعلم.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

لما ظهر للملك براءة عرضه، ونزاهة ساحته عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه إليه قال ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي اجعله من خاصّتي ومن أكابر دولتي، ومن أعيان حاشيتي، فلمّا كلمّه وسمع مقاله وتبين حاله ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي ذو مكانة وأمانة. ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ طلب أن يوليه النظر فيما يتعلق بالأهراء لما يتوقع من حصول الخلل فيما بعد مضي سبع سنّى الخصب، لينظر فيها بما يرضي الله في خلقه من الاحتياط لهم والرفق بهم، وأخبر الملك إنه حفيظ، أي قوي على حفظ ما لديه أمين عليه، عليم بضبط الأشياء ومصالح الأهراء.

وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الأمانة والكفاءة.

وعند أهل الكتاب أن فرعون عظّم يوسف عليه السلام جدًّا، وسلطه على جميع أرض مصروألبسه خاتمه، وألبسه الحرير وطوّقه الذهب وحمله على مركبه الثاني، ونودي بين يديه، أنت ربٌّ ومسلط، وقال له: لست أعظم منك إلا بالكرسي.

قالوا: وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة، وزوجه امرأة عظيمة الشأن.

وحكى الثعلبي أنه عزل قطفير عن وظيفته، وولاها يوسف.

وقيل: إنه مات، زوَّجَهُ امر أتَهُ زليخا، فوجَدها عذراء لأن زوجها كان لا يأتي النساء، فولدت ليوسف عليه السلام رجلين، وهما:

أفرايم، ومنسا. قال: واستوثق ليوسف ملك مصر، وعمل فيهم بالعدل فأحبَّه الرجال والنساء".

وكانت هذه القصة الكاملة لامرأة العزيز مع يوسف عليه السلام.

العبر المستخلصة من قصة امرأة العزيز

الفتنة أمر عظيم! وبين الرجل والمرأة هي لا تتعلق بتفاصيل اجتماعية ولا سن، وما حاولت امرأة العزيز استدراج يوسف إليه، كان فتنة لا ينجو منها إلا المخلص، ولعل أقبح ما وقعت فيه هذه المرأة المتزوجة آنذاك، هو خيانة زوجها واستهانتها بطلب الفاحشة ومراودة رجل أجنبي عنها. فلم يردعها مقامها من أهل النفوذ والرياسة في مصر ولا زواجها ولا شناعة ما تدعو إليه.

ولعل من أهم الدروس من قصة امرأة العزيز الحذر من أن تتحول المرأة لفتنة للرجال، والحذر من أن تخلو برجل أجنبي، وهذا يعني الاستعاذة

من هذه الفتنة وسؤال الله السلامة منها وعدم ولوج مقدماتها أو اتباع خطوات الشيطان المؤدية إليها.

و إنه لمقام تقوى وعبادة، الإعراض عن دعاة المنكر، وقول "إني أخاف الله".

وفي المقابل نرى في قصة يوسف لطف الله تعالى بعبده ومعنى "ومن يتق الله يجعل له مخرجا".

ونرى كيف أن الفارق في السن لا يمنع الفتنة، وأن الانجرار لأهواء النفس والظلم والإصرار عليه، موجب للأذى والتصادم مع سنن الله تعالى.

كما نرى كيف يجب الحذر من الظالم الذي لا يخشى تعدي حدود الله ومن كيد النساء خاصة، فإن كيدهن عظيم. وقد رأينا كيف كان كيد امرأة العزيز وكيف كان كيد النسوة من طبقتها في ذلك الزمان، كما رأينا كيف أن ضعف الزوج يؤدي إلى طغيان المرأة أو تماديها، ما يعني أهمية أن تتزوج المرأة الرجل الذي يكون قوامًا عليها لا الذي تغلبه فتفقده حين تغلبها نفسها في لحظات الضعف والفتنة. فالمرأة بحاجة لرجل تكتمل به، لا رجلا مجرد اسم في حياتها!

ونرى في قصة امرأة العزيز، أن السمعة الحسنة مطلب عام، وأكثر ما يفسدها القذف. فعلى الرغم من جرأة امرأة العزيز في تكرار مراودتها ليوسف عليه السلام إلا أنها اكترثت وتأثرت بما تشيعه عنها نسوة المدينة.

ثم على الرغم من كل ما صدر من زليخا إلا أن توبتها واعترافها بالذنب كان موقفا مطلوبًا، فلم تصر على الإنكار بعناد واستكبار حين حصحص الحق، و إنما بتوبة.

وفي ذلك رسالة لكل مسلمة أن تحذر مواطن الفتن والاستدراج إليها والاستكبار! وأن التوبة أيا كانت المسافة التي تورطت فيها، لهو الخير وتمام الحل.

وفي الو اقع في قصة امرأة العزيز الدرس الجليل في أهمية الإخلاص للنجاة من الفتن، وأهمية وجود الزوج الذي يقود زوجته لمواطن الحق والصدق والخير ثم عو اقب الصحبة السيئة والتعاون على الإثم والعدوان، وواجب الداعية لله في الحرص على دعوة الناس للتوحيد وتربيتهم على الحق والثبات في كل حال من ابتلاء أو نعمة، ثم التحصن من الفتن وخاصة فتنة النساء والكثير من المعاني الجليلة التي لا تفوت متدبرًا.

ولعل من حالات خطر الفتنة التي يجدر تسليط الضوء عليها في زماننا، خطر فتنة الصالحين من الدعاة، والتي قد تدخل من مداخل لا يتصورها الإنسان في حينه، أذكر من ذلك، حال الواعظ الذي يجد نفسه يخاطب النساء بتركيز عليهن، ثم يفتتن نفسه تدريجيا بالنساء، خاصة حين تتشكل طبقة من المعجبات اللاتي ينظرن له على أنه داعية بطل ويحلمن بالزواج منه، ويتعلقن بكل تفصيل وتفاعل يصدر عنه، ثم يبدأ الاستدراج للحديث الخاص معهن ويرتفع مستوى الخطر!

وكثيرًا ما يجد الواعظ نفسه محاطًا بهالة من إعجاب النساء خاصة إن كان كثير الحديث عن مواضيعهن، والاهتمام بما يشغلهن من قضايا، مظهرًا غيرة وحمية محببة، في وقت تُفتقد فيه هذه المعاني في نفوس النساء، وهذا باب يتطلب الحذر واليقظة والتزود والإخلاص الشديد، لأن فتنة الواعظ خسارة كبيرة، ولأنه لا يأمن الفتنة ولو كان واعظًا!

وأما المرأة التي قد تفتن بداعية لمجرد إتقانه الحديث والدعوة، فلا بد أن تتقي الله تعالى، فليس كل رجل تحدث بخير يتحول لفارس الأحلام الواعد، والرجل كداعية على المنبر ليس بالضرورة الزوج المناسب لك!
وإن كان في ذلك فتنة لك، ورأيت نفسك تحدثك بما لا يليق، فهجر منبره خير لك! وهو من باب سد الذرائع كي لا تقعي فريسة ضعفك.
وأشدد على ضرورة غض البصر في مثل هذه المواطن، وعدم الانجرار للنظرة المحرمة والتصورات المحرمة والخضوع بالقول والحديث المستهتر قليل الحياء، في الثناء على الدعاة في الخاص والعام، فإننا في عالم مزدحم بالفتن، نسأل الله العفو والسلامة.

والفتنة بالمرأة من أعظم الفتن التي يتعرض لها الرجل، قال تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)﴾ (آل عمران).

قال القرطبي: "قوله تعالى: "من النساء" بدأ بهن لكثرة تشوف النفوس إليهن؛ لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال. قال رسول الله ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[1]. ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء".

ولا يعني ذلك أن المرأة لا تتعرض لفتنة من الرجل، بل حتى الصالحة التي تجاهد نفسها على التقوى قد تتعرض لاستدراج رجل مفتون ومبتلى، وقد تقاوم ثم تستجيب ولنا في الواقع قصص مؤلمة من هذا

[1] أخرجه البخاري ومسلم.

القبيل، فكان لا بد من سد الذرائع والتواصي بالحق والصبر، ومن أراد الحلال، فالزواج هو الباب!

▪ قصة النسوة

ورد ذكر النسوة في سورة يوسف في موضعين من سورة يوسف، الأول في قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف : 30-32)

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف: 51).

ملخص قصة النسوة

هن نساء من عليّة القوم في مصر، وقيل أنهن خمسة: امرأة الساقي، وامرأة الحاجب، وامرأة الخباز، وامرأة السجّان، وامرأة صاحب الدواب. ولا دليل يعوّل عليه في ذلك، وحين بلغهن خبر امراة العزيز أنها تراود فتاها يوسف عليه السلام، نلن منها وفضحنها، وكان في ذلك مكرًا منهن للوصول إلى رؤية يوسف. وبالفعل حصل ما ينشدنه ولكن حصل على

غير ما يتوقعن، فقد اجتمعن به كما سبق أن ذكرنا في قصة امرأة العزيز و انبهرن بجماله. ثم ما كان من شهادتهن على عفة وتقوى يوسف عليه السلام عند مساءلة الملك لهن وخروج يوسف من السجن، ما أفضى إلى توبة امرأة العزيز.

العبر المستخلصة من قصة النسوة

إن كيد النساء عظيم! وإن النساء يكدن لبعضهن البعض و أيضا يعرفن مكائد بعضهن البعض حين يشتركن في نو ايا الشر، وإن مجالس النساء التي يغلب عليها الغيبة والنميمة وإشاعة أخبار الناس والاهتمام بكل ما حط من اهتمامات تدمير لهمة المرأة. والصحبة الفاسدة مثبطة في طريق المسابقة بالخيرات.

ولكن تبقى الشهادة الحق منقبة للمرأة ووسيلة للاستدراك، فلم يكتمن ما يعلمنه من صدق يوسف وإن كان جاء بعد سجن يوسف الذي كان قدره عليه السلام، ويبقى موقف نصرة جاء ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

▪ قصة أم يوسف

ورد ذكر أم يوسف في موضع واحد من كتاب الله تعالى وهو في سورة يوسف ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) ﴾ (يوسف 99- 100).

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) ﴾ (يوسف 99 : 100).

ملخص قصة أم يوسف

لم يذكر اسم أم يوسف في القرآن ولا في السنة، و إنما ورد في الأخبار المروية عن بني إسرائيل أن اسمها راحيل، وقيل إن المرأة التي كانت مع يعقوب عليه السلام في دخوله مصر هي خالة يوسف عليه السلام

واسمها ليا وإن أمه قد ماتت، والصحيح أن التي كانت مع يعقوب عليه السلام هي أم يوسف كما دل عليه قوله تعالى ﴿ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ فإن المراد بالأبوين الوالدان.

وقد جمع الله تعالى أم يوسف بابنها بعد فراق طويل بسبب ما جرى بين يوسف وإخوته وقد طوى القرآن الكريم ذكر سفرهم من بلادهم إلى دخولهم على يوسف عليه السلام وتقدير الكلام: فرحل يعقوب عليه السلام بأهله وساروا حتى أتوا يوسف عليه السلام، فلما دخلوا عليه ضمّ إليه أبويه واجتمع بهما خصوصًا وحدهما دون إخوته. وقال لوالديه وإخوته: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، أي اسكنوها واستقروا بها، آمنين على أنفسكم و أنعامكم من الجوع والهلاك فإن سنين القحط كانت لا تزال باقية، وكما حظي والدا يوسف عليه السلام بإيواء ابنهما الباريوسف عليه السلام، كذلك أجلسهما عنده على سرير الحكم إكرامًا لهما، فقابله الوالدان والإخوة بالتحية وسجدوا له، وهذا السجود على سبيل التشريف لا على سبيل العبادة. وتحققت بذلك رؤيا يوسف عليه السلام حيث رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له، ثم إن والديه وإخوته وأهليهم قد استقروا بعد ذلك بمصر و انتقلوا من سكنى البادية بما فيها من العناء والتعب إلى سكنى الحاضرة وما فيها من النعمة والاجتماع. وهذه النعمة التي نالت والدي يوسف وإخوته عليه السلام حصلت لهم بسبب إنعام الله تعالى على يوسف عليه السلام والتمكين له في الأرض.

وفي قصص الأنبياء قال ابن كثير-رحمه الله - عن خبر أم يوسف عليه السلام:"﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَان بَيْنِي وَبَيْنَ اخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

هذا إخبار عن حال اجتماع المتحابين بعد الفرقة الطويلة التي قيل: إنها ثمانون سنة، وقيل: ثلاث وثمانون سنة، وهما رو ايتان عن الحسن. وقيل: خمس وثلاثون سنة، قاله قتادة. وقال مُحَمْد بن إسحاق: ذكروا أنه غاب عنه ثماني عشرة سنة. قال: وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة.

وظاهر سياق القصة يرشد إلى تحديد المدة تقريبًا، فإنَّ المرأة راودته، وهو شاب ابن سبع عشرة سنة، فيما قاله غيرواحد، فامتنع فكان في السجن بضع سنين، وهي سبع عند عكرمة وغيره. ثم أخرج فكانت سنوات الخصب السبع، ثم لما امحل الناس في السبع البواقي جاء اخوتهم يمتارون في السنة الأولى وحدهم، وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين، وفي الثالثة تعرّف إليهم وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين، فجاؤا كلهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ اجتمع بهم خصوصًا وحدهما دون اخوته ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾. قيل: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره قال ادخلوا مصروآوى إليه أبويه. وضعفه

ابن جرير وهو معذور. وقيل: بل تلقاهما وآواهما في منزل الخيام، ثم لما اقتربوا من باب مصر قال ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾. قاله السُّدِّي: ولو قيل: إن الأمر لا يحتاج إلى هذا أيضًا، و انه ضمن قوله: ادخلوا بمعنى: اسكنوا مصر، أو أقيموا بها ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ لكان صحيحًا مليحًا أيضًا.

وعند أهل الكتاب: أن يعقوب لما وصل إلى أرض جاشر- وهي أرض بلبيس - خرج يوسف لتلقيه، وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا بين يديه مبشّرًا بقدومه، وعندهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر، يكونون فيها ويقيمون بها بنعمهم ومواشيهم، وقد ذكر جماعة من المفسرين، أنه لما أزف قدوم نبي الله يعقوب - وهو إسرائيل - أراد يوسف أن يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف، وتعظيمًا لنبي الله "إسرائيل"، و أنه دعا للملك، وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سنّى الجدب ببركة قدومه إليهم، فالله أعلم.

وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم - فيما قاله أبو إسحاق السبيعي عن أبو عبيدة عن ابن مسعود - ثلاثة وستين إنسانًا.

وقال موسى بن عبيدة، عن مُحَمَّد بن كعب، عن عبد الله بن شداد: كانوا ثلاثة وثمانين إنسانًا.

وقال أبو إسحاق عن مسروق: دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون إنسانًا.

قالوا: وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة ألف مقاتل. وفي نص أهل الكتاب: أنهم كانوا سبعين نفسًا وسموهم.

قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قيل: كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة. وقال بعض المفسرين: أحياها الله تعالى. وقال آخرون: بل كانت خالته "ليا" والخالة بمنزلة الأم.

وقال ابن جرير وآخرون: بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ، فلا يعوّل على نقل أهل الكتاب فيما خالفه، وهذا قوي. والله أعلم.

ورفعهما على العرش، أي أجلسهما معه على سريره ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي سجد له الأبوان والأخوة الأحد عشر تعظيمًا وتكريمًا، وكان هذا مشروعًا لهم، ولم يزل ذلك معمولًا به في سائر الشرائع حتى حرم في ملّتنا.

﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي هذا تعبير ما كنت قصصته عليك: من رؤيتي الأحد عشر كوكبًا، والشمس والقمر، حين رأيتهم لي ساجدين وأمرتني بكتمانها، ووعدتني عند ذلك ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ﴾. أي بعد الهمّ والضيق جعلني حاكمًا، نافذَ الكلمة، في الديار المصرية حيث شئت ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ﴾ أي البادية، وكانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الخيل ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشّيْطان بَيْنِي وَبَيْنَ اخْوَتِي﴾ أي فيما كان منهم إليّ من الأمر الذي تقدم وسبق ذكره.

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أي: إذا أراد شيئًا هيّأ أسبابه ويسّرها وسهلها من وجوه لا يهتدي إليها العباد بل يقدّرها ويسّرها بلطيف صنعه وعظيم قدرته ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أي بجميع الأمور ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وشرعه وقدره.

وعند أهل الكتاب أن يوسف باع أهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده بأموالهم كلها من الذهب والفضة والعقار والأثاث وما يملكونه كله، حتى باعهم بأنفسهم فصاروا أرقاء. ثم أطلق لهم أرضهم، وأعتق رقابهم، على أن يعملوا ويكون خمس ما يشتغلون من زرعهم وثمارهم للملك، فصارت سنة أهل مصر بعده.

وحكى الثعلبي: أنه كان لا يشبع في تلك السنين حتى لا ينسى الجيعان، و أنه إنما كان يأكل أكلة واحدة نصف النهار قال: فمن ثم اقتدى به الملوك في ذلك. قلت: وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لا يشبع بطنه عام الرمادة، حتى ذهب الجدب و أتى الخصب.
قال الشافعي: قال رجل من الأعراب لعمر بعد ما ذهب عام الرمادة: لقد انجلت عنك، و إنك لابن حرة".

وقد وردت إسرائيليات في ذلك قال صاحب كتاب قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها:"من هذه الروايات ما هو منكر ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:
فأما ما روي من أن منزل يعقوب وولده بالعربات .. الخ .. ففي سنده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

وأما ما روي عن السدي من خروج يوسف عليه السلام لاستقبال والديه ففي سنده سفيان بن وكيع بن الجراح كان صدوقا إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فقصم فلم يقبل فسقط حديثه، و أيضا ظاهر القرآن إنما يدل على أن والديه وإخوته دخلوا عليه في مكان حكمه حيث ذكر الله ما جرى عند استقباله لهم من رفع أبويه على العرش وسجود والديه وإخوته له.

وأما ما روي من سجودهم له فهو حق قد دلّ عليه قوله تعالى ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾

وأما ما روي من أن الله تعالى أحيا أمه لتسجد له تحقيقًا للرؤيا فقد سبق ترجيح القول بحياة أمه آنذاك.

وأما ما روي في مدة الفراق بين يوسف وأهله، فقد رجح ابن كثيررحمه الله تعالى أنها ثماني عشرة سنة حيث قال:"وظاهر السياق يرشد إلى تحديد المدة تقريبًا، فإن المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرسنة، فيما قاله غيرواحد، فامتنع فكان في السجن بضع سنين، وهي سبع عن عكرمة وغيره ثم أخرج، فكانت سنوات الخصب السبع ثم لما أمحل الناس في السبع البواقي، جاء إخوته بمتارون في السنة الأولى وحدهم وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين، وفي الثالثة تعرّف إليهم، وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين فجاؤوا كلهم".

العبر المستخلصة من قصة أم يوسف

إن للكرب زمنه وينتهي بإذن الله تعالى والابتلاء في الابن عظيم جدًا للوالدين، فقد صبر يعقوب وزوجه باحتساب، وكان الجزاء خيرًا لهما.

قد يهيء الله تعالى للأحياء اللقاء ولو طال الفراق، فلا يعجز أحد عن الدعاء مهما اظلمت المشاهد وضعفت الاحتمالات.

ثم إن منزلة الوالدين كبيرة، ومقامهما محفوظ. نلاحظ ذلك في كل آي القرآن.

كما نرى في قصة أم يوسف عليه السلام، تكريم أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث جعل الله تعالى تحيتها تحية أهل الجنة بدل التحية بالسجود، قال قتادة رحمه الله: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾كانت تحية من

قبلكم كان بها يحيّي بها بعضهم بعضًا، فأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة كرامة من الله تبارك وتعالى، عجلها لهم ونعمة منه.

والسجود منسوخ في شريعتنا ففي الحديث أنه "لما قدم معاذ ﷺ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فلا تفعلوا فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه". (حسن صحيح).

وإن كان من موعظة من قصة أم يوسف فهي لكل أم تفتقد ابنها في سبيل الله، اصبري أماه، واستودعيه الله تعالى وحفّيه بدعائك الطيّب، ولا تخشي عليه شيئًا، فما دام في سبيل الله فهو بخير عميم.

وكان النبي ﷺ يودع المسافر بقول: "أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه"، أي: أجعلك وديعة محفوظة عند الله، وهكذا كان يفعل ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، وعند أبي داود في حديث صحيح عن قزعة، قال:"قال لي ابن عمر: هلم أودعك كما ودعني رسول الله ﷺ: "أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك"،

فخير من استودعت ما تحب ومن تحب .. الله ﷻ.

وهكذا عرضت سورة يوسف ثلاث قصص للنساء، قصة امرأة العزيز وقصة النسوة في المدينة وقصة أم يوسف عليه السلام، وفي ذلك تثبيت للمؤمنين الذين ابتلوا بالفتنة والفقد والعدوان، وتربية على معاني الإخلاص والإحسان والصبر ولطف الله ﷻ. ودرس لكل عامل لله وداعية. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 21).

قصص النساء القرآنية في سورة الرعد

من أهمِّ مقاصد سورة الرعد[1]:

- سوقُ عددٍ مِن الأدلةِ التي تدُلُّ على قُدرةِ اللهِ تعالى الباهرةِ ووحدانيتِه.
- بيانُ كمالِ عِلمِ الله سبحانه وإحاطتِه بكلِّ شَيءٍ، وعظيمِ سلطانِه، وحكمتِه فيما يَقْضيه ويقدِّرُه.
- ضَربُ مثلينِ للحَقِّ والباطلِ، وعقدُ مقارنةٍ بينَ مصيرِ أتباعِ الحقِّ، ومصيرِ أتباعِ الباطلِ، مع بيانِ أوصافِهما.
- بيانُ حسنِ عاقبةِ المتَّقينَ، وسوءِ عاقبةِ المكذِّبينَ.
- تسليةُ الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم عمَّا أصابَه.

لم ترد قصص للنساء في سورة الرعد ولكنني أدعو كل مسلمة للوقوف عند هذه الآيات وتدبرها.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

[1] أخرجه البخاري ومسلم.

بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (11)﴾.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18)﴾.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)﴾.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (40)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة إبراهيم

مِن أهمِّ مقاصدِ هذه السورةِ:

- التذكيرُ بنِعَمِ الله على الناسِ، وتحريضُهم على شُكرِها، وتحذيرُهم مِن جُحودِها وكفرِها.[1]

▪ قصة هاجر زوجة إبراهيم

لم يرد ذكر مباشر لهاجر في القرآن الكريم ولكنها إشارة خفية، غير مباشرة لها، في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم، 37).

ولذلك لم يحص أغلب الباحثين قصة هاجر في قصص النساء في القرآن.

ملخص قصة هاجر

لم يرد ذكر اسم هاجر في القرآن الكريم لكنه ورد بشكل صريح في السنة. وهاجر هي أم العرب، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ"، قال العيني في عمدة القاري: "قال مقاتل - وهو أحد المفسرين: كانت من ولد

[1] موسوعة التفسير

هود عليه السلام، - وهود عليه السلام نبي الله وهو عربي، وقال الضحاك: كانت بنت ملك مصر، وكان ساكنا بمنف، - ويسمونها اليوم المنوفية - فغلبه ملك آخر فقتله، وسبى ابنته فاسترقها، ووهبها لسارة، ثم وهبتها سارة لإبراهيم، فو اقعها فولدت إسماعيل، ثم حمل إبراهيم إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة...".

وننقل هنا خبر هاجر في كتاب قصص الأنبياء لابن كثير-رحمه الله- حيث يقول عن مولد ابنها إسماعيل عليه السلام:"قال أهل الكتاب: إن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة، وأن الله بشَّره بذلك، و أنه لما كان لإبراهيم ببلاد المقدس عشرون سنة، قالت سارة لإبراهيم عليه السلام، إن الرب قد حرمني الولد، فادخل على أمتي هذه، لعل الله يرزقني منها ولدًا.

فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام، فحين دخل بها حملت منه، قالوا: فلما حملت ارتفعت نفسها، وتعاظمت على سيدتها، فغارت منها سارة، فشكت ذلك إلى إبراهيم، فقال: لها افعلي بها ما شئت، فخافت هاجر فهربت، فنزلت عند عين هناك، فقال لها ملك من الملائكة، لا تخافي فإنَّ الله جاعلٌ من هذا الغلام الذي حملت خيرًا، وأمرها بالرجوع، وبشَّرها أنها ستلد ابنًا، وتسمية إسماعيل، ويكون وحش الناس، يده على الكل ويد الكل به، ويملك جميع بلاد إخوته، فشكرت الله عزوجل على ذلك.

وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه الذي به سادت العرب، وملكت جميع البلاد غربًا وشرقًا، و أتاها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم تُؤْتَ أُمّةٌ من الأمم قبلهم، وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل، وبركة رسالته ويمن بشارته وكماله فيما جاء به، وعموم بعثته لجميع أهل الأرض.

ولما رجعت هاجر وضعت إسماعيل عليه السلام.

قالوا: وولدته ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة.

ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة، فخر لله ساجدًا، وقال له وقد استجبت لك في إسماعيل وباركت عليه وكثرته ويمنته جدًا كثيرًا، ويولد له اثنا عشر عظيمًا. وأجعله رئيسًا لشعب عظيم.

وهذه أيضًا بشارة بهذه الأمة العظيمة، وهؤلاء الاثنا عشر عظيمًا هم الخلفاء الراشدون الاثنا عشر المبشر بهم في حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال"يكون اثنا عشر أميرًا" ثم قال كلمة لم أفهمها، فسألت أبي ما قال؟ قال: "كلهم من قريش" أخرجاه في "الصحيحين".

وفي رواية "لا يزال هذا الأمر قائمًا" وفي رواية (عزيزًا حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش).

فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. ومنهم عمر بن عبد العزيز أيضًا. ومنهم بعض بني العباس وليس المراد أنهم يكونون اثني عشر نسقًا بل لا بد من وجودهم.

وليس المراد الأئمة الأثني عشر الذين يعتقد فيهم الرافضة الذين أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المنتظر بسرداب سامرّا وهو مُحَمْد بن الحسن

العسكري فيما يزعمون، فإن أولئك لم يكن فيهم أنفع من علي و ابنه الحسن بن علي، حين ترك القتال وسلم الأمر لمعاوية، وأخمد نار الفتنة، وسكن رحى الحرب بين المسلمين، والباقون من جملة الرعايا لم يكن لهم حكم على الأمة في أمر من الأمور. وأما ما يعتقدونه بسرداب سامرا فذلك هوَسٌ في الرؤوس، وهذيان في النفوس لا حقيقة له ولا عين ولا أثر.

والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها إسماعيل واشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، فذهب بها وبولدها فسارَ بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم.

ويقال إنَّ ولدها كان إذ ذاك رضيعًا.

فلما تركهما هناك وولّى ظهره عنهما، قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا هاهنا، وليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها، فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها، قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت فإذًا لا يضيّعنا.

وقد ذكر الشيخ أبو مُحَمْد بن أبي زيد رحمه الله في كتاب النوادر: أن سارة غضبت على هاجر، فحلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها، فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها، وأن تخفضَها فتبر قسمَها.

قال السهيلي: فكانت أول من اختتن من النساء، وأول من ثقبت أذنها منهن، وأول من طوّلت ذيلها".

وقال ابن كثير-رحمه الله- في ذكر مهاجرة إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى جبال فاران وهي أرض مكّة، وبنائه البيت العتيق:"قال البُخَاريّ: قال عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبه - حَدَّثَنا عبد الرزاق، حَدَّثَنا معمر، عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن عبد المطلب بن أبي وداعة، يزيد أحدهما عن الآخر، عن سعيد بن جبير، عن ابن

عبَّاس قال: "أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتعفى أثرها على سارة". ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء.

ثم قفّى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا؛ وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عبَّاس قال النبي ﷺ "فلذلك سعى الناس بينهما".

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه، تريد نفسها.

ثم تسمعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضُه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عبَّاس قال النبي ﷺ "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم". أو قال: "لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا مَعِيْنًا". قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام و أبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالر ابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريّن فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا.

قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم ولكن لا حقَّ لكم في الماء عندنا. قالوا: نعم.

قال عبد الله بن عبَّاس قال النبي ﷺ: "فألفى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم.

وشبَّ الغلام وتعلّم العربية منهم و أنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك، زوّجوه امرأة منهم.

وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل، يطالع تركته فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بشرٍّ نحن في ضيق وشدّةٍ

وشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغيّر عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا كذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول لك غيّر عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك، وطلقها وتزوَّج منهم أخرى، ولبث عنهم إبراهيم ما شاء الله. ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، و أثنت على الله عزوجل، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي ﷺ: "ولم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه" قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يو افقاه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، و أثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنّا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي و أنت العتبة، أمرني أن أمسكك.

ثم ما لبث عنهم ما شاء الله. ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نَبْلًا له تحت دوحةٍ قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا، كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال:

فاصنع ما أمرك به ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.
قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، و إبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
قال: فجعلا يبنيان، حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
ثم قال: حَدَّثَنا عبد الله بن محمد، حَدَّثَنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حَدَّثَنا إبراهيم بن نافع، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: لما كان من إبراهيم وأهله ما كان، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ومعهم شَنَّةٌ فيها ماء. وذكر تمامه بنحو ما تقدم".

العبر المستخلصة من قصة هاجر

هاجر هي أول من أطالت ثوبها وجرت ذيلها، عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنه، قَالَ: أَوَّلُ امْرَأَةٍ جَرَّتْ ذَيْلَهَا أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، لَمَّا قَرُبَتْ مِنْ سَارَّةَ أَرْخَتْ ذَيْلَهَا لِتَقْفِيَ أَثَرَهَا، قَالَ: "وَمِنْ هَذَا أَخَذَتْ نِسَاءُ العرب جر الذيول".[1]

وهي أول من سعى بين الصفا والمروة، فقد روى الفاكهي بإسناد حسن عن ابن عباس قال: (هذا ما أورثتكموه أم إسماعيل) [2]. أي السعي بين الصفا والمروة.

---

[1] الاستذكار (8/ 312)
[2] فتح الباري (3/ 503)،

وهي أول من خُتنت وثقبت أذناها فرضي الله عنها وأرضاها.

وإن كان هناك من عبرة مستخلصة يجب تسليط الضوء عليها في قصة هاجر فهي عظيم توكلها على ربها سبحانه، وحسن تربيتها لابنها النبي عليه السلام، وحسن طاعتها لربها ثم زوجها النبي إبراهيم عليه السلام، فمع أن ظاهر الأمر هلاكها وفيه ألمًا لقلبها، إلا أن إعظام التوكل على خالقها والاستجابة لأمره ﷻ كان موجبًا لمنحة عظيمة! وفي ذلك تربية على أن قدر الله تعالى وأمر الله تعالى حين يحين وقته، فما على أمة الله تعالى إلا التسليم وإعظام التوكل على الله تعالى، مستعينة به سبحانه، لترى بعينها فرج الله تعالى وعظيم حكمته وتدبيره ﷻ، الخبير البصير بعباده. وفي ذلك تحقيق لمقام العبودية عظيم.

ويبقى جانب مهم في قصة هاجر يجب أن نتحدث عنه، وهو غيرة المرأة وكيف أنها معلم في حياة الزوج المعدد، وما حصل من غيرة سارة من هاجر هو أمر يحدث بين الضرائر، وطلب الزوجة من زوجها أن لا ترى ضرتها أو أن لا تجاورها أمرٌ غير مستنكر في الشريعة، مع أن الذي ذكره أهل العلم أن إبراهيم عليه السلام هو الذي خرج بهاجر و ابنه لا أن سارة زوجه طلبت منه ذلك.

قال ابن القيم – رحمه الله - في زاد المعاد: ".. فإن سارة امرأة الخليل غارت من هاجر و ابنها أشد الغيرة، فإنها كانت جارية فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة، فأمره الله سبحانه أن يبعد عنها

هاجرو ابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة، وهذا من رحمته تعالى ور أفته..".

وقال ابن مفلح رحمه الله: "قال الطبري وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جُبِلن عليه من ذلك"[1].

قال ابن حجر: "وأصل الغيرة غير مكتسب للنساء، لكن إذا أفرطت في ذلك بقدر زائد عليه تلام، وضابط ذلك ما ورد في الحديث عن جابر بن عتيك الأنصاري رفعه: "إِنَّ مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ، فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِرِيبَةٍ"، فالغيرة منهما – أي : من الزوج والزوجة - إن كانت لما في الطباع البشرية التي لم يسلم منها أحد من النساء، فتعذر فيها، ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل، وعلى هذا يحمل ما جاء من السلف الصالح عن النساء في ذلك"[2].

واستيعاب غيرة النساء من شيم الرجال، ومن بصيرتهم، والعاقل لا يثير غيرة زوجة من زوجاته، كي لا يقلب حياته إلى جحيم!

وحين تذكر قصة هاجر، تذكر قصة زواج ابنها إسماعيل، وزيارة إبراهيم لابنه عليهما السلام، وفي ذلك لفتة مهمة لصفات المرأة الصالحة، في صحيح البخاري من حديث ابن عباس ﷺ، قال: .."فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن

---

[1] الآداب الشرعية " (1 / 248) .

[2] " فتح الباري " (9 / 326)

بشر، نحن في ضيق وشدة.. فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يغيرعتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غيرعتبة بابك قال ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امر أته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخيروسعة و أثنت على الله فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شر ابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء" .. والقصة بطولها مبسوطة في صحيح البخاري وغيره.

ومعانيها واضحة جميلة في مقدمتها إهمية البحث عن الزوجة الصالحة الحامدة الصابرة، والابتعاد عن كثيرة التسخط والتشكي وكفران النعم.

ومن فضل أم إسماعيل، هاجر، أن أوصى النبي ﷺ بأهل مصر، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، في الحديث الصحيح، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ"، - أي ستفتحون مصر- "فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا".

(فَإِن - أهل مصر - لَهُم ذمَّة) أَي حَقًّا وَحُرْمَة، (ورحما) لكَون هَاجر أم إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام مِنْهُم، - وهي أم العرب، لذلك وفي رواية: - (وصهرا) لكَون مَارِيَة أم إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام مِنْهُم.

رضي الله عن هاجر، توفيت مؤمنة مهاجرة صابرة بارة بزوجها و ابنها. صدقت مع الله فكان من بركات صدقها أن أخرج الله من نسلها، خاتم الأنبياء محمد ﷺ! وهكذا يوجب الله لكل مؤمنة صابرة صادقة ثابتة في محنتها الكبرى منحة كبرى. ولكنها فقط لمن صدقوا وآمنوا حقًا!

وهكذا عرضت سورة إبراهيم قصة واحدة، هي قصة هاجر ﷺ وأرضاها في مقام التذكير بنِعَمِ الله على الناسِ، وتحريضهم على شُكرِها، وتحذيرهم مِن جُحودِها وكفرِها، وفي قصة هاجر قدوة لكل مسلمة مبتلاة، ولكل مسلمة منعّمة!

قصص النساء القرآنية في سورة الحجر

من أهمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

- تثبيتُ المؤمنينَ.

▪ امرأة لوط عليه السلام

سبق عرض قصتها، وتكررهنا في مقام ذكر كفر الأمم السابقة وعقاب الله لها، فجاء ذكر قصة لوط عليه السلام مهما كما سيتكررفي عدة مواضع أخرى.

▪ بنات لوط عليه السلام

سبق عرض قصتهن وتكرر هنا في مقام ذكر كفر الأمم السابقة وعقاب الله لها، فجاء ذكر قصة لوط عليه السلام مهما كما سيتكررفي عدة مواضع أخرى.

وهكذا عرضت سورة الحجر قصتين من قصص النساء، امرأة لوط وبنات لوط، نوعين من النساء في بيت النبوة، نوع كفر فاستوجب

العقاب، ونوع آمن فاستوجب النجاة! وفي ذلك تمام التثبيت للمؤمنين والمؤمنات.

قصص النساء القرآنية في سورة النحل

مِن أهمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:[1]

- إقامةُ الأدلةِ على وحدانيةِ الله تعالى، وعلى اليومِ الآخرِ، و إثباتُ صِدق الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، وما جاء به.
- الردُّ على شُبَهِ المشركينَ، وزجرُهم عمَّا هم عليه، و إنذارُهم.
- بيانُ آلاءِ الله تعالى ونِعمِه على خلقِه.

▪ قصة وأد البنات

وردت هذه القصة في موضعين من كتاب الله تعالى في سورة النحل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) ﴾ (النحل: 58-59).

وفي سورة التكوير في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (التكوير: 8-9).

[1] موسوعة التفسير

ملخص قصة البنات الموؤدات

ذكر البغوي وغيره أن مضر وخزاعة وتميما، كانوا يدفنون البنات أحياء خوفًا من الفقر عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب، إذ ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها، تركها حتى إذا صارت سداسية، قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرا في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذه البئر، فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض. ويقال: إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي، وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه ثم حصل بينهم صلح فخيّر ابنته فاختارت زوجها، فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية فتبعه العرب في ذلك.

وقد ذكر القرآن ما كانت تلاقيه البنات من قبل آبائهن، في بعض قبائل العرب في الجاهلية، وذلك أن الآباء كانوا إذا بُشّر أحدهم بمولود أنثى اسود وجهه من الغمّ وهو كاظم على الحزن والأسف، وأخذ يتوارى من الناس كراهية أن يروه من سوء ما بُشر به أي من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنت، ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بُشر بها، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، أي إن أبقاها، أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها، وقيل على هون متعلق بالفاعل في أيمسكه أي على رغم أنفه، أم يدسه

في التراب أي يئدها وهو أن يدفنها حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية. وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين.

وهنا نستحضر أبيات لإسحاق بن خلف:

لَولا أُميمَةُ لَمْ أَجزَعْ من العَدَمِ ولَمْ أُقاسِ الدُّجى في حنْدسِ الظُّلَمِ

أُحاذِرُ الفُقْرَ يوماً أَنْ يُلِمَّ بها فَيهْتِكَ السِّتْرَ عن لَحْمٍ على وَضَمِ

تَهْوى حَياتِي وَأَهوى موتَهَا شَفَقاً وَالمَوْتُ أَكْرَمُ نَزّالٍ على الحُرَمِ

جاء في شرح ديوان الحماسة لهذه الأبيات:"لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أقاس الدجى في حندس الظلم.

يروى: "ولم أجب في الليالي جندس الظلم ". والمبتدأ بعد لولا يحذف خيره أبداً، ويستغنى بجواب لولا عنه. والتقدير: لولا أميمة مانعةٌ لم أجزع. فيقول: لولا ابنتي أميمة لم أخف الفقر ولم أرحل في طلب المال، ولم أركب الليل، فكنت أجوب ظلماءه، وأكابد أهواله. والحندس: شدة الظلمة، وقد اشتق منه الفعل، فقيل: حندس الليل فهو محندس. ومعنى لم أجب: لم أقطع. وقاطع المواضع المظلمة كأنه قاطع للظلمة. ومن روى " ولم أقاس الدجى " يريد

أهوالها. وإضافة الحندس إلى الظلم كإضافة البعض إلى الكل، أي في الشديد من الظلم. ويقال تحندس الرجل، إذا ضعف وسقط.

وزادني رغبة في العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم

يقول: زادني حرصاً على الدنيا ورغبة في العيش فيها، علمي بذل اليتيمة وقد جفاها أقاربها، واطرحها أهلوها. وموضع "يجفوها" من الإعراب نصب على الحال لليتيمة، والعامل فيه ذل اليتيمة. والتقدير: زادني معرفتي بذل اليتيمة إذا جفاها ذووها رغبةً في العيش ومهلة العمر.

أحاذر الفقر يوماً إن يلم بها ... فيهتك الستر عن لحمٍ على وضم

قوله "أن يلم بها" موضعه نصب على البدل من الفقر. والمعنى: أحاذر إلمام الفقر بها فيكشف الستر عمن لا دفاع به، فتناوله من شاء بما شاء. والعرب تقول:"النساء لحمٌ على وضمٍ إلا ما ذب عنه"، والوضم: خوان الجزار والخباز، وموضعه ميضمةٌ، والجميع مواضم.

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً ... والموت أكرم نزال على الحرم

يقول: تحب ابنتي بقائي لها، وأنا أود موتها إشفاقاً عليها، وخوفاً من ابتذال يلحقها، وابتلاء بمن لا يعرف لها ما يعرف لمثلها، ثم قال: والموت أكرم نزالٍ على الحرم، كما قيل: نعم الختن القبر ودفن البنات من المكرمات. وانتصف شفقاً على أنه مفعول له.أخشى فظاظة عمٍ أو جفاء أخٍ ...

وكنت أبقى عليها من أذى الكلم. هذا تفسير قوله أهوى موتها شفقاً يريد: أشفق من مغالظة عمٍ لها، أو جفوة أخٍ تلحقها، وأنا كنت أبقي عليها من إيذائها بالكلم فضلاً عن غيرها من الأفعال.

يقال: رجل فظٌ، إذا كان قاسي القلب غليظ القول. والكلم: جمع كلمة. ومعنى: أذى الكلم الأذى الذي يلحق من الكلم.

وهذه الأبيات مع ما يشبهها لما ضادت ما قبلها في تضمنها رقة القلب، والتعطف على الولد والأهل، أتبعها بها. وكل ذلك كالعارض ثم يعود إلى ما بني عليه الباب. وهذا عادة أبي تمام في أبواب هذا الاختيار".[1]

العبر المستخلصة من قصة وأد البنات

لقد أنقذ الإسلام المرأة وعصم دمّها وخلّصها من جاهلية عظيمة، وبيّن أن الجهل والكفر لنعمة الله تعالى يقود الرجل إلى الظلم والطغيان.

وفي القصة كرامة للنساء كما الرجال، فالله تعالى كرم بني آدم ذكرًا كان أو أنثى.

وحفظ الإسلام المرأة ونصرها وذبّ عنها في مواطن الظلم والطغيان، وحماها من الذلّ والهوان، فعلى المرأة المسلمة أن تحمد الله وتشكره على هذه المنة العظيمة وتتمسك بدينها فهو حصنها ونجاتها.

---

[1] كتاب شرح ديوان الحماسة، المرزوقي الأصفهاني، ص 205- 206.

وإن كان الوأد قد انقطع منذ حرّمه الإسلام إلا أنه اتخذ في زماننا أشكالا أخرى، من تضييع أمانة تربية البنات على الإيمان والتقوى، والتقصير في تربيتهن التربية الإسلامية القويمة، وسترهن بالحجاب مبكرًا، ومعاملتهن معاملة الأنثى لا الذكر الذي يطالب بالنفقة، ثم اختيار الزوج الصالح القوام الذي يحفظ لها مصالح دينها ودنياها، فتزويج الابنة لرجل فاسق لا يصلي وأد لها. وما أكثر ما يحدث في زماننا!

وكذلك دفع البنات لساحات الاختلاط لجني الأموال بدون مبالاة بما يخدش حياءهن وما يتعرضن له من فتن بمزاحمتهن الرجال والاسترجال، من أشكال الوأد للبنات.

وكل ما يخرج البنات عن أنوثتهن والغاية من خلقهن هو وأد يؤدي بهن إلى التهلكة.

ومما يجب التنبيه إليه في هذا المقام رد شبهة يسري بها بعض الحاقدين على الإسلام، بقولهم إن الفارق عمر بن الخطاب ﷺ كان يئد البنات في الجاهلية، وهذه فرية لم ترد في كتب السنة والحديث أو كتب الآثار والتاريخ، ولا يعرف من مصادرها إلا ما يكذبه الر افضة الحاقدون من غير دليل ولا حجة، وإذا كان وأد البنات منتشراً في بني عدي ، فكيف ولدت حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ له في الجاهلية قبل البعثة بخمس سنوات ولم يئدها؟! لا شك أن ذلك دليل على أن وأد البنات لم يكن من عادة عمر بن الخطاب ﷺ في الجاهلية كما يؤكد ذلك أهل العلم.

▪ قصة المرأة الحمقاء

ورد ذكر المرأة الحمقاء في موضع واحد في القرآن في سورة النحل، في قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92) ﴾ (النحل: 92).

ملخص قصة المرأة الحمقاء

اختلف المفسرون في المراد بالتي نقضت غزلها على قولين:

القول الأول: إنها امرأة معروفة بمكة واختلفوا في اسمها.

قال مقاتل: اسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

وقال البلاذري: هي والدة أسد بن عبد العزى بن قصي وهي ابنة سعد بن تميم ابن مرة.

وقال أبو بكر بن أبي حفص: هي سعيدة الأسدية.

وقال عبد الله بن كثير والسدي: هي امرأة خرقاء كانت بمكة.

والقول الثاني: إنه مثل لمن نقض عهده بعد توكيده وهذا قول مجاهد وقتادة و ابن زيد، وتبعهم على هذا القول ابن كثير و أبو حيان والآلوسي

والـذي يظهـر أن الآيـة ضـربت مـثلا فـيمن كانـت تلـك صـفته بمـا فيـه المـرأة المعنية، والله أعلم.

وذكـر الله تعـالى خبـر تلـك المـرأة الحمقـاء، التي كانـت تغـزل غزلهـا وتفتلـه محكمًـا ثـم تحلـه! وقـد ذكـر بعـض المفسـرين تفصـيلا لهـذا الخبر فقـالوا عنهـا: إنهـا امـرأة بمكـة، وكانـت حمقـاء بهـا وسوسـة، وقـد اتخـذت مغـزلا قـدر ذراع وسـنارة مثـل الإصـبع وفلكـة عظيمـة، وكانـت تغـزل الغـزل مـن الصـوف أو الشـعر أو الـوبر، وتـأمر جواريهـا بـالغزل وكـن يغـزلن مـن الغـداة إلى نصـف النهـار، فـإذا انتصـف النهـار أمـرتهن بـنقض جميـع مـاغزلن، فمـا كـان غـزلا واحـدا جعلتـه خيوطـا عديـدة فصـيرته إلى الحالـة التي كان عليهـا قبـل الغـزل وكان هذا دأبها.

العبر المستخلصة من قصة المرأة الحمقاء

إن العقـل زينـة وتضـييع الوقـت والجهـد في فـراغ مصـيبة في حيـاة الإنسـان، وفي القصـة تربيـة علـى حفـظ جهـود السـعي والأعمـال وعـدم نقضـها، وتوجيـه المـؤمنين لضـرورة عـدم التشـبه بالسـفهاء، أو صـحبة السـفهاء وتقليـدهم. وفيهـا أن الحماقـة أعيـت مـن يـداويها وهي أخطـر الأمـراض التي يتحصن منها المرء بسؤال الله العفو والعقل والسلامة.

و أقـول مـن الضـرورة بمكـان في زماننـا هجـر منـابر السـفاهة وصـناعة التسـفيه، والصـحبة السـفيهة، التي تقـوم علـى أهـداف هدامـة ومضـيعة

الوقت والجهد، ولو استمرت المرأة لوحدها بصحبة كتاب لكان خيرًا لها من صحبة تقودها إلى نقض غزلها بالذنوب والتعاون على الإثم والعدوان وهدر الوقت فيما يضر ولا ينفع.

ومن علو الهمة الاهتمامات الراقية للمرأة المسلمة التي تبحث عما يصقل همتها وينفعها في دينها وآخرتها، عيناها لا تنفك تبصر منازل الخالدين، فتجتهد بإخلاص وحسن اتباع لسنة رسول الله ﷺ فتدخل سجل الخالدات.

وفي ذلك درس وعبرة لضرورة اختيار المرأة العاقلة لا الحمقاء في حالات الصحبة للنساء والزواج للرجال، وأن الحمق والسفاهة من أبرز صفات الضالات ولذلك يفسدن في الأرض ولا ينفعن أحدًا، وهو حال النسويات من بين أصناف الحمق العديدة في زماننا.

وهكذا عرضت لنا سورة النحل قصتين من قصص النساء، المؤودة والحمقاء، وفي ذلك نموذجان مريضان لحال النساء من أبرز ما تفشى في مجتمعاتنا في زماننا، فبين أسر لا تبالي بمصير بناتها فتلقي بهن في مستنقعات الفتن وسبل النار، وبين نساء اتبعن كل ناعق ضال سفيه، فخرجت علينا نماذج حمقاء أعيت من يداويها. وعلاج ذلك كله، التربية الإيمانية والخلقية المهيبة.

قصص النساء القرآنية في سورة الإسراء

من أبرز مقاصد سورة الإسراء:

- تَرسيخُ أصولِ العَقيدةِ الإسلاميَّةِ، وتَنقيتُها مِن كُلِّ ما يَشوبُها.
- الحديثُ عن الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وبيانُ مَوقِف المُشرِكينَ منه.
- بيانُ بعضِ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ المتضَمِّنةِ لقواعِدِ السُّلوكِ الفَرديِّ والجَماعيِّ.[1]

لم ترد قصص للنساء في سورة الإسراء، ولكنني أحثّك أختي المسلمة على استحضار فضل هذه السورة.

قال البخاري رحمه الله: حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد، سمعت ابن مسعود، رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد بن زيد عن مروان، عن أبي لبابة، سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول:

[1] موسوعة التفسير.

ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول، ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ كل ليلة "بني إسرائيل" و"الزمر".

وتدبري معي هذه الآيات بقلب حي، واستحضار لعظيم فضل القرآن والعمل به.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)﴾.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا (11) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12) وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (15) وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16)﴾.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (19) كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (22) ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27)﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (33) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38)﴾.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (53)﴾.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)﴾.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (79) وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (80) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا (84) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86)﴾.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (106) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (109) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (110) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الكهف

مِن أهَمِّ مقاصدِ هذه السُّورةِ: الهدايةُ إلى العقيدةِ الصحيحةِ، وإلى السلوكِ القويمِ، وإلى الخلقِ الكريمِ، وإلى التفكيرِ السليمِ الذي يهدى إلى السعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ.[1]

▪ قصة المرأة المؤمنة التي قتل الخضر ابنها الكافر

ورد ذكر المرأة المؤمنة التي قتل الخضر ابنها الكافر في موضع واحد في القرآن، في قول الله تعالى ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَ أَقْرَبَ رُحْمًا (81) ﴾ (الكهف: 80-81).

ملخص قصة أم الغلام الكافر

لم يذكر اسم هذه المرأة المؤمنة لا في القرآن ولا السنة، ولكن ذكره المؤرخون على أن اسمها رحما، وقيل سهوى.

وقد ابتلى الله تعالى هذه المرأة وزوجها بولد كافر ظالم، قال ابن عباس ﷺ في قراءته للآية حيث قرأها (وأما الغلام فكان كافرًا) (صحيح البخاري)، وكما بينه النبي ﷺ :"وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرًا"

[1] موسوعة التفسير.

(صحيح مسلم)، وكذلك ابتلى الله تعالى هذين الأبوين بقتل ابنهما، قال تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ وبين القرآن الكريم سبب قتله على يد الخضر عليه السلام بقوله تعالى ﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾، وقال ﷺ:"وكان أبواه قد عطفا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفرًا" (صحيح مسلم)، فكان قتله خيرًا لوالديه من بقائه، لأن لو بقي لحمل والديه على الكفر لحبهما له فيضلا ويرتدا، أو أنه لو بقي لطغى عليهما بعقوقه وسوء معاملته، فأراد الخضر عليه السلام بقتله أن يبدلهما الله ولدا صالحًا بارًا بوالديه، فيكون لهما خيرا من ذلك المقتول، كما نصت على ذلك الآية.

ووردت إسرائيليات بشأن هذه المرأة المؤمنة، قال صاحب كتاب قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها:"من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأما ما روي من ذبّ الوالدين عن ولدهما مع كونه ظالما والحلف على براءته فلا يليق بهذين الأبوين الموصوفين بالإيمان، إذ إن المؤمن لا يرضى بالظلم ولو كان واقعًا من أقرب الناس إليه كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)﴾ النساء (135).

وأما ذكر أن قتل الغلام كان صيانة للوالدين من أن يدعو عليهما أحد من أولئك المظلومين فهذا غير صحيح، لأن الله تعالى يستيجب دعاء المظلوم إذا دعا على من ظلمه، والظلم إنما حصل من قبل الولد، ولا تبعة على الوالدين في ذلك إذا انحرف الولد عن الطريق المستقيم بعد ما ربياه عليه، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ المائدة (105) وقال ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ثم إن الله تعالى بيّن سبب قتل الغلام في قوله ﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾

وأما سوى ذلك من الروايات فلا حرج في ذكرها والله أعلم"[1].

العبر المستخلصة من قصة أم الغلام الكافر

نرى في قصة هذه الأم التي كان ابنها كافرًا، كيف أنه لا تبعة للوالدين في فساد الولد، مع نصحهما له، ونرى التحذير من مخالطة الكافر الظالم ولو كان من ذوي القربى كما نرى أن صلاح الوالدين من أسباب صلاح الأبناء ولكن لا يعني أن لا يخرج من الصالح طالحًا بل نرى أن صلاحهما سبب نجاتها، وفي ذلك خير أيًا كان الأقدار مؤلمة.

[1] قال صاحب كتاب قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص(43- 44)

فـالله تعـالى حـين يختـار للوالـدين المـؤمنين قـدرًا مؤلمـا فإنمـا يقـدره ليجنبهمـا مـا هـو أكثر إيلامًـا، وهـو الحـال مـع كل عبـد مـؤمن مـن عبـاده. ولا أكثر إيلامًـا من كفر الابن!

ويبقـى أهـم الـدروس في هـذه القصـة أن الإيمـان هـو أغلى مـا يملـك المـؤمنين، فيهـون قتـل النفـوس في سـبيل حفظـه. وأن عنايـة الله تعـالى بـالمؤمنين أعظـم مـا ينشـد المـؤمن في الحيـاة الـدنيا، ولـذلك حفـظ التوحيـد أعلى مقامـات الفـداء، ولا يجـب التهـاون مـع ذلـك، في الحـروب والأزمـات والابـتلاءات، لا بـد من حفظ التوحيد، ولو خسر المسلم كل ما يملك وكل من يحب!

ولهذا لو أخذ منك أعداء الله ورسوله كل شيء!

كل مـا تملكـه وكل مـن تحـب وكل مـا يخصـك في هـذه الـدنيا، بأبشـع طريقـة وبأنكى وأمكر وأغدر الوسائل.

فلا تسمح لهم أن يأخذوا منك إيمانك.

لا تسمح لهم أن يمسوا بتوحيدك وعقيدتك.

فبقـاؤك مسـلمًا موحـدًا مسـتعليًا بإيمانـك .. هـو النصـر العظـيم المبـين وإن كان خاتمته سفك دمائك!

ثم إن في هذه القصة حقيقة تتكرر، إن الأبناء مجبنة مبخلة محزنة. فلا يجب أن يجهل المسلم لأجل أولاده ويعادي ويوالي عليهم، فكثيرًا ما تقع الفتن والخصومات بين الناس بسبب الأبناء، وكثيرًا ما يكون سببها سوء فهم أو حمية في غير موقعها.

وإن كان من وصية لكل أم، فإن تربية ابنك على التوحيد والسنة خير لك ولابنك من تربية لأجل أن تفاخري به لجني مال أو منصب أو نفوذ أو سمعة بين الناس بدون تربية عقدية وخلقية.

وفي زماننا غلب على الأسر تربية الأبناء على كل شيء من اللهث خلف زخرف الدنيا وما يتنافس عليه الناس من فتات الدنيا إلا الإيمان! وهذه مصيبة عظمى. و إنه لقتل للأبناء من حيث لا تدري الأم ولا يدري الأب.

وهكذا عرضت لنا سورة الكهف قصة واحدة من قصص النساء فيها تربية للأمهات على الحق والتسليم لأمر الله تعالى وحسن الظن به ﷻ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن استقام كما يحب الله ويرضى منّ عليه تعالى باللطف والرحمة والمعية والبركة!

قصص النساء القرآنية في سورة مريم

من أبرز مقاصد سورة مريم: تحقيقُ العُبوديَّةِ، وتعظيمُ شَأنِ الرُّبوبيَّة، وتقريرُ مَبدأِ البَعثِ.

قصة مريم

سورة مريم السورة العظيمة، ورد فيها ذكر قصة مريم، في مقام الحديث عن عيسى عليه السلام وخلقه و إقامة الحجة على المشركين والذين كفروا. وقد سبق أن عرضنا قصة الصديقة مريم، وسيتكرر ذكرها في عدة مواضع في القرآن الكريم لاتصالها الوثيق بقصة ابنها عيسى النبي الذي خلق بدون أب، عليه السلام.

وقصة مريم كانت القصة الوحيدة من قصص النساء التي تضمنتها سورة مريم، ما يتفق تمامًا ومقاصد هذه السورة الجليلة ومعانيها المهيبة.

قصص النساء القرآنية في سورة طه

من أهمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

رعايةُ اللهِ للمُختارينَ لحَملِ الدعوةِ مِن الرسُلِ و أتباعِهم.

▪ قصة حواء

سبق ذكر قصتها في قسم سورة البقرة، وفي سورة طه تكرر ذكرها لتعلقها بقصة خلق آدم عليه السلام.

▪ قصة أم موسى

ورد ذكر أم موسى في سورة طه في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (40) (طه: 37-40).

وفي سورة القصص في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) ﴾ (القصص: 7:13).

ملخص قصة أم موسى

لم يذكر اسمها في القرآن والسنة و إنما ذكر من أهل التاريخ على أن اسمها "يوحانذ"، وقيل "يحيب"، وقيل"يوخايذ"، وقيل "باختة"، وقيل "لوحا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب" وقيل غير ذلك.

وأجمع العلماء على أن أم موسى لم تكن نبية، واختلفوا في وحي الله لها، هل كان إلهامًا، أو إعلامًا، فذهب الجمهور إلى أن وحي الله تعالى إليها كان إلهامًا كما في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ﴾.

وقال بعضهم كان بالإراءة منامًا. وذهب بعضهم إلى أنه كان بإرسال الملك إليها كما بعث إلى مريم.

قال الآلوسي: والظاهر أن الإيحاء إليها كان بإرسال ملك.

وقال القرطبي: و إنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة.

وقيل كان على لسان نبي في وقتها كما في قوله تعالى ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين ﴾.

وهذا الوجه ضعيف فقد نقل الطبري عن السلف تفسيرهم للوحي في قوله تعالى ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين ﴾ أنه بمعنى الإلهام.

وننقل ها هنا قصة أم موسى في قصص الأنبياء لابن كثير في باب "ذكر قصّة موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم" حيث قال رحمه الله: " فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولًا حذرًا من وجود موسى. هذا، والقدر يقول: يا أيها ذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه و اتساع سلطانه، قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع ولا تخالف أقداره، أن هذا المولود الذي تحترز منه، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى لا يكون مرباه إلا في دارك، وعلى فراشك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك، و أنت الذي تتبناه وتربيه وتتفداه، ولا تطلع على سر معناه. ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه، لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين، وتكذيبك ما أوحى إليه، لتعلم

أنت وسائر الخلق أن رب السماوات والأرض هو الفعال لما يريد و أنه هو القويّ الشديد ذو البأس العظيم، والحول والقوة والمشيئة التي لا مرد لها.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون. فأمر فرعون بقتل الأبناء عامًا، وأن يتركوا عاما، فذكروا أن هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم، فضاقت أمه به ذرعًا واحترزت من أول ما حبلت، ولم يكن يظهر عليها مخايل الحبل. فلما وضعت ألهمت أن تتخذ له تابوتًا ربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت فأرسلته في البحر وأمسكت طرف الحبل عندها فإذا ذهبوا استرجعته إليها به.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ، فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ، وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

هذا الوحي وحي إلهام وإرشاد، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا..﴾ الآية.

وليس هو بوحي نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين، بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة.

قال السهيلي: واسم أم موسى "أيارخا"، وقيل "أياذخت". والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذي ذكرناه، وألقي في خلدها وروعها أن لا تخافي ولا تحزني فإنه إن ذهب فإن الله سيرده إليك وأن الله سيجعله نبيًا مرسلًا يعلي كلمته في الدنيا والآخرة. فكانت تصنع ما أمرت به فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الحبل عندها فذهب مع النيل فمر على دار فرعون ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾

قال الله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قال بعضهم، هذه لام العاقبة، وهو ظاهر إن كان متعلقًا بقوله فالتقطه. وأما إن جعل متعلقًا بمضمون الكلام وهو أن آل فرعون قُيّضوا لالتقاطه ليكون لهم عدوًا وحزنًا صارت اللام معللة كغيرها والله أعلم. ويقوي هذا التقدير الثاني قوله ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وهو الوزير السوء ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ المتابعين لهما ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ أي كانوا على خلاف الصّواب فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة.

وذكر المفسرون أن الجواري التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرون على فتحه حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف. وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى. وقيل: بل كانت عمته. حكاه السهيلي فالله أعلم.

وسيأتي مدحها والثناء عليها في قصّة مريم بنت عمران وأنهما يكونان يوم القيامة من أزواج رسول الله ﷺ في الجنة.

فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية، فلما رأته ووقع نظرها عليه أحبته حبًا شديدًا جدًا. فلما جاء فرعون قال: ما هذا؟ وأمر بذبحه، فاستوهبته منه ودفعت عنه ﴿وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ فقال لها

فرعون: أما لك فنعم وأما لي فلا، أي لا حاجة لي به. والبلاء مُوكَّل بالمنطق وقولها: ﴿عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا﴾ وقد أنالها الله ما رَجَتْ من النفع. أما في الدنيا فهداها الله به، وأما في الآخرة فأسكنها جنته بسببه ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وذلك أنهما تبنياه، لأنه لم يكن يولد لهما ولد. قال تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يدرون ماذا يريد الله بهم حين قيضهم لالتقاطه من النقمة العظيمة بفرعون وجنوده؟

وعند أهل الكتاب: أن التي التقطت موسى (دربتة) ابنة فرعون، وليس لامر أته ذكر بالكلية، وهذا من غلطهم على كتاب الله عزوجل.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ، فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرو أبو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ أي من كل شيء من أمور الدنيا، إلا من موسى ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي لتظهر أمره وتسأل عنه جهرة ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ أي صبرناها وثبتناها ﴿لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَتْ لأُخْتِهِ﴾ وهي ابنتها الكبيرة،﴿قُصِّيهِ﴾، أي اتبعي أثره واطلبي لي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ قال مجاهد عن بعد. وقال قتادة: جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده. ولهذا قال ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُون﴾ وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن يغذوه برضاعة، فلم يقبل ثديًا ولا أخذ طعامًا، فحاروا في أمره واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن فلم يفعل. كما قال تعالى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ فأرسلوه مع القوابل والنساء إلى السوق لعلهم

يجدون من يو افق رضاعته، فبينما هم وقوف به والناس عكوف عليه إذ بصرت به أخته فلم تظهر أنها تعرفه بل قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾. قال ابن عباس: لما قالت ذلك قالوا لها: ما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه؟ فقالت: رغبة في سرور الملك، ورجاء منفعته.

فأطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم، فأخذته أمه، فلما أرضعته التقم ثديها، وأخذ يمتصه ويرتضعه، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، وذهب البشير إلى ﴿آسية﴾ يعلمها بذلك، فاستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها، وأن تحسن إليها فأبت عليها، وقالت إن لي بعلًا وأولادًا، ولست أقدر على هذا، إلا أن ترسليه معي، فأرسلته معها ورتبت لها رواتب، وأجرت عليها النفقات والكساوي والهبات، فرجعت به تحوزه إلى رحلها، وقد جمع الله شمله بشملها.

قال الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي كما وعدناها برده ورسالته، فهذا رده، وهو دليل على صدق البشارة برسالته ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وقد امتن الله على موسى بهذا ليلة كلمه، فقال له فيما قال: ﴿مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ وذلك أنه كان لا يراه أحد إلا أحبه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ قال قتادة وغيرواحد من السلف: أي تطعم وترفه وتغّذى بأطيب المآكل، وتلبس أحسن الملابس بمرأى مني وذلك كله بحفظي وكلائتي لك فيما صنعت بك ولك وقدرته من الأمور التي لا يقدر عليها غيري ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنْ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ

فُتُونًا﴾. وسنورد حديث الفتون في موضعه بعد هذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْلِي فَغَفَرَلَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

لما ذكر تعالى أنه أنعم على أمه برده لها وإحسانه بذلك وامتنانه عليها شرع في ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى وهو احتكام الخَلْق والخُلقُ وهو سن الأربعين في قول الأكثرين آتاه الله حكمًا وعلمًا وهو النبوة والرسالة التي كان بشّر بها أمه حين قال ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾".

وقد رويت العديد من الإسرائيليات على صلة بهذه القصة، قال صاحب كتاب " قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها":"من هذه الإسرائيليات ما هو ثابت، ومنها ما هو منكر مردود ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأما ما روي من أنها خافت على ابنها فمصداقه قول الله تعالى ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)﴾.

وأما ما ذكر من إلهام الله تعالى لها فقد سبق الترجيح بأنه أوحي إليها بإرسال الملك، فيصدقه قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ، وأما ما روي من أنها كانت إذا خافت عليه وضعته في التابوت وربطت التابوت بحبل وألقته في اليم فرمدود لأنه مخالف لقوله عز﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39)﴾ فظاهر هذا أنها أمرت بإلقائه والتخلي عنه و إيكال أمره إلى الله عزوجل الذي وعدها بإرجاعه إليها.

وأما الخلاف في زمن إلقائه وحصول الخوف عليه: هل كان بعد ولادته بأربعةأشهر أو ثلاث أو ثمان؟ فلا دليل يعين أي ذلك كان والمهم أنه امتثلت ما أمرها الله به.

وأما ما ذكر من أنها لما خافت عليه وضعته في التنوروهو موقد وأن النار كانت بردًا وسلامًا عليه فلا يصح سندًا ولا متنًا، لأنه خلاف ما أمرها الله عزوجل به، من إلقائه في اليوم عند خوفها عليه ثم إنه لو كان صحيحا، لذكره الله عزوجل في جملة ما امتن الله به على موسى عليه السلام لأنه يكون حينئذ معجزة لموسى عليه السلام.

وأما ما ذكر من أنها لم يتغيرلها لون عندما دخل عليها جنود فرعون فبعيد، لأن الله تعالى ذكر حالها عند فراق ابنها بقوله ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10)﴾.

وأما ما روي أنها كانت ترضعه في بستان فغير صحيح، لأنه ضعيف، السند خلاف ما أمرها الله به حيث إن الله تعالى أمرها إذا خافت عليه فلتقله في اليم.

وأما ما سوى ذلك من الروايات فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فالظاهر أنه لا بأس من ذكره والله تعالى أعلم".[1]

العبر المستخلصة من قصة أم موسى عليه السلام

أول عبرة نستخلصها من قصة أم موسى عليه السلام، هي إعظام التوكل على الله تعالى، لقد أسلمت أم موسى أمرها وأمر ابنها الرضيع لله تعالى بشكل كامل واختارت المغامرة لحفظ التوحيد على الخضوع لطاغية.

وفي إعظامها التوكل على ربها نرى أن النجاة قد تكون فيما يبدو لنا فيه الهلاك. كحال من يكره القتال وهو فيه النجاة، وهذا يعني ضرورة الالتزام بأمر الله تعالى وعدم استعظامه. فألطاف الله ومعيته بأوليائه لا تتصورها العقول.

وتبقى عاطفة الأم أقوى العواطف البشرية وهي تتأذى بشدة حين تبتلى في فلذة كبدها، وإن من الابتلاءات ما لا حل معها إلا أن يربط الله تعالى على قلب المؤمنة.

ثم إن من أعظم نعم الله على العبد تثبيت الله له عند المقلقات والمخاوف، أخذًا من تثبيت الله عزوجل لأم موسى. وزيادة الإيمان والثواب في الصبر والثبات عند المخاوف والمقلقات. قال تعالى ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10)﴾.

---

[1] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس، والعبر والأحكام المستفادة منها ص37.

ومن ثمرات الصبر عند المخاوف صواب القول وثبات الفكر والرأي حيث يهدي الله عباده المؤمنين المخلصين.

ونرى في قصة أم موسى، أن الأخذ بالأسباب لا يقف مع هول المصيبة وعلاج ذلك هو التوكل.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق"[1].

وقال رحمه الله: "والذي يحقق التوكل القيام بالأسباب المأمور بها فمن عطلها لم يصح توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنيًا، كما كان من عطلها يكون توكله عجزًا وعجزه توكلا"[2].

▪ قصة أخت موسى

ورد ذكر أخت موسى في القرآن الكريم في موضعين هما في قوله تعالى﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (40)﴾ (طه : 40)

وفي قوله تعالى ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11)﴾ (القصص: 11-12).

---

[1] الفوائد لابن القيم 113.

[2] المرجع السابق.

ملخص قصة أخت موسى

لم يذكر القرآن ولا السنة اسم أخت موسى، وقد أشار له بعض العلماء على أن اسمها مريم وقيل كلثوم وقيل كلثم.

وكما منّ الله تعالى بهارون يشد عضد أخيه، منّ عليه بأخته، فقد استجابت لأمر والدتها بالتقصي عن أخيها بعدما ألقته أمه في اليم لتنجيه من الطاغية، فانطلقت تتبع أثره وهي تستشعر عظم المسؤولية وخطورة الأمر، في وقت يتربص جند فرعون بهم، وتميزت بحكمة وبصيرة فأخذت ترقب أخاها عليه السلام عن بعد بفطنة وذكاء وحرص متخفية من الأعداء، كي لا يشكوا في أمرها، وفي صلتها به، وهم لا يشعورن أنها ترقبه، ولا يشعرون أنها أخته.

ولما رأت حيرتهم فيه عندما امتنع عن الرضاعة من أي امرأة بقضاء الله تعالى، دخلت وعرضت عليهم حلا لما هم فيه بقولها: هل أدلكم على من يكفله ؟ فتكلمت بكلام لا ريبة فيه ولا تهمة، فأما قولها هل أدلكم ففيه حثّ وتحضيض، وقولها: على أهل بيت إشارة إلى أن المراد بامرأة من أهل الشرف تليق بخدمة الملوك.

فتلك المرأة حَرية بكفالته والقيام على إرضاعه وتربيته دون تقصير.

فسرعان ما استجابوا لها ورد الله تعالى موسى إلى أمه كما وعدها قال تعالى ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ فكان لأخته الناصحة بالغ

الإحسان على أخيها عليه الصلاة والسلام وعلى أمها في رد موسى إليها وزوال الحزن عنها برؤيته وحضانته.

ووردت عدة إسرائليات عن أخت موسى:"من هذه الروايات ما هو ثابت ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأما ما جاء من صفة تتبعها لأخيها فقد ذكر القرآن شيئا من ذلك في قوله تعالى ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، وكذلك عرضها عليهم من يصلح لإرضاعه وهذا في قوله تعالى ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾.

وأما قولها أنها أرادت بكلامها هم للملك ناصحون فهذا لا بأس فيه فإنه كذب على العدو.

قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخَص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: "الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها". صحيح مسلم.

وأما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه من الدليل فلا حرج في ذكره والله تعالى أعلم".[1]

[1] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص 177

العبر المستخلصة من قصة أخت موسى

تستوجب شخصية أخت موسى الانبهاروالتقدير، فقد اتصفت بشجاعة و اتزان ورجاحة عقل وتحمل للمسؤولية مهيبة في ظروف مخيفة! وهي صفة مطلوبة جدًا في زمان الصراع بين الحق والباطل، فقد تصرفت بالطريقة الصحيحة في الوقت المناسب وكانت سببًا في عودة أخيها لحضن أمه بأمان في ظرف مقلق وتهديد مرعب.

لقد علمتنا أهمية الكتمان والمداراة للعدو، علمتنا واجب الحذر والفطنة وحفظ الأسرارعن الأعداء.

ونرى في قصتها شدة محبتها لأخيها، وحرصها عليه فالأخت أم ثانية.

كما نرى أن بعض النساء يمكنها أن تسد الثغربأحسن ما يكون لقدراتها العقلية العالية وصفاتها الأمنية الملائمة تماما. وما أجمل رجاحة العقل والأمانة في المرأة.

قصة زوج موسى

ورد ذكر زوج موسى عليه السلام في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، في سورة طه في قوله تعالى : ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)﴾ (طه : 10).

وفي سورة النمل في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)﴾ (النمل : 7).

وفي سورة القصص في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) ﴾ (القصص 29).

ملخص قصة امرأة موسى عليه السلام

لم يذكر اسمها في القرآن ولا في السنة وذكرها أهل التاريخ على أن اسمها "صفوريا" وهي ابنة صالح مدين كما في قول الله تعالى عن صالح مدين لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)﴾ (القصص 27).

و أبرز صفة عرفت بها زوجة موسى عليه السلام هي الحياء والعفة والعقل وبرها بوالدها، وقد تزوجها موسى لما عرض والدها عليه الزواج

من إحدى ابنتيه، والظاهر أنها التي جاءت موسى عليه السلام تمشي على استحياء، وهي التي قالت: يا أبت استأجره.

تزوجها موسى وبعد أن قضى الأجل، سافر من مدين بها، فر افقته على الرغم من شدة البرد. ثم تاهوا في الطريق ليلا فلاحت لموسى عليه السلام نار من جانب جبل الطور، فبادر عليه السلام بالأخذ بالأسباب وأمر أهله أن يبقوا مكانهم ليسرع هو إلى النار راجيًا أن يجد عندها من يرشده الطريق.[1] فإن لم يكن هناك خير أتاهم بقبس من تلك النار يستدفئون به، فلما ذهب موسى عليه السلام إلى النار وجد عندها خيرًا مما أراد، إذ كلمه الله عزوجل، وبعثه بالرسالة، فرجع إلى أهله بكنز عظيم، قال ابن كثير-رحمه الله-: "وقد أتاهم بخبر وأي خبر، ووجد عندها هدى وأي هدى، و اقتبس منها نورًا وأي نور".

العبر المستخلصة من قصة امرأة موسى

أول ما لقنته زوجة موسى للنساء اليوم هو صفة الحياء والعفة التي رفعتها لمرتبة زوجة نبي مرسل!

والكثير من أخلاق التربية القويمة ورجاحة العقل، فبرها بوالدها مدرسة وأدبها وخلقها مع موسى أيضا مدرسة، ثم صبرها مع زوجها وخروجها معه في طريق سفر بعيد كذلك مدرسة، لقد حملت صفات المرأة الصالحة

[1] تفسير الطبري

الصبورة والوفية والطائعة لزوجها، فكانت مثالا للزوجة المؤمنة خير زوجة لزوجها النبي عليه السلام.

لقد كانت زوجة مستجيبة لزوجها، قال لها: امكثوا، فلم تعترض، وصبرت والجو برد والمكان موحش والزوج يخرج!، ذلك أنها على ثقة أنها مع رجل قوام. وتلك صفات المرأة المؤهلة لحمل أمانة الدعوة لله تعالى مساندة لزوجها.

▪ قصة آسية (امرأة فرعون)

جاء ذكرها في موضعين في كتاب الله تعالى وهما:

في سورة القصص في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾ (سورة القصص: 9).

وفي سورة التحريم في قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) ﴾ (التحريم: 11).

ملخص قصة آسية

لم يرد اسمها في القرآن ولكنه ورد في السنة حيث قال النبي ﷺ :"كمل من الرجال الكثيرولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران"[1].

وقيل إنها ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصرفي زمن يوسف، وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى، وقيل كانت عمته كما ورد في قصص الأنبياء، ذكرالآلوسي أنها ليست من بني إسرائيل بل من العماليق[2].

وقيل إنها ابنة عم فرعون وهي أحد من آمن بموسى عليه السلام، وزوجها فرعون هو الوليد بن مصعب وقيل اسمه ظلمي.

وذكرلنا القرآن قصتها، وشفاعتها لموسى عند فرعون في ألا يقتله، وذلك بسبب ما حصل لها من الرباط الروحي الذي جعله الله تعالى من قبلها نحوه قال تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39)﴾، فقد ألقى الله تعالى محبة موسى في قلبها.

قال ابن كثير-رحمه الله- في قصص الأنبياء: "قال الله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قال بعضهم، هذه لام العاقبة، وهو ظاهر إن كان متعلقًا بقوله فالتقطه. وأما إن جعل متعلقًا بمضمون الكلام وهو أن آل فرعون قُيّضوا لالتقاطه ليكون لهم عدوًا وحزنًا صارت اللام معللة

---

[1] صحيح البخاري.

[2] روح المعاني ج20 ص 47.

كغيرها والله أعلم. ويقوي هذا التقدير الثاني قوله ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وهو الوزير السوء ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ المتابعين لهما ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ أي كانوا على خلاف الصّواب فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة.

وذكر المفسرون أن الجواري التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرون على فتحه حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف. وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى. وقيل: بل كانت عمته. حكاه السهيلي فالله أعلم".

"فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية، فلما رأته ووقع نظرها عليه أحبته حبًا شديدًا جدًا. فلما جاء فرعون قال: ما هذا؟ وأمر بذبحه، فاستوهبته منه ودفعت عنه ﴿وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ فقال لها فرعون: أما لك فنعم وأما لي فلا، أي لا حاجة لي به. والبلاء مُوكَّل بالمنطق وقولها: ﴿عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا﴾ وقد أنالها الله ما رَجَتْ من النفع. أما في الدنيا فهداها الله به، وأما في الآخرة فأسكنها جنته بسببه ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وذلك أنهما تبنياه، لأنه لم يكن يولد لهما ولد. قال تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يدرون ماذا يريد الله بهم حين قيضهم لالتقاطه من النقمة العظيمة بفرعون وجنوده".

وبعد سرده لقصة عودة موسى لأمه ورضاعته، يقول ابن كثير:"وذهب البشير إلى ﴿آسية﴾ يعلمها بذلك، فاستدعتها (يقصد استدعت أم

موسى) إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها، وان تحسن إليها فأبت عليها، وقالت إن لي بعلًا وأولادًا، ولست أقدر على هذا، إلا أن ترسليه معي، فأرسلته معها ورتبت لها رواتب، وأجرت عليها النفقات والكساوي والهبات، فرجعت به تحوزه إلى رحلها، وقد جمع الله شمله بشملها".

وقد كانت شفاعة آسية إليه بحكمة حيث قالت: ﴿ قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ ، فاستلطفته ثم سألته وخاطبته بضمير الجمع على سبيل العظمة لكونه ملكا، أو أن الخطاب له ولمن معه من قومه، وذكرت له ما ترجوه من بقائه بقولها: ﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ فإما أن يكون خادما لهما أو أنهما يكرمانه ويجلانه، فيجعلانه ولدا لهما، فاستجاب فرعون لطلبها، ولم يقتله، ولما كبر موسى عليه السلام وأرسله الله تعالى إلى فرعون وجرى بينهما ما جرى وطلب موسى عليه السلام سحرة فرعون آمنت به آسيا مع من آمن، وقد دلّ قوله تعالى ﴿ رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ﴾ على إيمانها وتصديقها بالبعث. ولما سمع فرعون بإيمانها عذبها لترجع عن دينها، فها هي امراة فرعون لم يصدها طوفان الكفرالذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتا في الجنة، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيئ وهي ألصق الناس به، حيث قالت: ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم قائلة: ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

هـذه المـرأة وحـدها في وسـط ضـغط المجتمـع وضـغط القصـر وضـغط الملـك وضـغط الحاشـية ومقـام الاستضـعاف والكفـر الطـاغي! في وسـط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء وحدها تلهج بالتوحيد!

هـذه المـرأة قـدمت نموذجًـا عاليًـا في التجـرد لله مـن كـل هـذه المـؤثرات وكـل هـذه الأواصـر وكـل هـذه المعوقـات وكـل هـذه الهـواتـف ومـن ثـم اسـتحقت هـذه الإشـارة في كتـاب الله الخالـد، وهكـذا قـد أتاهـا الله مـا رجـت مـن النفـع فقـد هـداها الله تعـالى بموسـى عليـه السـلام وأدخلهـا الجنـة فكـان نفعـه لهـا في الدنيا والآخرة.

ووردت العديـد مـن الإسـرائيليات عـن آسـية، وقـال صـاحب كتـاب " قصـص النسـاء في القـرآن الكـريم والـدروس والعبـروالأحكـام المسـتفادة منهـا":"مـن هـذه الأخبـار مـا هـو ثابـت، ومنهـا مـا هـو منكـر، ومنهـا مـا هـو مسكوت عنه:

فأمـا مـا روي مـن استشـفاعها لموسـى عليـه السـلام واسـتيهابه مـن فرعـون فقـد دلّ عليـه القـرآن في قولـه تعـالى ﴿ وَقَالَـتِ امْـرَأَتُ فِرْعَـوْنَ قُـرَّتُ عَـيْنٍ لِّي وَلَـكَ ۖ لَا تَقْتُلُـوهُ عَسَـىٰ أَن يَنفَعَنَـا أَوْ نَتَّخِـذَهُ وَلَـدًا وَهُـمْ لَا يَشْـعُرُونَ (9)﴾ (القصص: 9).

وأمـا مـا هـو معـروف عنـد أهـل الكتـاب مـن أنـه لـيس لآسـيا علاقـة في التقـاط موسـى عليـه السـلام فهـو معـارض للقـرآن حيـث إن القـرآن الكـريم ذكـر استشـفاعها لموسـى عليـه السـلام كمـا تقـدم قـال ابـن كثيررحمـه الله معقبا على ذلك: "وهذا من غلطهم على كتاب الله عزوجل".

وأما ما روي من أنها آمنت بموسى عليه السلام فهو ظاهروثابت في آية سورة التحريم.

وأما تعذيب فرعون لها فقد أشار القرآن بذلك في قوله تعالى عنها ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وأما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فلا حرج من ذكرها والله أعلم[1].

العبر المستخلصة من قصة آسية

إن في قصة آسية سلوى لكل من وقعت في وسط محارب لدين الله واستمسكت بدينها لم تحد عنه، إن فيها السلوى في زمن يطغى فيه الطواغيت والظلمة والفجاروهي مستعصمة بالله تعالى.

وفيها أن الصالحة يمكن أن تتزوج طالحًا ولا يضرها ذلك فإنه امتحان لها في الدنيا، حتى يجعل الله تعالى لها مخرجًا، وفيها أن إيمان المرأة لا يتأثر بظلم وطغيان زوجها إن صدقت.

وفيها أنها لا تؤخذ بجريرة طغيان زوجها إن هي استقامت كما أمرربها سبحانه.

وفيها أن الصبروالدعاء وسيلة المرأة حين تعجزعن الخلاص من طاغية.

وفيها أن البراءة من الكفاروالظالمين سنة في سبيل المؤمنين.

وفيها أن الهداية لا يوجد قوة في العالم يمكن أن تقف في وجهها. وقد يهدي الله إنسانًا في قلب قلاع الكفر!

---

[1] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص (214- 215).

وفيها أن الجزاء العظيم يخفف من مكابدة الدنيا وثمن الصبر على الاستقامة.

وفيها أن الدنيا دار ابتلاء، فقد لا تجد أمة الله الزوج الصالح والسكن، وقد تبتلى بظالم فاجر، فلا يعني هذا أن تيأس وتستسلم بل تسابق لنيل بيت عند الله في الجنة، وفي هذا معاني جليلة تتعطل عندها لغة الكلام، وتكريمًا للمرأة لا يخفى يؤلم دعاة الفساد، وعدل من الله ﷻ يشفي صدور قوم مؤمنين. ولا عيش إلا عيش الآخرة!

ومما يجدر تسجيله في هذا المقام لطف الله الخفي الذي لا يعرفه الكثيرون في مقام زواج صالحة بطاغية أو كافر، أن الله تعالى يحرمه منها وهي في بيته، فلا يسكن لها ولا ينال منها ما ينال الرجل من متعة، وكثيرًا ما يعاقب الظالم بالعجز أو يحرم إتيان الزوجة الصالحة وهو نوع من اللطف الرباني بأمته! فسبحان الله العظيم، يدبر الأمر، يصرف الآيات!

ونلاحظ أن قصة موسى عليه السلام شملت أكبر عدد من قصص النساء، وجميعهن كن صالحات، فأم موسى، وأخته، وآسية وزوج موسى، جميعهن كن في صف الحق ونصرة نبي الله تعالى. وقد ذكرن جميعا أو بعضهن، في عدة مواضع في القرآن الكريم في سورة طه والنمل والقصص والتحريم. وفي ذلك لفتة مهمة لدور النساء في نصرة دعوة التوحيد بثباتهن وتكامل أدوارهن ومساندتهن للرجال بخصائصهن

الأنثوية التي تستوجب الحفظ، يحف ذلك لطف الله بهن وتأييده لهن ونصرته ﷻ لهن في الدنيا والآخرة.

وهكذا عرضت لنا سورة طه خمس قصص من قصص النساء، قصة حواء وقصة أم موسى وقصة أخت موسى وقصة امرأة موسى وقصة امرأة فرعون، جميعهن كن في مقام حمل لأمانة الدعوة والقيام بأعبائها أو نصرتها والثبات عليها، باختلاف ظروفهن وتفاصيل حياتهن، فكن خير المثل والقدوة.

إن وجود كل هذا العدد من النساء في ملحمة الإيمان في عصر موسى عليه السلام لخير دليل على الدور المصيري الذي تلعبه المرأة في صراعات الحق والباطل، وعلى أهمية ثباتها أيا كانت ظروفها و ابتلاءاتها لإعلاء كلمة الله تعالى، وأن تكامل الأدوار في مثل هذه الملاحم يقودنا لقول الله تعالى في وصف المؤمنين والمؤمنات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الأنبياء

من أهَمِّ مقاصِدِ السُّورة:

- بَيانُ مَعالِمِ التَّوحيدِ، و إقامةُ الأدلةِ عليه، وما لقِي الأنبياءُ في سبيلِ الدعوةِ إليه.
- إثباتُ المعادِ، وبيانُ الأدلَّةِ على وُقوعِه.[1]

قصة مريم

سبق أن عرضنا قصتها وهي أكثر قصة ترددت في القرآن لعلاقتها بقصة ابنها عيسى عليه السلام وما يقتضيه القصص القرآني من إقامة الحجة على النصارى والمشركين.

وجاءت قصة مريم في سورة الأنبياء، كقصة من قصص النساء في القرآن، في مقام الدفاع عن التوحيد ونصرته، وهي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين في تاريخ البشرية، والتي كانت فيها المرأة سندًا للرجل، أما وزوجة وأختا و ابنة وأمة لله مؤمنة.

[1] موسوعة التفسير.

قصص النساء القرآنية في سورة الحج

مِن أهَمِّ مقاصِدِ سُورةِ الحَجِّ:

بَيانُ التَّوحيدِ، و إقامةُ الأدلةِ عليه، و إثباتُ البَعثِ[1].

ولم تذكر قصص للنساء في سورة الحج ولكن فيها من الآيات ما ينبض له القلب خشوعًا ووجلا، وأدعو كل مسلمة للوقوف عند هذه الآيات ..

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَ أَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي

[1] موسوعة التفسير

الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًاۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَ أَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24)﴾.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (32)﴾.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (35)﴾

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُواۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)﴾.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (47) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (49) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (50) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (51)﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (58) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (59) ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (60) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

(74) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (76) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (77) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) ﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة المؤمنون

مِن أهمِّ مقاصدِ هذه السورةِ:

- تحقيقُ الوحدانيَّةِ، و إبطالُ الشِّركِ .

- تقريرُ النُّبُوةِ للنَّبيِّ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، والردُّ على مَن ينكرونَها مِن الكفَّارِ.

- الدَّلالةُ على أخلاقِ أهلِ الإسلامِ.[1]

قصة امرأة نوح

تكررذكرقصة امرأة نوح في سورة المؤمنون لما يقتضيه سياق الآيات في ذكرقصص الأقوام السابقة، وقد تكررذكرها أيضا في سورة هود والتحريم كما سبق أن أشرنا عند تلخيص قصتها.

قصة مريم

ورد ذكرقصة مريم مرة أخرى في سورة المؤمنون، كما سبق أن ورد في سورة آل عمران حيث عرضنا ملخص قصتها، وفي سورة المائدة وسورة مريم وسورة الأنبياء وسيرد أيضا في سورة التحريم.

[1] موسوعة التفسير

وهكذا عرضت سورة المؤمنون نموذجين للمرأة، نموذج المرأة الكافرة في قصة امرأة نوح، والتي على الرغم من كونها تواجدت في بيت نبيّ إلا أنها ضلت لقسوة قلبها وجحودها! ثم قصة مريم، المرأة الصالحة التي آمنت و اتقت، وشكرت أنعم ربها، فكان جزاؤها الجزاء الأوفى. وما كان ربك بظلام للعبيد!

قصص النساء القرآنية في سورة النور

من أهمِّ مقاصدِ هذه السورةِ:

الذبّ عن المؤمنات والتحذير من جريمة الإفك والقذف، وذِكرُ أحكامِ العفافِ والستر.

▪ قصة عائشة رضي الله عنها

وردت قصة عائشة ﵂ في موضع واحد في القرآن الكريم وهو في قول الله تعالى في سورة النور: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (12) لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ

اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (20) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (22) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26) ﴾ (النور: 11-26).

ملخص قصة عائشة رضي الله عنها

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ﷺ وعن أبيها، تكنى بأم عبد الله، ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس[1].

تزوجها النبي ﷺ وعمرها ست سنين وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وما نزل عليه الوحي في

[1] الإصابة ج4 ص 349.

لحاف امرأة غيرها، وكانت أحب الخلق إليه ونزل عذرها من السماء، و اتفقت الأمة على كفر قاذفها كما ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد.

وذكرت عائشة في سياق حادثة الإفك حيث نصرها الله تعالى بقرآن يتلى إلى آخرالزمان، ونصر كل مؤمنة تقذف ظلمًا وعدوانًا.

و افترى المنافقون على أم المؤمنين عائشة ﵂ وقوعها في الفاحشة، حشاها من ذلك رضي الله عنها، وقد نزلت الآيات من سورة النور فيها عتاب من الله تعالى للمؤمنين على ما وقع في نفوس بعضهم من تلك الشائعة.

وجاءت في صحيح البخاري تفاصيل قصة الإفك، عن عائشة ﵂ قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا معهُ، فَأَقْرَعَ بيْنَنَا في غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ معهُ بَعْدَ ما أُنْزِلَ الحِجَابُ، فأنَا أُحْمَلُ في هَوْدَجٍ، و أُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا، حتَّى إذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وقَفَلَ ودَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ؛ آذَنَ لَيْلَةً بالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بالرَّحِيلِ، فَمَشَيتُ حتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أقْبَلْتُ إلى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لي مِن جَزْعِ أظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فأقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ علَى بَعِيرِي الذي كُنْتُ أرْكَبُ وهُمْ يَحْسِبُونَ أنِّي فِيهِ، وكَانَ النِّسَاءُ إذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ ولَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، و إنَّما يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ،

فَـاحْتَمَلُوهُ وكُنْـتُ جَارِيَـةً حَدِيثَـةَ السِّـنِّ، فَبَعَثُـوا الجَمَـلَ وسَـارُوا، فَوَجَـدْتُ عِقْـدِي بَعْـدَ مـا اسْـتَمَرَّ الجَـيْشُ، فَجِئْـتُ مَنْـزِلَهُمْ ولـيسَ فيـه أحَـدٌ، فأمَمْـتُ مَنْزِلِي الـذي كُنْـتُ بـه، فَظَنَنْـتُ أنَّهُـمْ سَـيَفْقِدُونَنِي، فَيَرْجِعُـونَ إلَـيَّ، فَبيْنَـا أنَـا جَالِسَـةٌ غَلَبَتْنِـي عَيْنَـايَ، فَنِمْـتُ، وكـانَ صَـفْوَانُ بـنُ المُعَطَّـلِ السُّـلَمِيُّ ثُـمَّ الـذَّكْوَانِيُّ مِـن ورَاءِ الجَـيْشِ، فأصْـبَحَ عِنْـدَ مَنْزِلِي، فَـرَأَى سَـوَادَ إنْسَـانٍ نَـائِمٍ، فأتَـانِي، وكـانَ يَرَانِـي قَبْـلَ الحِجَـابِ، فَاسْـتَيْقَظْتُ باسْـتِرْجَاعِهِ حِـينَ أنَـاخَ رَاحِلَتَـهُ فَـوَطِئَ يَـدَهَا، فَرَكِبْتُهَـا، فَـانْطَلَقَ يَقُـودُ بِـي الرَّاحِلَـةَ حتَّى أتَيْنَـا الجَـيْشَ بَعْـدَ مـا نَزَلُـوا مُعَرِّسِـينَ في نَحْـرِ الظَّهِيـرَةِ، فَهَلَـكَ مَـن هَلَـكَ، وكـانَ الـذي تَـوَلَّى الإفْـكَ عبـدُ اللَّهِ بـنُ أُبَـيٍّ ابـنُ سَـلُولَ، فَقَـدِمْنَا المَدِينَـةَ، فَاشْـتَكَيْتُ بِهَـا شَـهْرًا، والنَّـاسُ يُفِيضُـونَ مِـن قَـوْلِ أصْحَابِ الإفْـكِ، ويَرِيبُنِي في وجَعِي أنِّي لا أرَى مِـنَ النَّبِيِّ صَـلَّى اللهُ عليـه وسـلَّمَ اللُّطْـفَ الـذي كُنْـتُ أرَى منـه حِـينَ أمْـرَضُ، إنَّمـا يَـدْخُلُ فيُسَـلِّمُ، ثُـمَّ يقـولُ: كيـفَ تِـيكُمْ؟ لا أشْـعُرُبشَـيءٍ مِـن ذلـكَ حتَّى نَقَهْـتُ، فَخَرَجْـتُ أنَـا وأُمُّ مِسْـطَحٍ قِبَـلَ المَنَاصِـعِ؛ مُتَبَرَّزُنَـا، لا نَخْـرُجُ إلَّا لَـيْلًا إلى لَيْـلٍ، وذلـكَ قَبْـلَ أنْ نَتَّخِـذَ الكُنُـفَ قَرِيبًـا مِـن بُيُوتِنَـا، وأَمْرُنَـا أمْـرُ العَـرَبِ الأُوَلِ في البَرِّيَّـةِ أوْ في التَّنَزُّهِ، فأقْبَلْـتُ أنَـا وأُمُّ مِسْـطَحٍ بنْـتُ أبِـي رُهْـمٍ نَمْشِـي، فَعَثَـرَتْ في مِرْطِهَـا، فَقَالَـتْ: تَعِسَ مِسْـطَحٌ، فَقُلْـتُ لَهَـا: بـئْسَ مـا قُلْـتِ! أتَسُـبِّينَ رَجُـلًا شَـهِدَ بَـدْرًا؟! فَقَالَـتْ: يـا هَنْتَـاهْ، ألَـمْ تَسْـمَعِي مـا قـالوا؟ فـأخْبَرَتْنِي بقَـوْلِ أهْـلِ الإفْـكِ، فَـازْدَدْتُ مَرَضًـا علَى مَرَضِـي، فَلَمَّـا رَجَعْـتُ إلى بَيْتِي دَخَـلَ عَلَـيَّ رَسـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عليـه وسـلَّمَ، فَسَـلَّمَ فَقَـالَ: كيـفَ تِـيكُمْ؟ فَقُلْـتُ: ائْـذَنْ لـي إلـى أبَـوَيَّ، قَالَـتْ: و أَنَـا حِينَئِـذٍ أُرِيـدُ أنْ أسْـتَيْقِنَ الخَبَرَمِـن قِبَلِهِمَـا، فـأذِنَ لي رَسـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عليـه وسـلَّمَ، فأتَيْـتُ أبَـوَيَّ فَقُلْـتُ لِأُمِّـي: مـا يَتَحَـدَّثُ بـه النَّـاسُ؟

فَقَالَتْ: يا بُنَيَّةُ، هَوِّني علَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ؛ فَوَاللَّهِ لَقَلَّما كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا ولَهَا ضَرَائِرُ، إلَّا أكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ولقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بهذا؟! قَالَتْ: فَبِتُّ تِلكَ اللَّيْلَةَ حتَّى أصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ، ولَا أكْتَحِلُ بنَوْمٍ، ثُمَّ أصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ وأُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُما في فِرَاقِ أهْلِهِ، فأمَّا أُسَامَةُ فأشَارَعليه بالَّذِي يَعْلَمُ في نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لهمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أهْلُكَ يا رَسولَ اللَّهِ، ولَا نَعْلَمُ -واللَّهِ- إلَّا خَيْرًا، وأَمَّا عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، والنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: يا بَرِيرَةُ، هلْ رَأَيْتِ فِيهَا شيئًا يَرِيبُكِ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لا والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، إنْ رَأَيْتُ منها أمْرًا أغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أكْثَرَمِن أنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن يَومِهِ، فَاسْتَعْذَرَمِن عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَن يَعْذِرُنِي مِن رَجُلٍ بَلَغَنِي أذَاهُ في أهْلِي؟! فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ علَى أهْلِي إلَّا خَيْرًا، وقدْ ذَكَرُوا رَجُلًا ما عَلِمْتُ عليه إلَّا خَيْرًا، وما كانَ يَدْخُلُ علَى أهْلِي إلَّا مَعِي، فَقَامَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنَا واللَّهِ أعْذِرُكَ منه؛ إنْ كانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وإنْ كانَ مِن إخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فيه أمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ - وهو سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وكانَ قَبْلَ ذلكَ رَجُلًا صَالِحًا ولَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ- فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لا تَقْتُلُهُ، ولَا تَقْدِرُعلَى ذلكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، واللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ؛ فإنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ،

فَثَارَ الحَيَّانِ -الأوْسُ والخَزْرَجُ- حتَّى هَمُّوا، ورَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى المِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حتَّى سَكَتُوا، وسَكَتَ، وبَكَيْتُ يَومِي لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ، ولَا أكْتَحِلُ بنَوْمٍ، فأصْبَحَ عِندِي أبَوَايَ، وقدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ ويَوْمًا حتَّى أظُنُّ أنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبيْنَا هُما جَالِسَانِ عِندِي و أَنَا أبْكِي، إذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأنْصَارِ، فأذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبيْنَا نَحْنُ كَذلكَ إذْ دَخَلَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَجَلَسَ، ولَمْ يَجْلِسْ عِندِي مِن يَومِ قِيلَ فِيَّ ما قيلَ قَبْلَهَا، وقدْ مَكَثَ شَهْرًا لا يُوحَى إلَيْهِ في شَأْنِي شَيءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: يا عَائِشَةُ، فإنَّه بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وكَذَا، فإنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وإنْ كُنْتِ ألْمَمْتِ بذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وتُوبِي إلَيْهِ؛ فإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَفَ بذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عليه، فَلَمَّا قَضَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حتَّى ما أُحِسُّ منه قَطْرَةً، وقُلتُ لأبِي: أجِبْ عَنِّي رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قَالَ: واللَّهِ ما أدْرِي ما أقُولُ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلتُ لِأُمِّي :أَجِيبِي عَنِّي رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فِيما قَالَ، قَالَتْ: واللَّهِ ما أدْرِي ما أقُولُ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قَالَتْ: و أَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لا أقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقُلتُ: إنِّي واللَّهِ لقَدْ عَلِمْتُ أنَّكُمْ سَمِعْتُمْ ما يَتَحَدَّثُ به النَّاسُ، ووَقَرَ في أنْفُسِكُمْ وصَدَّقْتُمْ به، ولَئِنْ قُلتُ لَكُمْ: إنِّي بَرِيئَةٌ -واللَّهُ يَعْلَمُ إنِّي لَبَرِيئَةٌ- لا تُصَدِّقُونِي بذلكَ، ولَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بأَمْرٍ-واللَّهُ يَعْلَمُ أنِّي بَرِيئَةٌ- لَتُصَدِّقُنِّي، واللَّهِ ما أجِدُ لي ولَكُمْ مَثَلًا إلَّا أبَا يُوسُفَ إذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ علَى فِرَاشِي و أَنَا أرْجُو أنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، ولَكِنْ واللَّهِ ما ظَنَنْتُ أنْ يُنْزِلَ في شَأْنِي

وحْيًا، ولَأَنَا أحْقَرُ في نَفْسِي مِن أنْ يُتَكَلَّمَ بالقُرْآنِ في أمْرِي، ولَكِنِّي كُنْتُ أرْجُو أنْ يَرَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ ما رَامَ مَجْلِسَهُ ولَا خَرَجَ أحَدٌ مِن أهْلِ البَيْتِ، حتَّى أُنْزِلَ عليه الوَحْيُ، فأخَذَهُ ما كانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حتَّى إنَّه لَيَتَحَدَّرُ منه مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ في يَومٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يَضْحَكُ، فَكانَ أوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بهَا أنْ قَالَ لِي: يا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللَّهَ؛ فقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ، فَقَالَتْ لي أُمِّي: قُومِي إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلتُ: لا واللَّهِ، لا أقُومُ إلَيْهِ، ولَا أحْمَدُ إلَّا اللَّهَ، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: 11] الآيَاتِ، فَلَمَّا أنْزَلَ اللَّهُ هذا في بَرَاءَتِي، قَالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه -وكانَ يُنْفِقُ علَى مِسْطَحِ بنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ منه- : واللَّهِ لا أُنْفِقُ علَى مِسْطَحٍ شيئًا أبَدًا بَعْدَ ما قَالَ لِعَائِشَةَ، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]، فَقَالَ أبو بَكْرٍ: بَلَى واللَّهِ إنِّي لَأُحِبُّ أنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ الذي كانَ يُجْرِي عليه، وكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بنْتَ جَحْشٍ عن أمْرِي، فَقَالَ: يا زَيْنَبُ، ما عَلِمْتِ؟ ما رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، أحْمِي سَمْعِي وبَصَرِي، واللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَيْهَا إلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وهي الَّتي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بالوَرَعِ".

العبر المستخلصة من قصة عائشة رضي الله عنها

إن الدروس من حادثة الإفك عظيمة جدًا، ولا تزال يتصدع لها قلب المؤمن والمؤمنة، فمصاب عائشة والنبي ﷺ و أبو بكر وزوجه، كان كبيرًا ومزلزلا، وكذلك حال كل مؤمن تأذى بالإفك الذي تأذت منه حتى الأنصارية التي دخلت وبكت مواساة ومشاركة في الحزن لعائشة، فلم تنساها لها أم المؤمنين ﷺ. وهنا درس لكل من يستهين بقذف المحصنات، فهو أمر جلل ومن الكبائر، وكل هذا من عدل الله عزوجل ومن تكريم المرأة.

ونرى في القصة عزة نفس عائشة وأدبها الجمّ في موقف كالذي مرت به مع ذلك لم تتجاوز حد الأدب وحسن المعاملة لزوجها النبي ﷺ ولا والديها، ولم تسمح لنفسها بالتجاوز مع أنها كانت مظلومة وهنا يظهر عقل عائشة ومكانتها الفاضلة.

وواضح جدًا بين تفاصيل قصة عائشة ﷺ، أن تغطية الوجه كانت الصيغة التي عرفتها أم المؤمنين من الحجاب، وهو ما يصب في وجوب التغطية.

وكذلك تظهر صفات أم المؤمنين بالعناية بزينتها وحليّها و أنوثتها، وهو من صفات المرأة الصالحة، وفي ذلك يظهر أيضا محافظتها على ما لديها فلم تكن تستهن بقيمة شيئ عندها. وهي صفة الأوفياء، يقدرون ما لديهم ويحسنون الحفظ.

ويظهر مقام العفة والشرف في قلب المؤمنة أن الموت أهون من أن تمس الحرة في شرفها، لقد كان للشرف مرتبة عظيمة جدًا واليوم استهين به حتى أضحت النساء تختلط بالرجال وتستباح! ولا بواكي على شرفهن. فمن فقد قيمة الشرف في نفسه فقدها في وسطه إلا من رحم ربي، فعاش غريبًا وتألم لمصاب التفريط بديننا، يستأنس بالغرباء.

ولذلك يدرك جيدًا عمق الألم الذي عاشته عائشة من يعرف قيمة الشرف في نفس الحرة.

ثم نتعلم من نبينا ﷺ الثبات والوقاروإدارة الأزمات حتى وهو أكثر المتأذيين منها، فلم يستعجل الحكم بل انعكس يقينه في أن الله تعالى ناصره،صبرًا وحلمًا وحسن عشرة لعائشة. ﷺ.

والحمد لله أن أرانا الله تعالى صفة جليلة في المؤمنين، فهم لا يظنون بإخوانهم إلا خيرًا، فإن رأيت المرء يسارع لأسوأ الظن بإخوانه فاعلم أنه لم يتبع هدي سورة النور.

والحمد لله الذي جعل حدًا لمن يقذف المحصنات كي لا يعيث الظالمون فسادًا في الأرض.

فقذف المحصنات من كبائر الذنوب وهو موجب للجلد ثمانون جلدة. وكم استهين بهذه الكبيرة في زماننا لتعطيل حدود الله تعالى.

وفي هذه القصة، نبصر درسًا آخر في سنة الابتلاء الذي لم تنج منه خيرة نساء عصرها وحبيبة رسول الله ﷺ، لقد أوذيت في أشد ما يكون على

نفسها، فالابتلاء سنة في حياة المؤمنين، ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

وكلما قوي الإيمان قد تبتلى المؤمنة في أشد ما يفتك فيها! فإن ثبتت وصبرت واحتسبت، كانت الفائزة.

لقد أبدت عائشة حسن إدارة للأزمة وفقهًا وعقلا يليق بها. كقرارها البقاء في مكانها حتى يفتقدونها ويرجعون لها. وكذهابها لبيت أبيها وكاحترامها مقام زوجها ووالديها وأدب الخطاب.

ومن دروس قصة الإفك أن حسن السيرة ومن ظاهره العدالة، الأصل إحسان الظن به، فليس الباركالفاجر. ولا تليق معاملة المؤمن كأنه كافر أو منافق.

ونلاحظ في زاوية من القصة ذلك الحرص على الستر سواء في اللباس أو عند الخروج ليلا. ونلاحظ ذلك الو اقع البشري الذي يجدر أن يكون مدرسة لكل تجربة بشرية!

وإن كان من درس مهم في قصة عائشة فهو أن الصبر على الابتلاء عبادة وأن الهم والحزن والبكاء يؤذي المرء أشدّ ما يكون، فقد نسيت عائشة اسم نبي الله يعقوب – عليه السلام- من شدة وجدها.

كما أن المرأة التقية، تزدان بالصدق وخشية الله تعالى، وكذلك كان موقف زينب – ﷺ-، موقف شريفة حرة، تعدل عدلا يليق بها في مقام ريبة في منافسة!.

ثم تبقى هذه القصة عزاء كل مؤمنة رميت زورًا وبهتانًا بالكذب، ولها في عائشة أسوة حسنة.

وفي الختام فإن شخصية أمنا عائشة شخصية عظيمة، تزدان بقوة توحيدها و إيمانها وفقهها وبصيرتها، مع أنها كانت زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد بشرها بالوحي، إلا أنها أرجعت الفضل كله لله تعالى وحده، والحمد لله رب العالمين.

وهكذا عرضت سورة النور قصة عائشة ﵂ في مقام تربية للناس على واجب التقوى وخشية الله من الكذب والإفك والبهتان والانجرار لدعاته، وواجب تعظيم حدود الله تعالى ليرتدع الظالم والمعتدي والباغي وتأمن المجتمعات المسلمة التي لا تقبل الظلم ولو بشطر كلمة، وبيّنت فضل المؤمنات وكيف يدافع الله تعالى عنهن، فأنزل تعالى حدًا ليزجر من يعتدي عليهن ويطعن في دينهن وعرضهن باستهانة، وبيّنت مكانة الشرف والعفة في حياة المؤمنات والمؤمنين وفضل الستر والتقوى والاستقامة. وكان فضل الله على المؤمنات عظيمًا!

قصص النساء القرآنية في سورة الفرقان

مِن أبرزِ المَقاصِدِ التي تَضمَّنَتْها سورةُ الفُرقانِ:

- التَّنويهُ بالقُرآنِ، و إثباتُ أنَّه مُنَزَّلٌ مِن عندِ اللهِ تعالى، والتَّنويهُ بالرَّسولِ المَنَزَّلِ عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وبيانُ دلائِلِ صِدقِه، والتَّنويهُ بالذين اتَّبَعوه.
- تثبيتُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وتَسليتُه، والتَّسْريةُ عنه.[1]

لم ترد في سورة الفرقان قصص للنساء، إلا أن ذكر بعض آياتها في هذا المقام للتدبر، أراه مهما. فتدبري معي يا أختاه هذه الآيات الجليلة ليبقى الوصال مع القرآن وثيقًا.

﴿ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (22) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (23) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (24) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (25) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ

[1] موسوعة التفسير

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (29) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (50) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (51) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52) ﴾.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62) وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (70) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ

يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77) ﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الشعراء

مِن أهمِّ المقاصدِ التي تَضمَّنَتها سورةُ الشُّعراءِ:

- التَّنويهُ بالقرآنِ الكريمِ، والتَّعريضُ بعَجزِ المشركينَ عن مُعارَضتِه.
- تَسليةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عمَّا يُلاقيه مِن إعراضِ قَومِه.[1]

امرأة لوط عليه السلام

يتكررذكرقصة امرأة لوط عليه السلام أينما ذكرزوجها، في سورالأعراف وهود والحجروالشعراء والنمل والعنكبوت والصافات وفي مقام تحذير من صنيعها، في سورة التحريم. وقد سبق تلخيص قصتها في قصص النساء في القرآن المتعلقة بسورة الأعراف.

بنات لوط عليه السلام

وكذلك قصة بنات لوط عليه السلام تر افق قصة لوط عليه السلام في المقامات المذكورة في قصة امرأة لوط، للعبرة والاتعاظ.

[1] موسوعة التفسير

وهكذا عرضت سورة الشعراء قصتين من قصص النساء في القرآن، امرأة لوط الكافرة وبنات لوط المؤمنات، ولا ينفك التدبر معلّمًا، كيف يخرج من بيت واحد، الكافرة والمؤمنة!

قصص النساء القرآنية في سورة النمل

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

الحديثُ عن أدلَّةِ وحدانيَّةِ الله تعالى وقدرتِه، وعن مظاهرِ فضلِه تعالى على عبادِه[1].

▪ قصة امرأة لوط

وتعرض سورة النمل من جديد قصة امرأة لوط في سياق ذكر قصة نبي الله لوط عليه السلام.

▪ قصة بنات لوط

وكذلك الحال مع قصة بنات لوط، حيث أينما ذكر لوط ذكرت امرأته وبناته.

[1] موسوعة التفسير

قصة أم موسى

وفي سورة النمل ذكرت أيضا قصة موسى عليه السلام و اقتضى المقام ذكر قصة أم كليم الله عليه السلام أيضا، التي سبق الحديث عنها في قصص النساء في القرآن في سورة طه.

قصة أخت موسى

الحال نفسه مع قصة أخت موسى التي تكرر ذكرها في سورة النمل في سياق عرض قصة موسى عليه السلام. وقد سبق الحديث عن قصتها في مقامه.

قصة زوج موسى

ومع ذكر قصة موسى مرة أخرى، ذكرت زوجه في سورة النمل أيضا، وسبق الحديث عن قصتها في مقامه.

قصة آسية

وذكرت آسية امرأة فرعون أيضا في سورة النمل، لما يقتضيه سياق القصص القرآني عند ذكر قصة موسى عليه السلام، وقد سبق ذكر قصتها في مقامه.

▪ قصة ملكة سبأ

ذكر القرآن قصة ملكة سبأ في سورة النمل فقط، في عدة آيات منها، حيث قال تعالى ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي

لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)﴾ (سورة النمل).

ملخص قصة ملكة سبأ

لم تثبت لملكة سبأ تسمية صحيحة لكن المفسرون يقولون أن اسمها "بلقيس بنت شراحبيل" من نسل يعرب بن قحطان، وهو المشهور، وقيل اسمها "بلقمة بنت انشرح" وقيل غير ذلك في نسبها وكانت قارئة عربية.

كانت ملكة لمملكة سبأ، وقد أوتيت من كل ما يؤتاه الملوك في عاجل الدنيا وكان لها عرش عظيم في قدره وخطره.

قال ابن كثير في قصص الأنبياء في باب "قصة سليمان بن داود عليهما السلام":"وقال الله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) ﴾

يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد، وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقومون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالنوبة، كما هي عادة الجنود مع الملوك، وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار، يجيء فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء، وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض، فإذا دلهم عليه حفروا "عنه" واستنبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم. فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ولم يجده في موضعه من

محل خدمته ﴿مَا لِي لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ﴾ أي ماله مفقود من ها هنا أو قد غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي؟ ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ توعده بنوع من العذاب، اختلف المفسرون فيه، والمقصود حاصل على كل تقدير ﴿أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحجة تنجيه من هذه الورطة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي بخبر صادق ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم﴾ يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين، وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم.

وذكره الثعلبي وغيره أن قومها ملَّكوا عليهم بعد أبيها رجلًا فعم به الفساد، فأرسلت إليه تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خمرًا ثم حزت رأسه ونصبته على بابها، فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد. وقيل شراحيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان أبوها من أكابر الملوك وكان يأبى أن يتزوج من أهل اليمن، فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانه بنت السكن، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمه ويقال لها بلقيس.

وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: كان أحد أبوي بلقيس جنيًا. وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف.

وقال الثعلبي: أخبرني أبو عبد الله بن قبحونه، حدثنا أبو بكر بن حرجه، حدثنا ابن أبي الليث، حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن أبي بكرة، قال: ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال: "لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة". إسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضعيف.

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف، عن الحسن، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة".

ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد، عن الحسن عن أبي بكرة، عن النبي ﷺ بمثله وقال الترمذي حسن صحيح. وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم﴾ يعني سرير مملكتها كان مزخرفًا بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب والحلي الباهر.

ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلال الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون، أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم﴾ أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات.

فعند ذلك بعث معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه ولهذا قال لهم: ﴿أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ أي لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أي و أقدموا علي سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة، فلما جاءها الكتاب مع الطير، ومن ثم اتخذ الناس البطائق، ولكن أين الثريا من الثرى، تلك البطاقة كانت مع طائر

سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له. فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ثم قرأت عليهم عنوانه أولًا ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ ثم قرأته ﴿وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ، أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وتأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تعني ما كنت لأبت أمرًا إلا و أنتم حاضرون ﴿قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعنون لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال، فأن أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين "و" مع هذا ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فبذلوا لها السمع والطاعة، وأخبروها بما عندهم من الطاعة، وفوضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم.

فكان رأيها أتم وأشد من رأيهم، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع، ولا يخالف ولا يخادع ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تقول برأيها السديد: إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إلى ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا عليّ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أرادت أن تصانع عن نفسها. وأهل مملكتها بهدية ترسلها، وتحف تبعثها، ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفًا ولا عدلًا، لأنهم كافرون، وهو وجنوده عليهم قادرون.

"و" لهذا ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمورعظيمة، ذكره المفسرون.

ثم قال لرسولها إليه وو افدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ، فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها إلى من قد منّ بها فإن عندي مما قد أنعم الله عليّ وأسداه إليّ من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ، فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي فلأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ عليهم الصغاروالعاروالدمار.

فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة و أقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين، فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم إليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخرله من الجان ما قصه الله عنه في القرآن: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ

(42) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)﴾

لما طلب سليمان من الجان أن يحضروا له عرش بلقيس، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها، قبل قدومها عليه ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ يعني قبل أن ينقضي مجلس حكمك، وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ﴿وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي و إني لذو قدرة على إحضاره إليك والأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ﴾ المشهور أنه آصف بن برخينا، وهو ابن خالة سليمان. وقيل: هو رجل من مؤمني الجان، كان فيما يقال يحفظ الاسم الأعظم وقيل رجل من بني إسرائيل من علماءهم، وقيل: إنه سليمان، وهذا غريب جدًا. وضعفه السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام قال: وقد قيل فيه قول رابع وهو: جبريل ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قيل معناه قبل أن تبعث رسولًا إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك وقيل قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس. وقيل قبل أن يكل طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك. وقيل قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته وهذا أقرب ما قيل.

﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ أي فلما رأى عرش بلقيس مستقرًا عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي هذا من فضل الله عليّ

وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر أو خلافه ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك عليه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين.

ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلي هذا العرش وينكر لها ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنْ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ، فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وهذا من فطنتها وغزارة فهمها، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن ولم تكن تعلم أن أحدًا يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب قال الله تعالى إخبارًا عن سليمان وقومه: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ، وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله اتباعًا لدين آباءهم وأسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا حذاهم على ذلك.

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل في ممره ماء، وجعل عليه سقفًا من زجاج، وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء، وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقد قيل أن الجن أرادوا أن يبشعوا منظرها عند سليمان وأن تبدي عن ساقيها ليرى ما عليها من الشعر فينفره ذلك منها، وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجان فتتسلط عليهم معه وذكر بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة. وهذا ضعيف وفي الأول أيضًا نظر. والله أعلم.

إلا أن سليمان قيل إنه لما أراد إزالته حين عزم على تزوجها سأل الإنس عن زواله فذكروا له الموسى، فامتنعت من ذلك فسأل الجان فصنعوا

لـه النـورة ووضـعوا لـه الحمـام، فكـان أول مـن دخـل الحمـام فلمـا وجـد مسه قال أوه من عذاب أوه أوه قبل أن لا ينفع أوه.
وقـد ذكـر الثعلبي وغيره أن سـليمان لمـا تزوجهـا أقرهـا على مملكـة الـيمن وردهـا إليهـا، وكـان يزورهـا في كـل شـهر مـرة، فيقـيم عنـدها ثلاثـة أيـام ثـم يعـود على البسـاط، وأمـر الجـان فبنـوا لـه ثلاثـة قصـور باليمن: غمـدان وسالحين وبيتون. فالله أعلم.
وقـد روى ابـن إسـحاق عـن بعـض أهـل العلـم عـن وهـب بـن منبـه أن سـليمان لـم يتزوجهـا بـل زوجهـا بملـك همـدان، و أقرهـا على ملـك الـيمن، وسـخر زوبعـة ملـك الـيمن فبنى لهـا القصـور الثلاثـة التي ذكرناهـا بـاليمن والأول أشهر وأظهر، والله أعلم".

ووردت عـدة إسـرائيليات في قصـة ملكـة سـبأ: "مـن هـذه الإسـرائيليات مـا هو مردود، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنها.

فأمـا مـا روي مـن أن أمهـا كانـت جنيـة فقـد نقـل ابـن كثير حـديثًا مرفوعًـا كـان أحـد أبـوي بلقـيس جنيًـا، ثـم ذكـر رحمـه الله أن هـذا حـديث غريـب وفي سـنده ضـعف، وذهـب ابـن العربـي يقـرر تلـك الروايـة الإسـرائيلية فيقـول بجوازهـا عقلا، وتبعه في ذلك القرطبي.

قلـت: والمعلـوم أن مـن سـنة الله تعـالى أن يتوالـد أهـل كـل جـنس مـن جنسـهم كمـا قـال تعـالى ﴿ فَـاطِرُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَـلَ لَكُـم مِّـنْ أَنفُسِـكُمْ أَزْوَاجًـا وَمِـنَ الْأَنْعَـامِ أَزْوَاجًـا ۖ يَـذْرَؤُكُمْ فِيـهِ ۚ لَـيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ ۖ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـيرُ (11)﴾، إلا في بعـض الأحـوال كمـا يولـد البغـل مـن الفـرس والحمـار، لتشـابه

نوعيهما، وليس هناك تشابه بين صفات الإنس والجن الخلقية كما هو معلوم.

وأما ما روي من أن مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة فهذا مبني - والله أعلم - على ما قيل من أن أحد أبويها كان جنيًا، وقد سبق إبطال هذه الرواية.

وأما ما روي من احتيال سليمان عليه السلام على بلقيس ليرى ساقيها لما ذكر له أنها شعراء الساقين فهو كلام ساقط لا دليل عليه، والظاهر أنها أمرت بدخول الصرح لتعلم عظم ما عليه سليمان عليه السلام من الملك، ولذلك حينما رأت الصرح وتسخير مخلوقات الله عزوجل لسليمان عليه السلام تابت وآمنت.

وأما ما روي من أنها ظنت أن سليمان عليه السلام أراد قلتها فهو خلاف ما تقدم بيانه في عرض القصة.

وأما ما روي من أنها كانت تسجد للشمس وإلقاء الهدهد الكتاب إليها واستفتائها رؤوس قومها في شأن الكتاب وإرسالها الهدية إلى سليمان عليه السلام واختبار سليما لها في معرفة عرشها وما جرى في دخولها الصرح وإسلامها فثابت بالقرآن كما تقدم.

وأما ما روي من الخلاف في نوع الهدية وهل تزوجها سليمان أو غيره فلا دليل فيها أعلم على أي تلك الأقوال أنه الصواب.

وأما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فالظاهر أنها لا حرج في حكايته والله تعالى أعلم.[1]

العبر المستخلصة من قصة ملكة سبأ

نرى في قصة ملكة سبأ كيف يكون أثر الدعوة في النفوس، فلا تزال طريقة الدعوة لله من أهم أسباب هداية الناس للحق.

لقد أبرزت ملكة سبأ، الشورى والهدية كوسيلتين، الأولى للحصول على أفضل رأي والثانية لتطبيب القلوب وكسب ودّها، وكلاهما من السياسة ورجاحة العقل.

ومع ذلك فقد كان واضحًا جدًا الضعف الأنثوي في شخصية ملكة سبأ في مقام قيادة، إذ أنها حين تحول الأمر لجد وخطر حرب، لجأت للرجال في مجلسها وفضلت المسايسة وتجنب المصادمة.

وفي الأخير لم تقاوم قوة حجج سليمان عليه السلام، وما لبثت أن تنازلت للحق منبهرة به.

ولعل أبرز درس في زماننا من هذه القصة، أن المرء حين يقلد قومه دون عقل وبصيرة فإنه يحرم نفسه الهداية. فكيف بمن يقلد الدعوات الغربية ويستنسخها كما هي دون تمحيص ولا نقد كما يحدث في زماننا من نساء ابتلين بهوى النسوية وتعظيم جنس المرأة على حساب الإسلام أو

[1] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص (224-225).

رجال أدمنوا خلاصات الريد بيل وعظموا جنس الرجل على حساب الإسلام! فقدموا هذه الدعوات الغربية المضطربة والفاسدة، على الكتاب والسنة وسير السلف الصالح والله المستعان.

وما لم نُعد التوحيد أساسًا ومرجعية ومنهجية يخضع له الجميع، فستطول فصول الجاهلية في زماننا، وستستمر خسائرنا مثخنة!

ولا عقبة مثل الكفر والجحود والانهزامية تحرم المرء العقل والبصيرة.

وهكذا عرضت سورة النمل سبع قصص للنساء في القرآن العظيم، قصة امرأة لوط، وقصة بنات لوط، وقصة أم موسى، وقصة أخت موسى، وقصة زوج موسى، وقصة آسية امرأة فرعون، وقصة ملكة سبأ، فكان في كل قصة عبر ودروس تتفق ومقاصد هذه السورة الجليلة. فمن حال المرأة مع حمل أمانة الدعوة لله، وحالها في الصراع وحالها مع الملك والدنيا. لتكون الكلمة الأخيرة لكلمة التوحيد، معية ونصرًا ورفعة وفضلًا.

قصص النساء القرآنية في سورة القصص

مِن أهَمِّ مقاصدِ هذه السُّورةِ:

- بيانُ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى في إهلاكِ الظَّالِمِينَ والمغرورين، حتَّى ولو سانَدَتْهم جميعُ قُوى الأرضِ.

- تَثبيتُ المؤمِنينَ، وتَقويةُ عزائِمِهم، وتَبشيرُهم بأنَّ العاقِبةَ لهم.

- التَّواضُعُ لله، المُستَلزِمُ لرَدِّ الأمرِ كُلِّه إليه.[1]

ابنتي صالح مدين

وردت قصتهن في موضع واحد في القرآن الكريم وذلك في سورة القصص الآيات (23-27)، قال الله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ

[1] موسوعة التفسير

فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)﴾. وإن كن ذكرنا قصة واحدة منهن تزوجت نبي الله موسى، إلا أن ذكرهن معا في هذا المقام الذي جمعهما الله تعالى فيه فيه حكمة.

ملخص قصة ابنتي صالح

لم يرد في القرآن ولا السنة ذكر لاسميهما، وقال أهل التاريخ أن اسم إحداهما صفوريا والأخرى ليّا، وقيل سرفا، وأما أبيهما فأكثر أهل العلم على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام، وهو ظاهر القرآن الكريم ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (84)﴾.

لكن الطبري رحمه الله قال:"وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته ولا قول في ذلك أولى بالصواب".

وقال ابن كثيررحمه الله:"وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة، لأنه قال لقومه ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾.

وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام، بنص القرآن وقد علم أنه بين موسى والخليل عليه السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة، كما ذكر غيرواحد، وما قيل إن شعيبا عاش مدة طويلة إنما هو

والله أعلم احترازمن هذا الإشكال ثم من المقوي لكونه ليس شعيبا أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ها هنا".

وكانت الفتاتان تعيشان في أسرة صالحة، تربين على البروالإحسان والعفة والحياء، كانتا تسقيان الغنم عن أبيهما الشيخ الضعيف، إذ ليس لهم معين سواهما، وقد كانت البنتان في سقيهما غنمهما لا تزاحمان الرجال الذين يسقون بهائمهم بل إنهما تنتظران انصراف الرعاء ببهائمهم فتسقيان غنمهما مما فضل من الماء بعدهم، وفي أحد الأيام رآهما نبي الله موسى عليه السلام حينما ورد ماء مدين، ورأى حالهما فسألهما عن حاجتهما فأخبرتاه وبينتا له سبب قيامهما بسقي الغنم وهو كون أبيهما شيخًا كبيرًا، فبادرعليه السلام بمساعدتهما فسقى لهما ماشيتهما، فرجعتا إلى أبيهما سريعًا على خلاف العادة فأخبرتا أباهما خبرذلك الرجل الذي سقى لهما، فرأى ذلك الشيخ أن يدعوه ويكافئه، على حسن صنيعه، فبعث إحداهما لتدعوه إليه، وهذا ما يفهم في سياق الآيات، فاستجابت البنت لأمر أبيها فجاءت موسى عليه السلام مستحية تمشي مشية الحرة مشية من لم تعتد الدخول والخروج، قال عمربن الخطاب رضي الله عنه:"جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع خراجة ولاجة"، فقالت له: ﴿ إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾، فاستجاب موسى عليه السلام لدعوة الشيخ فأتاه فقص عليه خبره فطمأنه الشيخ وأمّنه، ثم إن إحدى البنتين عرضت رأيها على أبيها بأدب ولطف قائلة: يا أبت استأجره إن خيرمن استأجرت القوي الأمين، استأجره ليرعى ماشيتك، فإن خيرمن تستأجره القوي على

حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته.

فقبل الأب رأي ابنته، وعرض على موسى عليه السلام أن يزوجه إحدى ابنتيه مقابل خدمته له في رعي الغنم فقبل ذلك وتزوج إحدى ابنتي صالح مدين، فنعم الزوج ونعم الزوجة ونعم الأصهار.

ووردت عدة إسرائيليات في قصة ابنتي صالح مدين " من هذه الأخبار ما هو باطل، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأما ما ذكر من أن موسى وجد امرأتين جالستين فهذا خلاف نص القرآن فإن الله عزوجل قال ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ والذود يحتاج إلى حركة و انتقال.

وأما ما ذكر من أنه اقتلع صخرة من على بئر أخرى فإنما يفهم من سياق القصة خلاف ذلك، لأن الله عزوجل قال ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾.

فالظاهر أن مصدر الماء واحد، ولهذا تزاحم الناس عليه فيكون إنما سقى لهما غنمهما من الماء نفسه.

وأما ما ذكر من أنه عليه السلام أبعد الناس عن الماء كي يسقي للمرأتين فهذا غير لائق به عليه السلام، بل الظاهر أنه زاحم على الماء وسقى مع الناس.

وأما ما روي من أنه سقى لهما بعدما فرغ الناس من سقي بهائمهم و انصرفوا فإن ظاهر القرآن على خلافه، لأنه جاء ذكر السقي بعد قول المرأتين لا نسقي حتى يصدر الرعاء مباشرة كما يدل عليه الترتيب بالفاء بقوله ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

وأما ما قيل من أن التي جاءته هي الكبرى أو هي الصغرى، أو أن التي تزوجها موسى عليه السلام هي الصغرى أو الكبرى فلا أعلم دليلا صحيحًا في تعيين إحدى البنتين في ذلك.

وأما ما روي من سؤاله عليه السلام المرأتين لما رأى حالهما وجوابهما له وسقيه الغنم لهما ومجيئ إحدى البنتين إلى موسى عليه السلام على استحياء ودعوتهما إياه لأبيها، وعرض إحدى البنتين الرأي على أبيها في أن يستأجره وتعليلها لذلك الرأي وعرض الأب على موسى عليه السلام أن يزوجه إحدى ابنتيه فكل ذلك قد نص عليه القرآن الكريم في سياق القصة.

وأما ما سوى هذه الأخبار فلا أعلم ما يثبتها أوينفيها والظاهر أنها مما لا بأس بذكره والله تعالى أعلم".[1]

[1] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها ص (185- 186).

العبر المستخلصة من قصة ابنتي صالح مدين

من أهم العبرفي هذه القصة المهيبة، أخلاق المرأة عند الحديث مع الرجل الأجنبي، فيكون في حدود الحاجة فقط، ونلاحظ كيف أن موسى عليه السلام استغرب وجود الفتاتين في المكان لأن الأصل أنه مكان مزدحم بالرجال ومكانهما البيت.

وهذا يدل على أن صاحب المروءة يكفي المسلمات الحاجة، ويساعدهن في حفظ أنفسهن.

لقد كان والد الابنتين بصيرًا بقيمة الرجل، وأصالته، فخطبه لإحدى ابنتيه وفي ذلك فقها وفهمًا جميلًا.

ثم إن برالابنتين بوالدهما وحيائهن وعفتهن، كانت صفات رئيسية في تربية الابنتين الصالحتين. لم تخفيا عنه ما حدث، ولم تخفيا عنه أمانة موسى عليه السلام. وهذا لثقة بينهما ولنبل فيهما وصلاح نية وطيب مقصد وحب الخير.

وكان سؤال الأب عن ابنتيه وتقصي ما حدث معهما في اليوم، من مسؤولية التربية، بينما كان صدقهما مع أبيهما وطريقة الحديث مع موسى وتفاصيل ذلك مدرسة أدب وتقوى.

ولا ننسى هنا تفاصيل لم تذكرعن طريقة تعامل موسى مع الفتاتين، وكيف أنه كان شديد الحرص على صيانتهما، وفي ذلك درس جليل لأمانة الرجل مع نساء المسلمين وأعراضهم، ثم كيف أن الفتاتين أوضحتا سبب

خروجهما وبيّنتا أنه لدافع حاجة. لأن الأصل فيهن أن يجدن من يحمل عنهن هذا العبء الثقيل.

وبقيت كلمات ابنة صالح مدين درسًا وقاعدة في العلم والشورى: "القوي الأمين"!.

وفي الواقع الكثير من المعاني تلخصها هذه القصة المهيبة، ويكفي منها حقيقة أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض!

- ## قصة أم موسى

وتكرر ذكر قصة أم موسى مع ابنها عليه السلام في سورة القصص.

- ## قصة أخت موسى

وتكرر ذكر قصة أخت موسى مع أخيها عليه السلام في سورة القصص.

- ## قصة زوج موسى

وتكرر ذكر قصة زوج موسى، إحدى ابنتي صالح مدين، مع زوجها عليه السلام في سورة القصص.

قصة آسية

وتكرر ذكر آسية امرأة فرعون مع موسى عليه السلام في سورة القصص.

وهكذا عرضت سورة القصص خمس قصص للنساء في القرآن العظيم، قصة بنات صالح مدين، وقصة أم موسى، وقصة أخت موسى، وقصة زوج موسى، وقصة آسية أمرأة فرعون، جاءت جميعها لترسخ حقيقة التوحيد، والصراع بين الحق والباطل، والتربية الإيمانية والأخلاقية النبيلة، والتثبيت المهيب للمؤمنين وعاقبة المتقين، وموقع المؤمنة بين كل هذه التفاصيل المهمة.

قصص النساء القرآنية في سورة العنكبوت

مِن أهَمِّ مقاصِدِ سُورةِ العَنكَبوتِ:

ذِكرُ الابتلاءِ والامتحانِ، وبيانُ حالِ أهلِ البلوَى في الدُّنيا والآخِرةِ[1].

▪ قصة امرأة لوط

وتكرر ذكر قصة امرأة لوط في سورة العنكبوت لما اقتضاه سياق الآيات من عرض قصة لوط عليه السلام.

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35) ﴾ (العنكبوت 32-35).

[1] موسوعة التفسير.

قصة بنات لوط

وتكرر ذكر قصة بنات لوط في سورة العنكبوت لما اقتضاه سياق الآيات من عرض قصة لوط عليه السلام.

وهكذا في سياق تربية المؤمنين على معاني الثبات في الابتلاء وعاقبة الظالمين، تعرض سورة العنكبوت قصتين للنساء، الأولى لامرأة لوط والثانية لبنات لوط، فاعتبروا يا أولي الألباب.

قصص النساء القرآنية في سورة الروم

مِن أبرزِ مقاصِدِ سورةِ الرُّومِ:

- بَسْطُ دَلائلِ وحدانيَّةِ الله، و إبطالُ الشِّركِ.
- تقريرُ البَعثِ والجزاءِ في الآخرةِ [1].

لم ترد في سورة الروم قصص للنساء، لكن فيها من الآيات ما يتطلب وقفة ما دمنا في سياق صناعة وعي المسلمة، والتشديد على ضرورة توطيد صلتها بكتاب ربها، فاقرئي هذه الآيات بقلبك يا موحدة.

﴿وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8)﴾.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (19) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ

[1] موسوعة التفسير

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (22) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24)﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (36) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37) فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (38) وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (39) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (40) ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49) فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50)﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54)﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (58) كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (59) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (60)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة لقمان

مِن أهَمِّ مَقاصدِ هذه السُّورةِ:

مُخاطَبةُ النَّفْسِ البَشَريَّةِ بما مِن شأنِه أن يُسعِدَها ويُحيِيَها حياةً طَيِّبةً.[1]

لم ترد في سورة لقمان قصص للنساء، لكن الوقوف مع هذه الآية نور وتربية:

﴿الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (6) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10) هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (11)﴾.

---

[1] موسوعة التفسير

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(14) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(19)﴾.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (24)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ(33) إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(34)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة السجدة

مِن أبرزِ المقاصِدِ الَّتي تَضمَّنَتْها سورةُ السَّجْدةِ:

- بَيانُ عَظَمةِ اللهِ تعالى في صِفاتِه، وكَمالِ قُدرتِه في الخَلقِ والأمرِ، والبَعثِ والجَزاءِ.

- التَّنويهُ بشأنِ القُرآنِ؛ لأنَّه جامِعُ الهُدى الَّذي تضمَّنَتْه هذه السُّورةُ وغَيرُها.[1]

عن أبي هريرة ﷺ: قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿ الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) ﴾ السجدة.

و﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) ﴾ الإنسان".[2]

وقال الإمام أحمد عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الجمعة ﴿ الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) ﴾السجدة، و﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1)﴾.[3]

لم ترد في سورة السجدة قصص للنساء، لكننا نقف على هدي هذه الآيات.

---

[1] موسوعة التفسير

[2] رواه البخاري ومسلم

[3] تفرد به أحمد (المسند 3-340) وهو عند الترمذي أيضا وفي السلسلة الصحيحة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (5) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (9)﴾.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (15) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ (18)﴾.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (22)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الأحزاب

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ سُورةِ الأحزابِ:

- الحضُّ على التَّوجُّهِ إلى الخالقِ مِن غيرِ مراعاةٍ بوجْهٍ ما للخلائقِ .

- بيانُ عنايةِ اللهِ بنبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وحمايةِ جَنابِه .

- التَّعرُّضُ لكثيرٍ مِن الأحكامِ الشَّرعيَّةِ، والآدابِ الاجتِماعيَّةِ، والاهتمامُ بتنظيمِ المجتمَعِ الإسلاميّ.[1]

▪ قصة زينب بنت جحش

ورد ذكر قصة أم المؤمنين زينب ﷺ في موضع واحد من القرآن وهو في سورة الأحزاب الآية 37 حيث قال الله تعالى﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) ﴾.

[1] موسوعة التفسير

ملخص قصة زينب رضي الله عنها

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن غنم الأسدية، أم المؤمنين ﵂، وهي بنت أميمة عمة رسول الله ﷺ كان اسمها برة فسماها النبي ﷺ زينب، تزوجها النبي ﷺ في السنة الخامسة من الهجرة، وعمرها خمس وثلاثون سنة، وهي من أفضل نسائه، نزلت بسببها آية الحجاب وهي أول نسائه لحوقا به، ماتت سنة عشرين من الهجرة ﵂ وأرضاها.

وشرع الله تعالى بسبب زينب حكمًا جديدًا خارجًا عما ألفه الناس، حيث إنها استجابت لأمر رسول الله ﷺ وقبلت الزواج بمولى من الموالي وهو زيد بن حارثة ﵁، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه فيما بعد ساءت العشرة بينهما وكان زيد ﵁ يشكو منها إلى النبي ﷺ كما يفهم من قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ وفي الحديث عن أنس ﵁ قال : جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول :" اتق الله وأمسك عليك زوجك".[1]

قال السدي: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ، فزوجها إياه، ثم أعلم الله عزوجل نبيه، بعد أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه

---

[1] صحيح البخاري.

زوجه أن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا، تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنى زيدا، إلا أن زيدا ﷺ طابت نفسه منها ولم يبق له فيها حاجة فطلقها، ثم زوجها الله تعالى بعد ذلك لنبيه ﷺ كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

عن أنس ﷺ قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: فاذكرها علي". قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها- أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله عليها بغير إذن، وأصبحت زينب ﷺ إحدى زوجات سيد المرسلين وإحدى أمهات المؤمنين ﷺ وأرضاها.

العبر المستخلصة من قصة زينب رضي الله عنها

إن قصة زينت مليئة بالدروس المهمة في زماننا فيما يخص العلاقات الزوجية، فافتراق زينب عن زيد لم ينقص من قدر أحد منهما، فقد يجتمع صالحان ولا يتفقان في أمر الزواج، ولذلك جعل الله الطلاق حلا في مثل هذه الحال.

كما أن زينب قد تحلت بعقيدة راسخة، فقد تزوجت زيد على كره منها طاعة لرسول الله ﷺ، ثم حين خطبها النبي ﷺ بعد طلاقها، آثرت استخارة الله تعالى وفزعت لصلاتها وفي ذلك أدب عظيم مع الله تعالى ودليل على وعيها بأقدار الله تعالى وتسليمها أمرها لخالقها وعظم توكلها عليه ﷻ.

ويكفي من ذلك درسًا إلى يوم الدين في أن الله تعالى أبطل عادة سيئة وجاء التعليم العملي أبلغ درس ليتعلم الناس منه. وهي عادة التبني في الجاهلية.

و انتقلت زينب من بيت زيد إلى بيت رسول الله ﷺ فأعلى الله مقامها أمًّا للمؤمنين وما ذلك إلا اصطفاء من الله تعالى.

ومن يتأمل سيرة زينب يبصر سخاء يدها ومسابقتها للخيرات فكانت من صناع المعروف والمسابقين بإحسان.

ولعل من أبلغ الدروس في قصة زينب تلك السلاسة في تناول أحكام الزواج والطلاق في عصر النبوة، فلم يكن يستدعي الأمر عداء ولا زخمًا، إنما اتباع لأمر الله عزوجل. ونتعلم من موقف الرجال في هذا الو اقع الكثير من الأدب والتربية والفهم الصحيح لعقيدة الإسلام.

وفي زماننا خرج من يذمّ المطلقات على الإطلاق ويذم من يتزوج المطلقة بينما في القرآن والسنة الدرس الجليل في زواج النبي ﷺ من مطلقة بل ومطلقات، فالطلاق لا يقدح في دين المرأة الصالحة ولا يعني طلاقها فساد دينها أو خلقها، وهذا الفهم لا يستوعبه المتأثر بالفكرة الغربية في الرد على

النسوية أو من تشربوا جاهلية العصر! و إنما الإسلام منظومة متكاملة حفظت الحقوق، وصانت المرأة والرجل وكرّمت الصالحين وبقدر الصدق تكون المعية والمنح الربانية.

ومن يتأمل سير الصحابة يجد أن الطلاق لم يكن بذلك التشنيع الذي نراه في زماننا، بل كان الصالحون يتسابقون لخطبة المرأة الصالحة بعد طلاقها أو ترملها، لأنهم كانوا يبحثون في المرأة عن دينها قبل كل شيء، ولذلك نرى الصحابية تزوجت عدة مرات ومن رجال كالجبال ولا يعيبها ذلك، في حين يذم بعض الجهلة المرأة المطلقة لطلاقها ولا يفرقون في ذلك بين البارة والفاجرة.

ولا شك أن في زماننا شريحة من المطلقات لا تستحق شرف الزواج، لكن الإطلاقات غير التقية تهدم ولا تصلح، وهو ما نحذر منه باستمرار، واجب التفريق بين الباروالفاجر في كل الأحكام والدعوات، وهو سبيل الذين آمنوا و اتقوا. فالحمد لله الذي جعل الطلاق حلا ومنجاة للصالح والصالحة. ولله الأمر!

▪ قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ

ورد ذكرها في قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: 50).

ملخص قصة المرأة التي وهبت نفسها

روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: "أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: "هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ ؟"، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : " اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا ؟ "، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، قَالَ: "انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ" ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي - قَالَ سَهْلٌ : مَا لَهُ رِدَاءٌ - فَلَهَا نِصْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا

تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ، إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ ؟ "، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ، ثُمَّ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: " مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟ "، قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا - عَدَّهَا – قَالَ : " أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟ "، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: " اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ ". ورواه أهل السنن الأربعة أيضا.

وقد نظر النبي ﷺ لهذه المرأة المؤمنة، لأنه في مقام الخاطب الذي يشرع له النظر إلى المخطوبة ، فنظر إليها : فإن أعجبته تزوجها، وإن لم تعجبه غض طرفه عنها، وقد استدل أهل العلم بهذا الحديث على جواز النظر إلى المخطوبة وتكراره ، والتأمل فِي محاسنها، فهم ذَلِك من قَوْله: "فَصَعدَ النّظر إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ".

وجاء في أحكام القرآن لابن عربي[1]:" قوله : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ وقد بينا سبب نزول هذه الآية في سورة القصص وغيرها : "أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فوقفت عليه، وقالت : يا رسول الله : إني وهبت لك نفسي ". الحديث إلى آخره .

وورد في ذلك للمفسرين خمسة أقوال : الأول : نزلت في ميمونة بنت الحارث، خطبها لرسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب، فجعلت أمرها إلى العباس عمه.

وقيل : وهبت نفسها له: قاله الزهري، وعكرمة، ومحمد بن كعب، وقتادة.

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي، ج3 ص694.

الثاني : أنها نزلت في أم شريك الأزدية، وقيل العامرية، واسمها غزية، قاله علي بن الحسين، وعروة، والشعبي.

الثالث : أنها زينب بنت خزيمة أم المساكين.

الرابع : أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

الخامس : أنها خولة بنت حكيم السلمية.

قال القاضي ابن العربي : أما سبب نزول هذه الآية فلم يرد من طريق صحيح، وإنما هذه الأقوال واردة بطرق من غير خطم ولا أزمة، بيد أنه روي عن ابن عباس ومجاهد أنهما قالا : لم يكن عند النبي ﷺ امرأة موهوبة.

وقد بينا الحديث الصحيح في مجيء المرأة إلى النبي ﷺ ووقوفها عليه، وهبتها نفسها له من طريق سهل وغيره في الصحاح، وهو القدر الذي ثبت سنده، وصح نقله.

والذي يتحقق أنها لما قالت للنبي ﷺ: وهبت نفسي لك، فسكت عنها، حتى قام رجل فقال : زوجنيها يا رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة.

ولو كانت هذه الهبة غير جائزة لما سكت رسول الله ﷺ، لأنه لا يقر على الباطل إذا سمعه، حسبما قررناه في كتب الأصول.

ويحتمل أن يكون سكوته، لأن الآية قد كانت بالإحلال ويحتمل أن يكون سكت منتظرا بيانا، فنزلت الآية بالتحليل والتخيير، فاختار تركها وزوجها من غيره.

ويحتمل أن يكون سكت ناظرًا في ذلك حتى قام الرجل لها طالبًا.

وقد روى مسلم ، عن عائشة أنها قالت : كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وقالت: أما تستحي امرأة أن تهب نفسها، حتى أنزل الله : ﴿ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ﴾ فقلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

فاقتضى هذا اللفظ أن من وهبت نفسها للنبي عدة، ولكنه لم يثبت عندنا أنه تزوج منهن واحدة أم لا.

المسألة السادسة عشرة : قوله: (وامرأة) المعنى أحللنا لك امرأة تهب نفسها من غير صداق فإنه أحل له في الآية قبلها أزواجه اللاتي آتى أجورهن.

وهذا معنى يشاركه فيه غيره، فزاده فضلا على أمته أن أحل له الموهوبة، ولا تحل لأحد غيره" .

العبر المستخلصة من قصة المرأة التي وهبت نفسها

أول درس نستخلصه من قصة هذه المرأة المؤمنة، هو سعيها للزوج من الرجل المؤمن الصالح الذي يأخذ بيدها للجنة، فالمرأة العاقلة، أول ما تبحث عنه في الزواج هو دين وخلق الرجل، وهذا من أهم ما يجب أن يتم تصحيحه في مقاييس الزواج في زماننا.

ويظهر لنا من خلال هذه القصة التي حدثت على عهد النبي ﷺ، حال المجتمع المسلم في ذلك الوقت، مما كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم- من الشدة، وكيف كان النبي ﷺ يسهل الأمور، ويذلل العقبات في طريق النكاح. على عكس زماننا اليوم أضحى الحلال مستعصيًا والحرام ميسرًا!

ثم إن هذه المرأة المؤمنة لم تيأس من الرد في البداية، وكررت المحاولة، رجاء أن تنال شرف أن تكون زوجة النبي ﷺ، على الرغم من أن النبي ﷺ لم يرغب فيها، ومع ذلك لم تيأس من الرد، فجلست تنتظر الفرج، وسكت ﷺ حياءً، وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها ﷺ.

وجاء في رواية النسائي: أن النبي ﷺ بعد أن قال لها: لا حاجة لي قال: ولكن تملكيني أمرك؟ قالت: نعم، فنظر رسول الله ﷺ في وجوه القوم، فدعا رجلا منهم، فقال: إني أريد أن أزوجك هذه إن رضيت؟ فقال: ما رضيت لي يا رسول الله، فقد رضيت".

وفي هذه القصة أهمية أخذ رضا المرأة؛ فقد سألها النبي ﷺ عن قبولها للزواج.

وفي ذلك دلالة إيمان هذه المرأة المؤمنة التي تسعى لرضا رسول الله ﷺ.

وفي هذه القصة، أن المهر لا حدّ لأقله، فلو أنه تزوج على شيء يسير، هذا الذي توفر، فلا بأس بذلك، فمن كان لا يوجد عنده إلا خاتم من حديد، يتزوج على الخاتم من حديد فهو على قدر الاستطاعة وليس كما نرى في

زماننا، على حجم التباهي والفخر! بينما المغالاة في المهور ليست من الشريعة.

كما يستدل بهذه القصة على جواز النظر للمخطوبة، وجواز أن يخطب المرء إذا لم يعط الخاطب الأول جوابًا. ومن ظهر له أن لشخص رغبة في امرأة تقدم إليها، فلا يجوز له أن يزاحمه فيها، حتى يظهر عدم رغبة الأول، إما بالتصريح، أو ما في حكمه.

وأكدت هذه القصة جواز أن يكون المهر عملاً يعمله الرجل للمرأة، وقرأنًا يحفظه كما أوضحت جواز المفاوضة على الصداق، وهو ما دل عليه نقاش النبي ﷺ للرجل.

ويجيز الإسلام مسألة عرض المرأة الصالحة على الرجل الصالح، فهذا لا بأس به، إذا أمنت الفتنة. ويمكن للرجل أن يعرض بنته أو أخته على الرجل الصالح، كما وقع في حديث عمر ﷺ، لما عرض بنته على أبي بكر وعثمان ﷺ، ثم تزوجها النبي ﷺ، وأن ذلك ليس بعيب على الإطلاق.

أما قضية الهبة، يعني أن المرأة تهب نفسها لرجل دون مهر، فهذا خاص بالنبي ﷺ.

ويكفي هذه المرأة أن شهد الله تعالى لها بالإيمان وذكرها في قرآن يتلى إلى آخر الزمان!

وهكذا عرضت سورة الأحزاب قصتين، واحدة من قصص النساء، قصة أمنا زينب ﵂ وما يتعلق بإبطال عادة جاهلية وتبيان حق الطلاق للرجل والمرأة، وقصة المرأة المؤمنة التي تبحث لنفسها عن زوج صالح، وصبرها على ذلك، وواجب تيسير الزواج للصالحين، وفي ذلك تربية وأدبًا وعلمًا.

قصص النساء القرآنية في سورة سبأ

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ سُورةِ سَبَأ:

- إبطالُ قَواعدِ الشِّركِ، والرُّدُّ على شُبَهِ المشركينَ.

- بيانُ الحُجَّةِ على التَّوحيدِ، وصِدقِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم[1].

لم ترد في سورة الروم قصص للنساء، لكن فيها من الآيات ما يستوجب تدبرًا ووقفة. إليك هذه الانتقاءات لعل الله يفتح بها عليك يا مسلمة.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (3)﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

[1] موسوعة التفسير.

سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)﴾.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (20)﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (29) قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (30)﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (34) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (38) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (49) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (51) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (52) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (53)

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (54)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة فاطر

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

- إثباتُ وحدانيَّةِ اللهِ تعالى عن طريقِ التَّذكيرِ بنِعَمِه المبثوثةِ في الكَونِ.

- إثباتُ قُدرةِ اللهِ الكاملةِ، ومنها قدرتُه على البَعثِ.

- إثباتُ صِدقِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.[1]

لم ترد في سورة فاطر قصص للنساء، لكن أرى المقام مقام ذكر لهذه الآيات فهي لصناعة وعي المسلمة على غرار غاية القصص القرآني.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (3)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا

[1] موسوعة التفسير

مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ(6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ(7) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (9) مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ(10) وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(11)﴾.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14) ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ(17) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ(18)﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ(19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ(20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ(21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ(22)﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36)﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (39)﴾.

﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة يس

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورةِ:

تقريرُ أُمَّهاتِ أُصولِ الدِّينِ: وَحدانيَّةِ اللهِ ربِّ العالَمينَ، والبَعثِ والجَزاءِ، والوَحيِ والرِّسالةِ[1].

قال بعض العلماء كما في تفسير ابن كثير، من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله، وكانت قراءتها عند الميت لتتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله أعلم.

ولم ترد في سورة يس قصص للنساء، وعلى غرار ما سبق من سور لم يرد فيها ذكر قصص للنساء، نقف عند هذه الآيات الجليلة للاعتبار والعظة ولنديم الاتصال وطيدًا بكتاب الله تعالى.

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11)﴾.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (24) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ

[1] موسوعة التفسير

الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (46) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (47) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (48) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50)﴾.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (64) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76) أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الصافات

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورةِ:

إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وعلى أنَّ البَعثَ حَقٌّ[1].

▪ قصة امرأة لوط

ورد ذكرها في آيات من سورة الصافات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136)﴾.

▪ قصة بنات لوط

ورد ذكرهن في آيات من سورة الصافات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136)﴾.

[1] موسوعة التفسير

وهكذا عرضت سورة الصافات قصتين من قصص النساء، لامرأة لوط وبنات لوط عليه السلام، في سياق التعظيم لمقام التوحيد ووعد الله الحق.

قصص النساء القرآنية في سورة ص

من أهم مقاصد هذه السورة:

إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى وقُدرتِه، وعلى صِدقِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأنَّ البَعثَ حَقٌّ، مع الرَّدِّ على شُبُهاتِ المُشرِكينَ.

▪ قصة زوجة أيوب عليه السلام

ذكرت زوجة أيوب عليه السلام في موضع واحد في القرآن، في قوله تعالى في سورة ص :﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)﴾ (ص: 43-44).

ملخص قصة زوجة أيوب

لم يذكر اسمها في القرآن ولا في السنة، و إنما ذكره المؤرخون على أن اسمها "ليا بنت يعقوب" وقيل اسمها "رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب"، وقيل غير ذلك. كما ذكر ذلك ابن كثير في قصص الأنبياء.

وقال ابن كثير رحمه الله:"ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال هي "رحمة" من الآية أبعد النعجة وأغرق النزع".

وجاء ذكر زوجة أيوب في سياق ذكر قصته، عليه السلام، حيث ابتلاه الله تعالى في بدنه ابتلاء عظيمًا، ولم يرأف بحاله إلا امرأته التي كانت محسنة إليه صابرة على خدمته، ولكن قد حصل منها أمر أغضب أيوب عليه السلام فحلف أن يضربها مائة ضربة، ولم يبين القرآن والسنة الأمر الذي حلف أيوب عليه السلام من أجله، قيل: إن سبب حلفه أنها باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه وقيل غير ذلك، كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

وقال تعالى ﴿وخذ بيدك ضغثا ولا تحنث﴾ حيث كانت زوجة أيوب محسنة له فجعل الله تعالى له خلاصًا من يمينه، فجمع لها مائة عود فضربها ضربة واحدة ولم يحنث في يمينه.

وننقل خبرها من قصة أيوب عليه السلام في قصص الأنبياء حيث قال ابن كثير رحمه الله:" قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ وقال تعالى في سورة ص ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وروى ابن عساكر من طريق الكلبي، أنه قال: أول نبي بعث إدريس، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل، ثم إسحاق، ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم هود، ثم صالح، ثم شعيب، ثم موسى وهارون، ثم إلياس، ثم

اليسع، ثم عرفى بن سويلخ بن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب، ثم يونس بن متى من بني يعقوب، ثم أيوب بن زراح بن آموص بن ليفرزبن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. وفي بعض هذا الترتيب نظر، فإن هودًا وصالحًا المشهور أنهما بعد نوح. وقيل إبراهيم والله أعلم.

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلًا كثير المال، من سائر صنوفه و أنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران. وحكى ابن عساكر: أنها كلها كانت له، وكان له أولاد وأهلون كثير.

فسلب منه ذلك جميعه، و ابتلي في جسده بأنواع من البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه. يذكر الله عزوجل بهما وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عزوجل في ليله ونهاره وصباحه ومسائه.

وطال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأنيس، وأخرج من بلده، وألقي على مزبلة خارجها، و انقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته. وضعف حالها، وقلَّ ما لها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه، وتقوم بأوده ﷻ وأرضاها، وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة، فإنا لله و إنا إليه راجعون!.

وقد ثبت في الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: "أشد الناس بلاء الأنبياء. ثم الصالحون. ثم الأمثل فالأمثل"، وقال: "يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه".

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "أشد حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام، ويضرب المثل أيضًا بما حصل له من أنواع البلايا.

وقد روي عن وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده والله أعلم بصحته.

وعن مجاهد انه قال: كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجدري.

وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال فزعم وهب: أنه ابتلي سنين لا تزيد ولا تنقص. وقال أنس: ابتلى سبع سنين وأشهرًا، وألقي على مزبلة لبني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن الثناء عليه. وقال حميد: مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة.

وقال السُّدِّي: تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب. فكانت امرأته تأتيه بالرّماد تفرشه تحته فلما طال عليها، قالت: "يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحًا فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة". فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام.

ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها، لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفًا أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحدًا يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ و أنكره، فقالت: خدمت به أناسًا، فلما كان الغد لم تجد أحدًا، فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فأنكره أيضًا، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام؟ فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها محلوقًا، قال في دعائه: "رب إني مسني الضر و أنت أرحم الراحمين".

وقال ابن أبي حاتم حَدَّثَنا أبي، حَدَّثَنا أبو سلمة، حَدَّثَنا جرير بن حازم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان لأيوب أخوان فجاءا يومًا، فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد، فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله علم من أيوب خيرًا ما ابتلاه بهذا، فجزع أيوب من قولهما جزعًا لم يجزع مثله من شيء قط، قال: "اللهم أن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعانًا و أنا اعلم مكان جائع فصدقني، فصدِّق من السماء وهما يسمعان" ثم قال: "اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط و أنا أعلم مكان عارٍ فصدقني، فصدّق من السماء وهما يسمعان" ثم قال: اللهم بعزّتك، وخرَّ ساجدًا فقال: اللهم بعزّتك لا ارفع رأسي أبدًا، حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف عنه.

وقال ابن أبي حاتم و ابن جرير جميعًا: حَدَّثَنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب، أخبرني نافع بن يزيد، عن عقيل، عن الزهري، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: "إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال: أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشر سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: لا ادري ما تقول غير أن الله عزوجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلا في حق.

قال وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فاستبطأته فتلقته تنظر، و أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رأته،

قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبيَّ الله هذا المبتلى؟ فو اللهِ القدير على ذلك ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال: فإني أنا هو. قال: وكان له اندران، اندر للقمح و أندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت أحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، و أفرغت الأخرى في أندر الشعير الورِقَ حتى فاض".

هذا لفظ ابن جرير، وهكذا رواه بتمامه ابن حبان في "صحيحه" عن مُحَمْد بن الحسن بن قتيبة عن ابن وهب به. وهذا غريب رفعه جدًا، والأشبه أن يكون موقوفًا.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنا أبي، حَدَّثَنا موسى بن إسماعيل، حَدَّثَنا حماد، أنبأنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عبَّاس قال: وألبسه الله حلة من الجنَّة فتنحّى أيوب، وجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله هذا المبتلى الذي كان هاهنا، لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئاب؟ وجعلت تكلمه ساعة. قال: ويحك أنا أيوب، قالت: أتسخر مني يا عبد الله؟ فقال: ويحك أنا أيوب قد رد الله عليّ جسدي.

قال ابن عبَّاس: ورد الله عليه ماله وولده بأعيانهم ومثلهم معهم.

وقال وهب بن منبه: أوحى الله إليه: (قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسِلْ بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرِّبْ عن صحابتك قربانًا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك).

رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم، حَدَّثَنا أبو زرعة، حَدَّثَنا عمرو بن مرزوق، حَدَّثَنا همام، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي، ﷺ قال : "لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادًا من

ذهب، فجعل يأخذ بيده ويجعل في ثوبه، قال: فقيل له: يا أيوب أما تشبع؟ قال: يا ربّ ومن يشبع من رحمتك؟!".

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي داود الطيالسي، وعبد الصمد عن همام عن قتادة به. ورواه ابن حبان في "صحيحه" عن عبد الله بن محمد الأزدي، عن اسحاق بن راهويه، عن عبد الصمد به. ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب، وهو على شرط الصحيح، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد حَدَّثَنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أُرْسِلَ على أيوبَ رِجْلٌ من جراد من ذهب، فجعل يقبضها في ثوبه، فقيل: يا أيوب ألم يكفك ما أعطيناك؟ قال: أي رب ومن يستغني عن فضلك!.

هذا موقوف. وقد روي عن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعا.

وقال الإمام أحمد حَدَّثَنا عبد الرزاق حَدَّثَنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حَدَّثَنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "بينما أيوب يغتسل عريانًا خَرّعليه رجل جرادٌ من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه عزوجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك".

رواه البُخَاريّ من حديث عبد الرزاق به.

وقوله ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي: اضرب الأرض برجلك. فامتثل ما أمر به، فأنبع الله له عينًا باردة الماء، وأمر أن يغتسل فيها، ويشرب منها. فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض، الذي كان في جسده ظاهرًا وباطنا، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة، وجمالًا تامًا ومالًا كثيرًا، حتى صب له من المال صبًّا مطرًا عظيمًا جرادًا من ذهب.

واخلف الله له أهله كما قال تعالى: ﴿وَ آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ فقيل: أحياهم الله بأعيانهم. وقيل: آجره فيمن سلف وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم، وجمع له شمله بكلهم في الدار الآخرة. وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي رفعنا عنه شدته ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ رحمه منا به ور أفة وإحسانًا ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ أي تذكرة لمن ابتلي في جسده أو ماله أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه.

ومن فهم من هذا اسم امر أته فقال: هي "رَحْمَة" من هذه الآية، فقد أبعد النجعة وأغرق النزع. وقال الضحاك عن ابن عبَّاس رد الله إليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرون ولدًا ذكرًا.

وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية، ثم غيروا بعده دين إبراهيم. وقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه، ليضربن امر أته مائة سوط، فقيل: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها. وقيل: لأنه عرضها الشّيْطان في صورة طبيب، يصف لها دواء لأيوب، فأتته فأخبرته فعرف انه الشّيْطان، فحلف ليضربها مائة سوط. فلما عافاه الله عزوجل أفتاه أن يأخذ ضغثًا وهو كالعثكال الذي يجمع الشماريخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلًا منزلة الضّرب بمائة سوط ويبرّ ولا يحنث.

وهذا من الفَرَجِ والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه، ولا سيما في حق امر أته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة ﷺ".

وذكرت العديد من الإسرائيليات في قصتها:"من هذه الروايات ما هو ثابت ومنها ما هو منكر ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأما ما ثبت من هذه الروايات هو حلف أيوب عليه السلام على ضرب امرأته في قوله تعالى ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ الْعَبْدُۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)﴾.

وأما الروايات التي تضمنت أمورًا شركية من عرضها على زوجها بأن ينسب الشفاء إلى الشيطان إذا رضي بأن يداويه أو أن يقرب قربانا للشيطان، وكذلك قبولها من الشيطان بأن لا يسمي زوجها على الطعام، فهذه روايات بعيدة كل البعد عن الصواب، لأن هذه الأمور لا تليق بهذه المرأة المؤمنة الصابرة التي عاشت في بيت النبوة ولم يعرف عنها سوء قط.

وأما ما روي من أن أيوب عليه السلام شك في أمرها لما جاءت بزيادة عما تأتي به عادة من الخبز فشك أن تكون قد قارفت شيئا من الخيانة فالظاهر أن المراد بالخيانة خيانة في المال لو صحت هذه الرواية، ويستحيل أن يكون من نساء الأنبياء خيانة في الفراش وإن الله عصم أنبياءه من ذلك، كما تقدم بيانه في قصة امرأة نوح عليه السلام.

وأما ما سوى ذلك من الأخبار فمسكوت عنه ولا حرج في ذكره والله تعالى أعلم".[1]

[1] قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها (ص 125- 126)

العبر المستخلصة من قصة امرأة أيوب عليه السلام

إن أول عبرة من قصة هذه المرأة الصالحة، هي ذلك الوفاء المهيب والصبر العظيم على ابتلاء زوجها، فلم تتركه الأبية عندما أصابه الضرّ ولم تزل تخدمه وتبره زوجة صالحة. وذلك دأب المؤمنة الصالحة التي لا تتبدل بتبدل حال زوجها.

كما أننا نبصر غيرة الزوج على زوجه فنبي الله لم يكن ليرض أن تبيع زوجته ضفيرتها ولو في أحلك الظروف وأمس الحاجة، فهي أغلى عنده مما ضحت به لأجلها، وهنا لفتة عظيمة لمكانة الزوجة عند زوجها، كما أنها تسلط الضوء على عظمة الحلف بالله تعالى، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُم﴾ ثم فضل الله تعالى على أمة محمد إذ يسر لهم كفارة اليمين.

ورحمة الله تعالى بهذه المرأة، يرجع لصلاحها وصبرها وإحسانها لزوجها.

ولعل أهم درس من قصة امرأة أيوب، هي عاقبة الصبر على الابتلاء، فعند الله تعالى لا يضيع صبر مؤمن ومؤمنة، وقد جزاهما الله خير الجزاء وعوضهما خير العوض.

لقد قدمت زوجة أيوب عليه السلام، مثال الزوجة البارة التي خدمت زوجها بكل طاقتها في أسوأ الظروف، ولم تتأفف ولم تجادل بما تجادل به شريحة من النساء اليوم عن خدمة الزوج وجوبًا واختيارًا، وهو مما ابتلينا به في زماننا حينما انتكست المفاهيم وتسلل الجفاء والقسوة، وعميت البصيرة وهُجرت آثار السلف!

وهكذا عرضت لنا سورة ص، قصة واحدة من قصص النساء، فكانت لسيرة امرأة، هي مثل وقدوة للمرأة المؤمنة المصابرة المؤثرة المحسنة الوفية، خير سند لزوجها وأسرتها، قد استوجبت رحمة الله ونصره.

قصص النساء القرآنية في سورة الزمر

من أهم مقاصد هذه السورة:

إثباتُ تفَرُّدِ اللهِ تعالى بالإلهيَّةِ، و إبطالُ الشِّركِ.[1]

وكان النبي ﷺ يواظب كل ليلة على قراءة سورة الزمر، فعن عائشة ـ ﷺ قالت: وكان يقرأ كل ليلةٍ ببني إسرائيل والزمر".[2]

أنتقي منها بعض الآيات للتدبر فهي عظيمة الأثر في النفس المتدبرة!

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4)﴾

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

[1] موسوعة التفسير

[2] أخرجه الترمذي،

تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) ﴾

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (24) ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31) ﴾.

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (41) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا

وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَ أَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (54) وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) ﴾.

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (66) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) ﴾.

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75) ﴾.

قصص النساء القرآنية في "آل حم"

قال ابن كثير في تفسيره، كره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال "الحواميم" و إنما يقال "آل حم"، قال ابن مسعود ﷺ: "آل حم" ديباج القرآن، وقال ابن عباس ﷺ: إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن "آل حم"، أو قال الحواميم.

وقال مِشعر بن كِدام: كان يقال لهن: "العرائس"، روى ذلك كله الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب "فضائل القرآن".

وسور"آل حم" هي التي ابتدأت بـ (حم) وهي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

وقد ورد فيها قصة واحدة من قصص النساء في القرآن وهي قصة أم الكافر العاق.

▪ قصة أم الكافر العاق

وردت قصتها في موضع واحد في القرآن الكريم في سورة الأحقاف الآية 17، حيث قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17)﴾.

مِن أهمِّ مَقاصِدِ سُورةِ (الأحقافِ)[1]:

- إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وكَمالِ قُدرتِه .

- تقريرُ أنَّ هذا القُرآنَ مِن عندِ اللهِ تعالى، وأنَّ يومَ القيامةِ حَقٌّ .

ملخص قصة أم الكافر العاق

لم يثبت لها اسم من طريق صحيح، والظاهر أن الآية نزلت في شخص كافر معيّن ووالديه المؤمنين. ويدل على هذا ما رواه البخاري، بسنده قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له، بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مراون: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي﴾.

فقالت عائشة من وراء حجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري، وفي رواية فقالت عائشة: كذب والله ما نزلت فيه، وفي رواية والله ما أنزلت إلا في فلان ابن فلان الفلاني، وفي رواية لو شئت أن أسميه لسميته، فدل قول عائشة ﷺ على أن الآية نزلت في شخص معين ووالديه ولم تفصح عن اسمه ولم أقف على بيان ذلك والله تعالى أعلم.

ويذكر الله لنا قصة الوالدين المؤمنين مع ابنهما الكافر العاق، وقد كانا يدعوانه إلى الإيمان ويحثانه عليه ويذكرانه بالله عزوجل في قولهما ﴿وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾.

[1] موسوعة التفسير

ويسألان الله عزوجل له الهداية، ومع هذا النصح، والإحسان يقابله الابن بالكفروالعقوق. والطغيان ويتلفظ ببذيء الكلام يقول لهما: كلمة أف التي هي بعيدة كل البعد عن المعروف، فهي وإن كانت سهلة النطق قليلة الحروف لكنها عند الله عظيمة لا تليق بأصحاب الفطرة السليمة، والأخلاق المستقيمة، والوفاء لأولي الفضل ثم يكذبهما ويخطئهما في حقيقة البعث، بقوله ﴿ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾.

فاستحق بذلك من الله عزوجل العذاب الأليم فإن الجزاء من جنس العمل.

العبر المستخلصة من قصة أم الغلام الكافر العام

إن العقوق من الكبائر فكيف حين يكون عقوقًا على دين الله تعالى.

ونرى في قصة هذه المرأة المؤمنة وجوب التأدب في خطاب الوالدين وتعليم الأبناء على ذلك منذ الصغروعدم الاستهانة حتى باللفظ الواحد، مثل كلمة "أف".

ونرى وجوب تعليم الأبناء أركان الإيمان وعاقبة الكفروالحذر من قلة الأدب والتأفف على الوالدين فهي من خصال الجحود والكفر.

مع حرص الأم والأب على تعليم الابن الحق و إقامة الحجة عليه ولا يباليان بعدها.

فالمحروم لا ينفعه نصح ناصح ولا حرص حريص وتبقى سوء عاقبة الكبر وخيمة.

وأما الدعوة فتسير مباركة مؤيدة بنصر الله وبالمؤمنين، فيستجيب لها الطيبون الموفقون، وإن لم يستجب لها المستكبر فهو الخاسر الوحيد ولا يستحق أن تأسى عليه!

كما أن الدعاء مصيره إحدى ثلاث، فإما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. فلا خسارة مع الدعاء أبدًا، ويكفينا ما نراه في هذه القصة من صدق وعد الله تعالى.

وهنا أستحضر خلاصة مهمة:

صفتان إذا تمكنت من قهرهما في نفسك.. أحسنت الإعداد والتزود لملاحم الارتقاء: إنهما الكبر والحسد.

فما من ضلالة إلا وبدايتها كبر أو حسد أو كلاهما معا.

قال ابن تيمية رحمه الله: " القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجِّسه من الكبر والحسد[1]".

اللهم إنا نعوذ بك من الكبر والحسد.

[1] مجموع الفتاوى (13/242)

قصص النساء القرآنية في سورة محمد

مِن أهمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورَةِ:

- التَّرغيبُ في الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ، وقِتالِ المُشرِكين، وكَسرِ شَوكَتِهم، وبيانِ سُوءِ عاقِبَتِهم.
- الكشْفُ عن أحوالِ المُنافِقين وأوصافِهِم، والتَّحذيرُ مِنهم.[1]

لم ترد قصص للنساء في سورة محمد لكن دعونا نقف عند هذه الآيات الجليلة. وهي من سورة القتال.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ

[1] موسوعة التفسير

اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9) ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (10) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (11) ﴾.

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (21) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (23) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (25) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (28) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (29) هَاأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (30) ﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الفتح

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

- تَبشيرُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأصحابِه بألْوانٍ مِنَ البِشاراتِ.
- التَّعريفُ بالمُنافِقينَ والكافِرينَ، وبَيانُ حَقيقتِهم.
- بيانُ كثيرٍ مِن مَظاهِرِ فضْلِ اللهِ ورَحمتِه بعِبادِه المؤمِنينَ [1].

نزلت هذه السورة الكريمة على رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية، في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع، أنزل الله عزوجل، هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة. ما آل الأمر إليه، كما روى عن ابن مسعود ﷺ وغيره أنه قال: "إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية".

[1] موسوعة التفسير

لم ترد قصص للنساء في سورة الفتح لكن دعينا نتلو معا هذه الآيات العظيمة منها.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (7) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11) ﴾.

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (20) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21) ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ

بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (25)﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)﴾.

قصص النساء القرآنية في سورة الحجرات

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورةِ الكريمةِ:

إرشادُ المُؤمِنينَ إلى مَكارِمِ الأخلاقِ مع اللهِ تعالى، ومع الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومع المؤمِنينَ.

لم ترد قصص للنساء في سورة الحجرات لكن دعونا نتزود من آياتها ولو اليسير. فهي سورة حوت آدابًا جليلة أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقيروالاحترام والاتباع، وما يتعاملون به بينهم ليعُمّ الأمان والعدل والإحسان المجتمع المسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8) وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ

عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(13) ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (16) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (17) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) ﴾.

قصص النساء القرآنية في جزء الذاريات

لم ترد قصص للنساء في جزء الذاريات لكن دعينا نتلو معا هذه الآيات العظيمة من سورهذا الجزء الجليلة:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (11)﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (30) وَأُزْلِفَتِ

الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35) ﴾

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (45)﴾ (سورة: ق).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (23)﴾.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (60)﴾ (سورة: الذاريات).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِئِينَ

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (24)﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (44) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (46) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)﴾ (سورة: الطور).

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (18)﴾.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (30) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا

عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (32)﴾.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (38) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (41) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (42) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَىٰ (43) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44)﴾

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58) أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَ أَنتُمْ سَامِدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ (62) ﴾ (سورة: النجم).

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (6)﴾.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (53) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55)﴾ (سورة: القمر).

﴿الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ

رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)﴾.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34)﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)﴾ (سورة: الرحمن).

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (6) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (14) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (15) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16)﴾

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (73) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74) ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (78) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (80) أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (87) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)﴾ (سورة: الواقعة).

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3)﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)﴾.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15) ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (19) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي

كِتَـابٍ مِّـن قَبْـلِ أَن نَّبْرَأَهَـا ۚ إِنَّ ذَٰلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِـيرٌ (22) لِّكَـيْلَا تَأْسَـوْا عَلَىٰ مَـا فَـاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُـوا بِمَـا آتَـاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِـبُّ كُـلَّ مُخْتَـالٍ فَخُـورٍ (23) الَّـذِينَ يَبْخَلُـونَ وَيَـأْمُرُونَ النَّـاسَ بِالْبُخْـلِ ۗ وَمَـن يَتَـوَلَّ فَـإِنَّ اللَّهَ هُـوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيـدُ (24) ﴾. (سورة: الحديد).

قصص النساء القرآنية في جزء المجادلة (قد سمع)

وردت قصتين من قصص النساء في جزء المجادلة، وهي قصة المجادلة وقصة عائشة وحفصة ﷺ. الأولى في سورة المجادلة، والثانية في سورة التحريم.

▪ قصة المجادلة

إنها قصة خولة بنت ثعلبة ﷺ الصحابية التي اشتكت أمر زوجها أوس بن الصامت ﷺ إلى النبي محمد ﷺ ونزل بشأنها أو ائل سورة المجادلة.

ورد ذكرها في سورة المجادلة في موضع واحد في القرآن في قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: 1).

ومِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

- بيانُ حُكمِ الظِّهارِ، و إبْطالُ ما كان في الجاهِلِيَّةِ.

- فَضحُ المنافِقينَ، وبَيانُ ضَلالاتِهم، و أقوالِهم الباطِلةِ، و أفعالِهم الذَّميمةِ.

- ذِكرُبَعضِ الآدابِ الَّتي يجِبُ على المؤمِنينَ أن يَتحَلَّوا بها.[1]

[1] موسوعة التفسير

ملخص قصة خولة المجادلة

هي خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف الأنصارية، ﷺ، امرأة أوس بن الصامت الأنصاري، ﷺ، وقد كان لمعرفة اسمها مزية، لأن القرآن الكريم سطر لنا قضيتها، وسميت السورة بسورة المجادلة، لمجادلتها رسول الله ﷺ، وفي ذكرها في القرآن شرف لها ﷺ.

عن عائشة ﷺ قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شي، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول يارسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني،[1] حتى إذا كبرت و انقطع له ولدي ظاهر مني[2] اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾.

فاستجاب الله تعالى شكواها وجعل لها فرجًا بما شرعه للزوج من كفارة الظهار لتعود إلى عشرة زوجها كما كانت معه.

العبر المستفادة من قصة المجادلة

يظهر لنا أن الجدال في طلب حق يجوز في الإسلام، وأن شكوى المسلمة زوجها للحاكم والقاضي عند وقوع الظلم حق لها يكفله الإسلام.

---

[1] أرادت أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده وامراة تثور كثيرة الولد انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج 5 ص 15.

[2] الظهار أن يقول الرجل لارمأته أنت علي كظهر أمي.

ثم تظهر لنا رحمة الإسلام التي تجعل مخرجًا في مثل هذه المآزق، والبحث عن المخرج الشرعي فقه وبصيرة.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم، كان يحدث بينهم وبين أزواجهم خلافات وردود وأذية ولم يكن ذلك أمرًا غريبًا في الأسر لكن معالجته كانت وفق الشريعة ووفق حب الخير.

فالمجادلة لم تحمل حقدًا وتعنتًا ورغبة في الانتقام بل كانت الأشد رحمة بزوجها على الرغم من كونها الأشد أذية من تصرفه! وفي ذلك معاني جليلة يبخسها القلم حقها..!

ولا تزال المودة والرحمة ترفق بقلوب الأزواج وتجبر ضعفهم وكسرهم، لمن فقه و أبصر.

ومن هذه القصة تدرك المؤمنة أن شريعة الله هي التي تحكم حياتها وعلاقتها الزوجية، وأن المودة والرحمة والعشرة بالمعروف هي الأصل فيها وهي موجابات الرحمة والتوفيق والسعادة.

▪ قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما

وردت قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في موضع واحد في القرآن في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَارًا (5) ﴾ (سورة التحريم : 1:5).

مِن أهَمِّ مقاصِدِ سُّورة التحريم:

بَيانُ مَعالِمَ وهداياتٍ تتعلَّقُ بالأُسرةِ[1].

[1] موسوعة التفسير

ملخص قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما

حدثت هذه القصة بين عائشة وحفصة وزينب بنت جحش ومارية أم إبراهيم رضي الله عنهن أجمعين، وهي تصور حالة من الحالات التي تحدث الأسر، وتقدم مثالا و اقعيًا لكيف يتعامل الرجل مع مثل هذه الحالات التي لا مفر منها من غيرة النساء.

وعائشة وزينب تقدم الكلام عنهما أما حفصة فهي ابنة عمر بن الخطاب ﷺ، كانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند حصن بن حذافة السهمي، فهاجر بها إلى المدينة، وكان ممن شهد بدرا ومات بالمدينة فتزوجها رسول الله ﷺ على رأس ثلاثين شهرًا من مهاجره، وتوفيت حفصة ﷺ في شعبان سنة خمس وأربعين وقيل سنة إحدى وأربعين بالمدينة، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة آنذاك.

وأما مارية القبطية فهي أم ولد رسول الله ﷺ أهداها إليه المقوقس صاحب الإسكندرية في سنة سبع من الهجرة، أسلمت و أنجبت له إبراهيم في شهر ذي الحجة في السنة الثامنة من الهجرة، وتوفيت في محرم سنة عشرة من الهجرة صلى عليها عمر ﷺ وعنها ودفنت في البقيع.

في صحيح البخاري، عن عائشة ﷺ: "أن النبي ﷺ كانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ، ويَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أنَا وحَفْصَةُ: أنَّ أيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَلْتَقُلْ: إنِّي أجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أكَلْتَ مَغَافِيرَ[1]؟ فَدَخَلَ علَى إحْدَاهُما فَقالَتْ ذلكَ له، فَقالَ: لَا، بَلْ شَرِبْتُ

[1] ص مغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط والطلع فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب، لسان العرب ج5 ص 28.

عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، ولَنْ أعُودَ له، فَنَزَلَتْ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: 1]. ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم: 4] لِعَائِشَةَ وحَفْصَةَ. ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [التحريم: 3] لِقَوْلِهِ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا. [وفي رواية]: ولَنْ أعُودَ له، وقدْ حَلَفْتُ، فلا تُخْبِرِي بذَلِكِ أحَدًا".

وعن أنس أن رسول الله ﷺ، كان له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله عزوجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾.

وقد رجح الشوكاني تفسيره القول بأن الآية نزلت في السببين كليهما وهما: تحريمه ﷺ العسل وتحريمه مارية.

وقد أسر النبي ﷺ ذلك الأمر بينه وبين حفصه ولكنها أباحت به إلى عائشة ﷺ، فلما فعلت ذلك أعلم العليم الخبير نبيه بإفشائها ذلك السر، فعرّف النبي ﷺ حفصة بعضه، بمعنى أعلم إعلام معاتبة، وأعرض عن بعض غض عنه إحسانًا وتكرمًا، فلم يخبرها أنه علم بإخبارها عائشة بما أسره إليها أو عرّف بالتخفيف على القراءة الثانية، وهي للكسائي، بمعنى جازى فيكون إشارة إلى ذلك القدر من المعاتبة أو إلى غيره، ثم سألته حفصه: من أنبأك هذا؟ قال:" نبأني العليم الخبير"، وقد أخبر الله تعالى أنما حصل من حفصة وعائشة من التظاهر والتعاول على إيذاء الرسول ﷺ ميل عن الحق، ودعاهما إلى التوبة من ذلك، و أنه إن تكرر منهما مثل

ذلك فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، وفي هذا من التحذير العظيم لهما ما لا يخفى.[1]

ثم خوفهما أيضا بحالة تشق على النساء غاية المشقة وهو الطلاق الذي هو أكبر شيء عليهن، قال الله تعالى ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ .

العبر المستخلصة من قصة عائشة وحفصة

إن ما تؤزعليه الغيرة في نفوس النساء قد لا تقدرعليه حتى أصلحهن حالا، فهذا ضعف في المرأة يجب أن يضعه الرجل في عين الاعتبارولكن لا يعني التماهي معه بل إن الإحاطة تتطلب الحزم وحسن القيادة للموقف وتحري العدل.

وفي هذه القصة من الصفات التي يبغضها الإسلام كإفشاء سر الزوج، والتآمرعلى آخر.

لقد علمنا النبي ﷺ الحلم في التعامل مع حفصة فلم يصادمها بكل ما عرفه عنه لأنه يربيها على الحق ويرجو الخيرلها ويعلمها الحق بلطف ويعلم أن دو افعها كانت المحبة له ﷺ.

قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام.

---

[1] (تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف)

ولعل أهم ما يجب على النساء الحذر منه أن الله تعالى لم يفرق بين كون الفعل من أمهات مؤمنين أو غيرهن فجاء التحذير شديدًا والتهديد خطيرًا، فتعدي حدود الله تعالى في العلاقة الزوجية لا يُستهان به وعند الله لا تضيع ذرة خير ولا شر ولا حصانة لمن ظلم!

كما أن الزوج يجب أن يكون يقظًا من مكائد النساء فحين تشتد الغيرة تعمى البصيرة، وتصبح العاطفة هي التي تطغى على المشهد وكل هذا بسبب حبهن لنبي الله تعالى، فوجب أن يكون المعدد حكيمًا حليمًا في معالجة غيرة النساء فلا يغذيها ولا يقويها في نفوسهن و أيضا يكون حازمًا كي لا يتعدين ولا يظلمن بعضهن البعض.

وفي الو اقع على المعدد أن يكون يقظًا كي لا ينجر لعواطف زوجاته فيظلم إحداهن من حيث لا يشعر، ونحن بحاجة لطرح مشاكل المعددين بدل محاربة التعدد الذي تعلن الحرب عليه في زماننا، لأن المعدد أضحى بين مطرقة مجتمع لا يحترم تعدده وبين سندان سوء تجربته وقيادته لبيته لضعف النصيحة والدعوة الهادفة في هذا الشأن والله المستعان.

قصص النساء القرآنية في جزء تبارك

لم ترد قصص للنساء في جزء تبارك لكننا نقف عند هذا الهدي السماوي، أدبًا وحياءً ورجاء رحمة الله ومغفرته:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ(3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(4)﴾.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(13) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(14) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(15) أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(16) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ(17)﴾. (سورة: الملك).

﴿نۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ (6) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (7) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تُطِعْ

كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (13)﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)﴾.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (52)﴾ (سورة: القلم).

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33)

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35)﴾. (سورة: الحاقة).

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (35)﴾. (سورة: المعارج).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)﴾.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28)﴾ (سورة: نوح).

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (12) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (16) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (20) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (23) ﴾. (سورة: الجن).

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10)﴾.

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (20) ﴾ (سورة: المزمل).

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (31)﴾.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47)﴾.

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)﴾ (سورة: المدثر).

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (31) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (33) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (34) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (35) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (39) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (40) ﴾ (سورة: القيامة).

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ

لَـهُ وَسَـبِّحْهُ لَـيْلًا طَـوِيلًا (26) إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ يُحِبُّـونَ الْعَاجِلَـةَ وَيَـذَرُونَ وَرَاءَهُـمْ يَوْمًـا ثَقِيلًا (27)﴾. (سورة: الإنسان).

﴿وَيْـلٌ يَوْمَئِـذٍ لِّلْمُكَـذِّبِينَ (19) أَلَـمْ نَخْلُقكُّـم مِّـن مَّـاءٍ مَّهِـينٍ (20) فَجَعَلْنَـاهُ فِي قَـرَارٍ مَّكِـينٍ (21) إِلَـىٰ قَـدَرٍ مَّعْلُـومٍ (22) فَقَـدَرْنَا فَـنِعْمَ الْقَـادِرُونَ (23) وَيْـلٌ يَوْمَئِـذٍ لِّلْمُكَـذِّبِينَ (24) أَلَـمْ نَجْعَـلِ الْأَرْضَ كِفَاتًـا (25) أَحْيَـاءً وَأَمْوَاتًـا (26)﴾ (سورة: المرسلات).

قصص النساء القرآنية في جزء عم

وردت في الجزء الأخير من كتاب الله العظيم، قصتين من قصص النساء، الأولى للنساء المؤمنات من أصحاب الأخدود والثانية للمرأة الكافرة الظالمة، زوجة أبي لهب.

القصة الأولى في سورة البروج والثانية في سورة المسد.

▪ قصة النساء المؤمنات من أصحاب الأخدود

ورد ذكرهن في موقع واحد في كتاب الله تعالى وهو في سورة البروج الآيات (4-10)، قال تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10) ﴾.

ملخص قصة النساء المؤمنات من أصحاب الأخدود

ورد ذكر قصتهم في سورة البروج، ومِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورة: تسليةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأصحابِه عمَّا أصابَهم مِن أعدائِهم، وتثبيتُ المؤمنينَ على الحقِّ.

واختلف العلماء في زمن أولئك القوم، فقيل: إنهم كانوا في الفترة على دين المسيح عليه السلام وكانوا في مدينة نجران وفي ملك ذي نواس، وكان على دين اليهودية، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود).

وقيل: أنهم كانوا قبل المسيح عليه السلام.

وقيل: إن هذا الحادث تكرر مرارًا في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين، ويُفهم من كلام القرطبي ترجيحه قصة أم الغلام في تفسير السورة.

وتصور لنا سورة البروج مشهدًا مؤلما حل بالمؤمنين، رجالا ونساء من قبل أصحاب الأخدود، فقد تسلطوا عليهم حينما رأوا منهم ما يكرهون من الإيمان بالله عزوجل، ففتنوهم في دينهم، وشقوا الأخدود، وأضرموا لهم فيه النيران، وخيّروهم بين الردة او الإلقاء في ذلك الأخدود الملتهب، فاختار أولئك المؤمنون والمؤمنات الصبر على الإيمان وضحّوا بأنفسهم فألقوا في النار ففازوا برضا الرحمن، واستحقوا الكرامة في الجنان، حيث وعد الله بذلك فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾. وباء أولئك الطغاة المجرمون بالخسران والتعذيب بالنيران جزاء ما صنعوا بأولياء الرحمن حيث توعدهم الله

بقولـه ﴿ إِنَّ الَّـذِينَ فَتَنُـوا الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ ثُـمَّ لَـمْ يَتُوبُـوا فَلَهُـمْ عَـذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

وقـد جـاء في صحيح مسـلم خبر المـرأة أم الغـلام في هـذه القصـة في حـديث صـهيب بـن سـنان ﷺ قـال: كـانَ مَلِـكٌ فِـيمَن كـانَ قَـبْلَكُمْ، وَكـانَ لـه سَـاحِرٌ، فَلَمَّـا كَبِـرَ، قـالَ لِلْمَلِـكِ: إنِّـي قـدْ كَبِـرْتُ، فَابْعَـثْ إلَـيَّ غُلَامًـا أُعَلِّمْـهُ السِّـحْرَ، فَبَعَـثَ إلَيْـهِ غُلَامًـا يُعَلِّمُـهُ، فَكـانَ في طَرِيقِـهِ إذَا سَـلَكَ رَاهِـبٌ، فَقَعَـدَ إلَيْـهِ وَسَـمِعَ كَلَامَـهُ، فأعْجَبَـهُ، فَكـانَ إذَا أَتَـى السَّـاحِرَ مَـرَّ بالرَّاهِـبِ وَقَعَـدَ إلَيْـهِ، فَـإِذَا أَتَـى السَّـاحِرَ ضَـرَبَهُ، فَشَـكَا ذلـكَ إلى الرَّاهِـبِ، فَقـالَ: إذَا خَشِـيتَ السَّـاحِرَ، فَقُـلْ: حَبَسَـنِي أَهْلِي، وإذَا خَشِـيتَ أَهْلَـكَ فَقُـلْ: حَبَسَـنِي السَّـاحِرُ، فَبيْنَمـا هـو كَـذلكَ إذْ أَتَـى علَـى دَابَّـةٍ عَظِيمَـةٍ قـدْ حَبَسَـتِ النَّـاسَ، فَقـالَ: اليـومَ أَعْلَـمُ آلسَّـاحِرُ أَفْضَـلُ أَمِ الرَّاهِـبُ أَفْضَـلُ؟ فأخَـذَ حَجَـرًا، فَقـالَ: اللَّهُـمَّ إنْ كـانَ أَمْـرُ الرَّاهِـبِ أَحَـبَّ إلَيْـكَ مِـن أَمْـرِ السَّـاحِرِ فَاقْتُـلْ هـذِه الدَّابَّـةَ حتَّى يَمْضِـيَ النَّـاسُ، فَرَمَاهَـا فَقَتَلَهَـا، وَمَضَـى النَّـاسُ، فـأتَى الرَّاهِـبَ فـأخْبَرَهُ، فَقـالَ لـه الرَّاهِـبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْـتَ اليـومَ أَفْضَـلُ مِنّي؛ قـدْ بَلَـغَ مِـن أَمْـرِكَ مـا أَرَى، و إنَّـكَ سَـتُبْتَلَى، فَـإِنِ ابْتُلِيـتَ فـلا تَـدُلَّ عَلَـيَّ. وَكـانَ الغُـلَامُ يُبْـرِئُ الأكْمَـهَ وَالأبْـرَصَ، وَيُـدَاوِي النَّـاسَ مِـن سَـائِرِ الأدْوَاءِ، فَسَـمِعَ جَلِـيسٌ لِلْمَلِـكِ كـانَ قـدْ عَمِيَ، فأتَـاهُ بهَـدَايَا كَثِيـرَةٍ، فَقـالَ: مـا هَاهُنَـا لـكَ أَجْمَـعُ، إنْ أَنْـتَ شَـفَيْتَنِي، فَقـالَ: إنِّـي لا أَشْـفِي أَحَـدًا إنَّمـا يَشْـفِي اللَّهُ، فـإنْ أَنْـتَ آمَنْـتَ بـاللَّهِ دَعَـوْتُ اللَّهَ فَشَـفَاكَ، فَـآمَنَ بـاللَّهِ فَشَـفَاهُ اللَّهُ، فـأتَى المَلِـكَ فَجَلَـسَ إلَيْـهِ كمـا كـانَ يَجْلِـسُ، فَقـالَ لـه المَلِـكُ: مَـن رَدَّ عَلَيْـكَ بَصَـرَكَ؟ قـالَ: رَبِّـي، قـالَ: وَلَـكَ رَبٌّ غيـرِي؟ قـالَ: رَبِّـي وَرَبُّـكَ اللَّهُ، فأخَـذَهُ، فَلَـمْ يَـزَلْ يُعَذِّبُـهُ حتَّى دَلَّ علَى الغُـلَامِ، فَجِـيءَ بـالغُلَامِ، فَقـالَ لـه المَلِـكُ: أَيْ بُنَيَّ، قـدْ

بَلَغَ مِن سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ! فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا؛ إنَّما يَشْفِي اللَّهُ، فأخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بالرَّاهِبِ، فقِيلَ لهِ: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَدَعَا بالمِنْشَارِ، فَوَضَعَ المِنْشَارَفي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بجَلِيسِ المَلِكِ فقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَوَضَعَ المِنْشَارَفي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ به حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بالغُلَامِ فقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به إلى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا به الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ، وإلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا به فَصَعِدُوا به الجَبَلَ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ، فَرَجَفَ بهِمِ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به فَاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا به البَحْرَ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ، وإلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا به، فَقالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقالَ لِلْمَلِكِ: إنَّكَ لَسْتَ بقَاتِلِي حتَّى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ به، قالَ: وَما هُوَ؟ قالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي علَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِن كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: باسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي؛ فإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلكَ قَتَلْتَنِي، فجَمَعَ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ علَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبْدِ القَوْسِ، ثُمَّ قالَ: باسْمِ اللهِ، رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِهِ في مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقالَ

النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ. فَأُتِيَ المَلِكُ فقِيلَ لَه: أَرَأَيْتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ؛ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بالأُخْدُودِ في أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَن لَمْ يَرْجِعْ عن دِينِهِ فأحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قيلَ له: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمعهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلَامُ: يا أُمَّهْ، اصْبِرِي؛ فإنَّكِ علَى الحَقِّ".

العبر المستخلصة من قصة نساء الأخدود

نحن أمام مشهد عظيم للثبات على الإيمان وكيف يبعث الله الآيات ويثبت الذين آمنوا، ثم الصبر على عدم الفتنة في الدين مقام عظيم من مقامات العبودية.

وقد خلّد الله ذكر هؤلاء المؤمنين والمؤمنات في القرآن العظيم، خلدهم رجالا ونساء، وما ورد ذكر النساء هنا إلا لحكمة عظيمة فالمرأة عادة تكون ضعيفة لكنها في مو اقف الحق تستقوي بالاستعانة بربها.

وموقف النساء المؤمنات درس لكل مؤمنة في زماننا وفي زمن الابتلاء والخطوب، تهون الدنيا ولا تهون كلمة التوحيد في قلبها. تهون كل ملذات الدنيا ولا تهون شعائر الدين وأحكامه في حياتها.

إن الشهادة في سبيل الله أجل وأعلى مقاما من عيش ذلة عند الطاغية.

وفي هذه القصة تسلية وعزاء للمؤمنين في كل ابتلاء ومحنة وطغيان.

كما فيها إشارة إلى عظم تضحية النساء المؤمنات وأن الله تعالى لا يضيع أجر ذكر ولا أنثى في سبيله.

وتوعد الله تعالى من آذى المؤمنين والمؤمنات بشديد العذاب. وهي كرامة للمؤمنين والمؤمنات وهي من ولاية الله تعالى لعباده، مهما طال الزمن تتحقق!

ويظهر لنا كيف أن الطغاة لا يرحمون امرأة ولا صغيرًا فلا يجب أن تنسى النساء دورهن في الصراع وعليهن أن يأخذن موقعهن في نصرة دين الله تعالى وثباتهن أول النصر.

وتبقى لفتة مهمة يجدر الإشارة إليها في هذا المقام، أن الفتنة في الدين في زماننا ليست فقط بالقتل والتنكيل، وحفر الأخدود والنار، بل هي أيضا بالإغراء بدعوات الانحراف عن سبيل المؤمنين والزجّ بالمؤمنة في مستنقعات الردة والكفر، فوجب التنبيه إلى أن فتنة الدين ليس بالضرورة أن تكون بالترهيب، بل أيضا بالترغيب وهي الأخطر، فعلى المسلمة أن تكون واعية لمكائد الطواغيت والكافرين وأعداء الدين ولا تسقط فريسة في شباك مكرهم، فهم يستدرجونك، من حيث لا تدركين،وقد يطرقون قلبك من الجانب الذي تحبين، فلذلك عليك بالاستناد دائما للقرآن والسنة بفهم السلف الصالح و أئمة أهل السنة والحذر من المبتدعة وكل محدث في الدين، ثم عليك بالصحبة الصالحة التي تذكرك بالله وتبقي قلبك نابضًا بمحبته وخشيته ورجائه. واستحضري عظم الأجر في الآخرة ولا تغرنك حياة دنيا فانية، متاع قليل!

وتبقى بعض المعاني المستقاة من هذه القصة، لمن تدبر، ومنها أن الله تعالى كرّم أمة محمد ﷺ بالعفو عمن يقول كلمة الكفر عند الإكراه.

ثم فضل العبادة في وقت الغربة فضل عظيم، ولي هنا وقفة واجبة مع الغربة في الدين التي نعيشها في زماننا.

غربة الدين

فما نعيشه اليوم من حرب على الإسلام ومحاربة للفضيلة واستنكار للستر يأتي مصداقًا لما نبأنا به سيد الخلق أجمعين كما عند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلَّم- قال: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء".

وأخرج الإمام أحمد و ابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره: قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: "النُّزَّاع من القبائل"، والنُّزَّاع من القبائل هم الآحاد منهم تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإسلام فكانوا هم الغرباء حقًا، وأخرجه كذلك الآجُرِّيُّ بسند صحيح وعنده: ومن هم يا رسول الله؟ قال: "الَّذين يُصْلِحون إذا فسد الناس".

وأخرجه أحْمد والطبراني من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي -ﷺ- قال: "طوبى للغرباء"، قلنا: وما الغرباء؟ قال: "قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، مَنْ يَعصيهِمْ أكثَرُ مِمَّن يُطيعهم" وصححه غير واحد.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كشف الكربة ص32: "وهؤلاء الغرباء قسمان:

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس،

والثاني: من يُصلح ما أفسد الناس،

وهو أعلى القسمين و أفضلهما".

قال ابن تيمية رحمه الله:"ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريبًا أن المتمسك به يكون في شر بل هو أسعد الناس كما في تمام الحديث "فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ" و(طُوبَىٰ) من الطيب. قال تعالى: ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (الرعد: 29)، فإنه من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريبًا، وهم أسعد الناس، أما في الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام، وأما في الدنيا فقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:64)، أي أن الله حسبك وحسب متبعك، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف: 196)، وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر: 36)، وقال جل شأنه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق: 2،3)، فالمسلم المتبع للرسول ﷺ الله تعالى حسبه وكافيه وهو وليه حيث كان ومتى كان، ولهذا

يوجد المسلمون المتمسكون بالإسلام في بلاد الكفر لهم سعادة كلما كانوا أتم تمسكًا بالإسلام".[1]

وفي زماننا نعيش نبوءة النبي ﷺ، فقد أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر. وغربته أشد مما كان عليه من سبق.

ويشهد لذلك قول الله تعالى ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام : 116).

وفي حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال النبي ﷺ:" فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قلت: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم".[2]

قال ابن القيم رحمه الله:"وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم".[3]

وهذا يقودنا إلى حديث معقل بن يسار ﷺ قال رسول الله ﷺ: "عبادة في الهرج كهجرة إلي"، رواه مسلم.

قال ابن رجب رحمه الله:"وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين؛ فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه، ويتبع مراضيه، ويجتنب

---

[1] الفتاوى (18/291- 292).

[2] رواه أبو داود والترمذي في صحيح الترغيب: (3172)

[3] مدارج السالكين (3 / 199)

مساخطه، كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مؤمنًا به، متبعًا لأوامره، مجتنبًا لنواهيه"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله:" ولقلتهم في الناس جدًا سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة...

فالغربة ثلاثة أنواع: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله ﷺ بين هذا الخلق، وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها، وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه:"جاء غريبًا، و أنه سيعود غريبًا كما بدأ "، وأن أهلها يصيرون غرباء، وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقًا، فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم، فيقال لهم: ألا تنطلقوا حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منا اليوم، و إنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده، فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه.

---

[1] لطائف المعارف (1 / 138)

ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي ﷺ: التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ﷺ، لا شيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله ﷺ بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء على الجمر حقاً، وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم"[1].

وفي هذه المقدمة والجمع من أحاديث النبي ﷺ وتفسيرات أئمة أهل السنة ما يعزز موقفك ويعينك على الثبات على توحيدك وحجابك ونقابك وما يجعلك تدركين عظم الأجر وعظم ما أنت عليه من عباده لله ﷻ.

واستحضار معاني الأحاديث يقوي القلب ويجعلك أشد تمسكًا بشريعة الله تعالى، وأشد بصيرة بفضل الثبات وأجره في الغربة، وأكثر ثقة بما أنت عليه من صلاح.

ولا عيش إلا عيش الآخرة!

[1] مدارج السالكين (3/ 195- 198)

▪ قصة امرأة أبي لهب في سورة المسد

جاء ذكرها في موضع واحد في القرآن في سورة المسد، قال تعالى ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5)﴾ (المسد: 4-5)

ومِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورة:

الإخبارُعن شَقاءِ أبى لَهبٍ وامر أتِه[1]، وفي ذلك عبرة وموعظة.

ملخص قصة امرأة أبي لهب

هي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، وقيل اسمها العوراء، وقيل إن ذلك لقبها وهي أخت أبي سفيان ﷺ، وزوجها عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وهي وزوجها من ألد أعداء النبي ﷺ.

وتزوج ولداها عتبة وعتيبة ابنتي رسول الله ﷺ، أم كلثوم ورقية – ﷺ- واللتان تزوجهما عثمان بن عفان تباعًا بعدهما.

ويذكرلنا القرآن قصة امرأة كافرة شقية معاندة، أم جميل، وما كان منها من عداوة لرسول الله ﷺ جعلها الله فاضحة لها في القرآن، تتلوها الأمم المسلمة المتتالية، وقال تعالى ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾.

[1] موسوعة التفسير

واختلف السلف في تفسير ذلك فقال بعضهم أي كانت تلقي الشوك في طريق النبي ﷺ، وقال آخرون: أي تمشي بالنميمة، وقال آخرون: كانت تعيّر رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب فعيّرت بذلك، واختار ابن جرير الأول، واختار ابن كثير الثاني، وقال الله تعالى ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

أي في عنقها حبل من أنواع مختلفة وهذا ما رجحه ابن جرير رحمه الله، ويعني ذلك وصف حالها في الدنيا فيكون قوله ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ إتماما لوصف حالها في قوله ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وعلى القول الثاني أن المراد حبل من مسد النار، أي سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذرعا أو الحديد التي في وسط البكرة، فيكون هذا وصف حالها في النار.

قال سعيد بن مسيب: كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنّها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله بها حبلا في جيدها من مسد النار، وهكذا تنال جزاءها ووعيدها الذي أخبر الله تعالى به.

وقال ابن كثير: "وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم ولهذا قال تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5)﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له، وهكذا انتصر الله لرسوله ﷺ منها بفضله، وجازاها بعدله، وهو القوي العزيز".

وحين سمعت أمُّ جميل بنت حرب، ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن بعدما نزلت، أَتَتْ رسول الله وهو جالس في المسجد، عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصّدّيق، وفي يدها حجر ملء الكَفّ، تريد أن تضرب به الرَّسولَ - ﷺ - فكفّها الله عنه.فقد أخرج الحاكم عن سفيان، عن الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: " لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)﴾ [المسد]، أقبلت العوراء (أمّ جميل) بنت حرب ولها ولولة، وفي يدها فِهْر، وهي تقول:مذمّماً أبينا ... ودينه قَلَيْنَا وأمره عصينا والنَّبيُّ ﷺ جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلمّا رآها أبو بكر، قال: يا رسول الله، قد أقبلت، و أنا أخاف أن تراك! فقال رسول الله ﷺ :" إنّها لن تراني". وقرأ قرآنًا، فاعتصم به كما قال، وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45)﴾ [الإسراء]، فوقفتْ على أبي بكر، ولم تَرَرسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، إنّي أُخْبِرْت أن صاحبك هجاني، فقال: لا وربّ هذا البيت ما هجاك، فولّت، وهي تقول: قد علمت قريش أنّي بنت سيدها "[1].

وأخرج البخاري عن جُنْدُب بن عبد الله ﷺ قال: " احتبَسَ جبريلُ صلى الله عليه وسلم على النَّبيِّ ﷺ فقالت امرأةٌ من قُريش: أبطأ عليه شيطانُه، فنزلتْ: ﴿وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)﴾ [الضحى] ".[2]

---

[1] الحاكم في " المستدرك " (م 2/ ص 361) كتاب التفسير. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذّهبي.

[2] صحيح البخاري " (م 1/ج 2/ص 43) كتاب الكسوف.

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب وامر أته ...) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما، لا ظاهرًا ولا باطنًا، لا مسرًا ولا معلنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة.

العبر المستخلصة من قصة امرأة أبي لهب

إن أذية النبي ﷺ وعداوته سبيل الهلاك والخسران المبين. وبغض هذه الأذية من الدين.

ثم إن المرأة التي تتبع زوجها في ضلاله ضالة مثله ولايغني عنها يوم القيامة زوجها بل ستحاسب حسابًا عسيرًا، فهي مكلفة مخيرة وليست تابعة رفع عنها القلم في مثل هذه المقامات من معصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا يقودنا للتذكير أن لا طاعة لمخلوق ولا للزوج في معصية الخالق ﷻ.

ويقودنا للتحذير من المرأة الخبيثة المؤذية والمفسدة في الأرض ولذلك يتقى شرها ويبتعد عن مثلها.

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

ورد ذكر زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين في مواضع متعددة في باب توجيه الأوامر والأحكام:

قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (32) ﴾ (الأحزاب: 32).

وقال الله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) ﴾ (الأحزاب: 30).

وكما رأينا مع قصة عائشة وحفصة ﷺ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) ﴾ (التحريم: 3).

وأشارت الآيات الجليلة إلى خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية أم المؤمنين ﷺ، الزوجة الأولى للنبي ﷺ، والتي لم يتزوج عليها حتى توفيت، ولقد وردت الإشارة لها في عدة مواضع في القرآن الكريم هي:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (132) ﴾ (طه: 132).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وقوله ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾.

أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصطبر أنت على فعلها، كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6) ﴾ (التحريم: 6) وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يبيت عنده أنا ويرفأ، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها، فربما لم يقم فنقول: لا يقول الله كما كان يقوم، وكان إذا استيقظ أقام – يعني أهله- وقال ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾".

وسورة طه مكية، نزلت على رسول الله ﷺ في أوائل البعثة وكان حينها أهل الرسول المقصودين في هذه الآية لا يتعدى كونهم خديجة ﷺ، لأنها كانت زوجته الوحيدة، وعلي بن أبي طالب لأن النبي كان قد تكفل رعايته منذ طفولته ومن أولاده وكانوا صغارًا.

وقال تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) ﴾ (الشعراء: 214)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ومخبرًا أن من أشرك به عذبه.

ثم قال تعالى آمرًا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه أن ينذر عشيرته الأقربين، أي الأدني إليه. و أنه لا يخلص أحد منهم إلا إيمانه بربه عز وجل".

وهذا أول أمر للرسول في الدعوة ابتداءا من الأقربين، وفيهم خديجة ﷺ بلا ريب.

كما ورد ذكر عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين ﷺ، حيث ورد ذكرها في عشر آيات، والتي تتحدث عن حادثة الإفك كما سبق بسطه، قال الله تعالى يبرأها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (12) ﴾ (سورة النور، الآية 11-20).

وذكرت نساء النبي في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (1) ﴾ (الطلاق: 1).

وذكرت زينب في سورة الأحزاب في قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (38) ﴾

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن أم المؤمنين أم حبيبة ذكرت في قول الله تعالى ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (7) ﴾ (الممتحنة: 7).

جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله لهذه الآية: "وَقَدْ قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ ابْنَتَهُ، فَكَانَتْ هَذِهِ مَوَدَّةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَفِي هَذَا الَّذِي قَالَهُ مقاتل نظر، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ بِأُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ، وَأَبُو سُفْيَانَ إِنَّمَا أَسْلَمَ لَيْلَةَ الْفَتْحِ بِلَا خِلَافٍ، وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَيْثُ قَالَ: قُرِئَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزٍ، حَدَّثَنِي سَلَامَةُ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر بْنَ حَرْبٍ عَلَى بَعْضِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ فَلَقِيَ ذَا الْخِمَارِ مُرْتَدًّا فَقَاتَلَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَاتَلَ فِي الرِّدَّةِ وَجَاهَدَ عَنِ الدِّينِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَهُوَ مِمَّنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ الآية. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ قَالَ: «نعم» قال: تأمرني أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ:"نَعَمْ"، قَالَ: وَعِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا- الْحَدِيثَ- وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ".

قال ابن الأثير: اختلف العلماء في عدة أزواج النبي ﷺ، وفي ترتيبهن، وعدة من مات منهن قبله، ومن مات عنهن...؛ إلا أن المتفق عليه أنهن إحدى عشرة امرأة: خديجة، وسودة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت خزيمة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة، وجويرية، وميمونة، وصفية، مات منهن في حياته: خديجة، وزينب بنت خزيمة، ومات عن الباقيات وهن تسع، هذا لا خلاف فيه"[1]

ونلخص بشكل سريع سير أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن: [2]

1- خديجة بنت خويلد:

قال الر افعي عنها:"أما خديجة زوجُ النبي ﷺ، فكانت في هذه المحنة قلبًا مع قلبه العظيم، وكانت لنفسه كقول (نعم) للكلمة الصادقة التي يقول لها كل الناس (لا)".

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد تجتمع مع النبي – ﷺ – في قصي، وهي أقرب نسائه إليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة.

ولم يتزوج النبي امرأة قبلها، وكل أولاده عليه الصلاة والسلام منها إلا إبراهيم – ﷺ – فإنه من مارية – ﷺ -كانت وفاتها – ﷺ – قبل الهجرة بثلاث سنين.

---

[1] جامع الأصول" (12/ 95)

[2] من مقال الأدب مع أمهات المؤمنين لعبد العزيز سعود الزمانان على موقع صيد الفوائد (بتصرف).

روى الإمام البخاري بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة – ﷺ - :" أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارىء). قال:

"فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم﴾. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ﷺ فقال: (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي). فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" .

وفي هذا الحديث يظهر كيف كانت أم المؤمنين خديجة – ﷺ –تقوي قلب النبي – ﷺ – في بداية نزول الوحي وطمأنته عليه الصلاة والسلام مما كان يخشاه على نفسه وهونت عليه الأمر و أنه لاخوف عليه ولا حزن و أقسمت للنبي – ﷺ – على أن الله لا يخزيه ولا يخذله واستدلت على ما أقسمت عليه بما فيه من صفاته الطيبة من مكارم الأخلاق.

ومن مناقبها – ﷺ وأرضاها – التي انفردت بها دون سائر أزواج النبي – ﷺ – أنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوج عليها حتى فارقت الحياة فقد روى مسلم عن عائشة – ﷺ قالت :" لم يتزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – على خديجة حتى ماتت".

ومن مناقبها العظيمة قوله – ﷺ – كما في البخاري :" خير نسائها – أي في وقتها – مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة ".

ومن مناقبها العظيمة التي دلت على شرفها وجلالة قدرها أن النبي – ﷺ – كان يكثر من ذكرها بعد موتها بالثناء والمدح عن عائشة قالت: " كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغرت يوما فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها قال:

"ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء ".

قال ابن العربي :" كان النبي – ﷺ – قد انتفع بخديجة برأيها ومالها ونصرها فرعاها حية وميتة برها موجودة ومعدومة و أتى بعد موتها ما يعلم أنه يسرها لو كان في حياتها ومن هذا المعنى ما روى من أن من البر أن يصل الرجل ود أبيه".[1]

[1] عارضة الأحوذي (252/14)

ومما حظيت به – ﷺ – كان يرتاح لسماع صوت من يشبه صوته صوتها لما وضع الله لها في قلبه من المحبة – ﷺ – فعن أم المؤمنين قالت :" استأذنت هالة بنت خويلد – أخت خديجة – على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال :" اللهم هالة " قالت : فغرت فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر أبدلك الله خيرًا منها "[1].

ومن مناقبها أن الباري جل وعلا أرسل لها السلام مع جبريل وأمر نبيه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب اللؤلؤ المجوف المنظوم بالدر والياقوت فقد روى البخاري في صحيحه :" أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ".

وفي هذا الحديث ذكر منقبتين عظيمتين لأم المؤمنين خديجة – ﷺ – وأرضاها إرسال الرب – جل وعلا – سلامه عليها مع جبريل وهذا خاص لها لا يعرف لامرأة سواها.

المفاضلة بين خديجة وعائشة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : "جهات الفضل بين خديجة وعائشة متقاربة وكأنه رأى التوقف".[2]

قال ابن القيم:" واختلف في تفضيلها على عائشة – ﷺ – على ثلاثة أقوال ثالثها الوقف : وسألت شيخنا ابن تيمية فقال: اختصت كل واحدة

---

[1] الصحيحين .

[2] (ذكر عنه الحافظ ابن حجر في الفتح 109/7)

منهما بخاصة، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام، وكانت تسلي رسول الله – ﷺ – وتثبته وتسكنه ، وتبذل دونه مالها، فأدركت غرة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله ، وكان نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها ، وعائشة – رضي الله عنها – تأثيرها في آخر الإسلام، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة، و انتفاع بنيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها".[1]

المفاضلة بين عائشة وفاطمة:

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله - :" الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة أو فاطمة أفضل إذا حرر محل التفضيل صار وفاقًا ، فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله – عزوجل – فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح ، وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة ، وإن أريد بالتفضيل بالعلم فلا ريب أن عائشة أعلم ،أنفع للأمة وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها ، وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل فإنها بضعة من النبي – ﷺ – وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير أخواتها ، وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل

[1] جلاء الأفهام ص 124 – بدائع الفوائد 3/162-163

وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل ، وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل ، ولم يوازن بينهما فيبخس الحق وإن انضاف إلى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم".[1]

2. سودة بنت زمعة – ﷺ -:

قال الذهبي:"هي أول من تزوج بها النبي – ﷺ – بها النبي بعد خديجة ، و انفردت به نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة ، وكانت سيدة جليلة نبيلة ... وهي التي وهبت يومها لعائشة رعاية لقلب رسول الله – ﷺ – ".[2]

ومن حرصها على البقاء في عصمة النبي – ﷺ – أنها آثرت يومها لعائشة إيثارًا منها لرضاه عليه الصلاة والسلام وحبًا في المقام معه لتكون من أزواجه في الدنيا والاخرة ، فكان النبي يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة رضى رسول الله – ﷺ -.

3. عائشة – ﷺ وأرضاها :

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق وأمها أم رومان بنت عامر الكنانية.

---

[1] بدائع الفوائد 3/161-162 – فتح الباري 7/109. .

[2] سير أعلام النبلاء 2/266-267 .

كانت أحب أزواج النبي – ﷺ – إليه وهي المبرأة من فوق سبع سماوات الصديقة بنت الصديق.

لم يتزوج رسول الله – ﷺ – بكرًا غيرها ولم ينزل الوحي عليه في لحاف امرأة سواها ، وبسببها شرع التيمم ونزل القرآن ببراءتها وطهرها عندما رميت بالإفك آيات تتلى حتى قيام الساعة.

وكانت أعلم نساء النبي – ﷺ – بل هي أعلم النساء على الإطلاق.

كان الأكابر من أصحاب النبي – ﷺ – يرجعون إلى قولها ويستفتونها.

كانت وفاتها سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة – رضي الله عنهم أجمعين. -

من مناقبها:

ما رواه البخاري أن عمرو بن العاص سأل النبي – ﷺ - :" أي الناس أحب إليك قال عائشة قلت : من الرجال قال: أبوها ".

وهذا الحديث فيه منقبة عظيمة لأم المؤمنين عائشة وهي أنها أحب الناس إلى قلبه ، قال الحافظ الذهبي :" وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الرو افض وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيبا ... فأحب أفضل رجل من أمته و أفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله – ﷺ – فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله ، وحبه عليه السلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا".[1]

[1] سير أعلام النبلاء 142/2.

ومن مناقبها:

أن جبريل أرسل إليها سلامه مع النبي – ﷺ -، فقد روى البخاري عن عائشة قالت :" قال رسول الله – ﷺ – يوما يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى – تريد رسول الله – ﷺ ".

ومن مناقبها: ما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال :" كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثؤيد على سائر الطعام".

من مناقبها عدم قبول النبي – ﷺ – الشكوى في حقها:

في البخاري :" كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، و إنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس: أن يهدوا إليه حيثما كان، أو حيثما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي و أنا في لحاف امرأة منكن غيرها".

أخرج مسلم في صحيحه:" أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ. فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي. فأذن لها. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل

في ابنة أبي قحافة. و أنا ساكتة. قالت فقال لها رسول الله ﷺ "أي بنية! ألست تحبين ما أحب؟" فقالت: بلى. قال "فأحبي هذه" قالت، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ. فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت. وبالذي قال لها رسول الله ﷺ. فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء. فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة. فقالت فاطمة: والله! لا أكلمه فيها أبدا. قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب. و أتقى لله. وأصدق حديثا. وأوصل للرحم. وأعظم صدقة. وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حد كانت فيها. تسرع منها الفيئة. قالت، فاستأذنت على رسول الله ﷺ. ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها. على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت ثم وقعت بي. فاستطالت علي. و أنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت فلما وقعت بها لم أنشبها حين أنحيت عليها. قالت فقال رسول الله ﷺ وتبسم "إنها ابنة أبي بكر ".

والعدل الذي كن يسألن عنه هو التسوية بينهن في المحبة القلبية ، فقد كان – ومن خصائصها ومناقبها التي دلت على عظيم شأنها ورفعة مكانتها

شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك وبرأها مما رماها به أهل الإفك في عذرها وبراءتها وطهرها.

قال ابن القيم رحمه الله:" أنزل في عذرها وبراءتها وحيًا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة وشهد لها بأنها من الطيبات ووعدها المغفرة والرزق الكريم ، وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرا لها ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًا لها ولا خافضًا من شأنها بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء فيالها منقبة ما أجلها وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشيء عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت :" ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى ولكن كنت أرجو أن يري الله رسول الله رؤيا يبرئني الله بها".

ومما كان لها تشريفا أنها كانت سببا في نزول آية التيمم ، ففي البخاري أن " عائشة – ﵂ – استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله – ﷺ – ناسًا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغيروضوء فلما أتوا النبي – ﷺ – شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير:جزاك الله خيرًا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل لك منه مخرجًا وجعل فيه للمسلمين بركة".

ومن فضائلها أن النبي – ﷺ – لما لحق بالرفيق الأعلى كان في بيتها وبين سحرها ونحرها وكان مسندًا ظهره إلى صدرها وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا وأول ساعة من الآخرة ودفن في بيتها .

فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت :" أن رسول الله لما كان في مرضه جعل يدور بين نسائه ويقول :" أين أنا غدًا ؟ " - حرصًا على بيت عائشة واستبطاء ليوم عائشة – فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري".

4. حفصة بنت عمر – ﷺ :

-ولدت – ﷺ – قبل المبعث بخمس سنين وتوفيت سنة خمس وأربعين.

وروى البخاري:" أن عمر بن الخطاب، حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد بدرا، توفي بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك؟ قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت، إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لقبلتها ".

قال الذهبي – رحمه الله - :" وروي أن النبي – ﷺ – تطليقه ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك وقال :" إنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة".[1]

وفي ما ذكرناه دلالة على أنها كانت على قدركبيروجانب عظيم من رفعة مكانتها وجلالة قدرها – ﷺ وأرضاها -.

5. زينب بنت خزيمة – ﷺ -:

يقال لها أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين وهي من بني عامربن صعصعة وتوفيت ورسول الله – ﷺ – حي.

فيكفيها شرفًا وفخرًا أنها احدى أمهات المؤمنين اللاتي ضرب عليهن الحجاب واللاتي هن أزواج نبيه في الدنيا والآخرة.

كانت وفاتها سنة أربع للهجرة – ﷺ وأرضاها- .

6. أم سلمة – ﷺ –:

اسمها هند بنت أبي أميمة القرشية المخزومية.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم سلمة قالت :" سمعت رسول الله – ﷺ – يقول :" ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله و إنا إليه

[1] سير أعلام النبلاء (228/2) .

راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها " قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله – ﷺ – ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله – ﷺ ، أرسل لي رسول – ﷺ – حاطب بن أبي بلتعة يخطبني لرسول الله – ﷺ– ".

من مناقبها أنها تشرفت برؤية جبريل حيث رأته عليه السلام في صورة دحية الكلبي، فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي عثمان قال:" أنبئت أن جبريل أتى النبي – ﷺ – وعنده أم سلمة فجعل يتحدث فقال النبي – ﷺ – لأم سلمة من هذا ؟ أوكما قال قالت هذا دحية فلما قام قالت والله ما حسبته إلا إياه حتى خطبه النبي – ﷺ – يخبر خبر جبريل".

قال العلامة ابن القيم:" ومن خصائصها: أن جبريل دخل على النبي – ﷺ – وهي عنده فرأته في صورة دحية الكلبي ".[1]

أكرمها الله بالصواب والسداد فيما تشير به ومن ذلك لما أشارت به على النبي – ﷺ – عام الحديبية حينما أمر الصحابة أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم فتثاقلوا ذلك طمعًا منهم في أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت.

---

[1] جلاء الأفهام ص 136 .

فقد روى البخاري في صحيحه :" فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا فانحروا ثم احلقوا). قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يانبي الله، أتحب ذلك، اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيلحقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل غما".

فهذه الأدلة فيها أنها كانت عظيمة القدروالمكانة وهي آخر أزواج النبي – ﷺ – موتًا وقيل ميمونة.

7. زينب بنت جحش – ﷺ-:

هي زينب بنت جحش كانت من سادة النساء دينا وورعًا وجودًا ومعروفًا ﷺ وكانت وفاتها سنة عشرين.

من مناقبها أنها كانت تقول:" زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات".[1]

وذلك لقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى

[1] البخاري.

النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

قال الإمام الذهبي :" فزوجها الله تعالى بنبيه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق عرشه".[1]

في الصحيحين أن نساءه سألنه :" أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: (أطولكن يدا). فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد: أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصدقة".

لأن زينب كانت قصيرة فعلمن أن المقصود بطول اليد الصدقة وكانت – ﷺ – كثيرة الصدقة.

روى الإمام مسلم في صحيحه :" تقول عائشة عن زينب لم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب و أتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتتقرب به إلى الله ما عدا سورة من حدة بها ".

قال الإمام الذهبي:" ويروى عن عمرة عن عائشة قالت : يرحم الله زينب لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف إن الله زوجها ونطق به

[1] سير أعلام النبلاء (211/2) .

القرآن وإن رسول الله قال لنا :" أسرعكن لحوقًا أطولكن باعًا " فبشرها بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة".[1]

8. جويرية بنت الحارث ﷺ وأرضاها:

هي جويرية بنت الحارث من بني المصطلق.

وجاءت إلى النبي – ﷺ – وطلبت منه أن يعينها على مكاتبتها لنفسها على ثابت بن قيس فعرض عليها النبي ما هو خيرلها في العاجل والآجل وهو أن يؤدي عنها ما كاتبها لنفسها فو افقت على ذلك وأسلمت وتزوجها سيد الخلق وأطلق لها أسارى من قومها.

-توفيت – ﷺ – سنة خمسين للهجرة.

9. أم حبيبة – ﷺ -:

هي رملة بنت أبي سفيان ﷺ قال الذهبي – رحمه الله - :" وهي من بنات عم الرسول – ﷺ – وليس في أزواجه من هي أقرب نسبًا إليه منها ولا في نسائه من هي أكثر صداقًا منها ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها، عُقد له – ﷺ – عليها بالحبشة وأصدقها عنه صاحب الحبشة وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مائة دينار وجهزها بأشياء".[2]

---

(1) السير 215/2 .

(2) السير 219/2 .

ومما زاد في قدرها وعلو شأنها أنها أكرمت فراش رسول الله – ﷺ – من أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة لعقد الهدنة بين الرسول – ﷺ – وبين قريش ومنعته من الجلوس عليه لأنه كان يومئذ على الشرك ولم يكن قد أسلم.

كانت شديدة الخوف من الله – عزوجل – ومن العابدات الورعات فقد روى الحاكم عن عوف بن الحارث قال :" سمعت عائشة تقول دعتني أم حبيبة زوج النبي – ﷺ - عند موتها.

فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله وتجاوز وحللتك من ذلك كله فقالت عائشة: سررتني سرّك الله وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك وتوفيت: سنة أربع وأربعين، في إمارة معاوية - رضي الله تعالى عنهما".

10. صفية بنت حيي بن أخطب – ﷺ-:

كانت – ﷺ – ذات حسب وجمال ودين وكانت وفاتها سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية – ﷺ- .

عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: إني ابنة يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: " ما شأنك؟ " فقالت: قالت لي

حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ: " إنك ابنة نبي، وإن عمك لنبي، و إنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك "، فقال: " اتقي الله يا حفصة".[1]

11. ميمونة بنت الحارث – رضي الله عنها -:

تسميتها باسم " ميمونة : إنما سماها بهذا الاسم المبارك هو النبي – صلى الله عليه وسلم – كما أخرجه الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال :" كان اسم خالتي ميمونة برة فسماها رسول الله – ﷺ – ميمونة ".[2]

[1] أخرجه أحمد في مسنده وإسناده صحيح على شرط الشيخين

[2] المستدرك 30/4 .

حقوق أمهات المؤمنين

هؤلاء هن أمهات المؤمنين اللاتي يجب على كل مسلم الإقرار بفضلهن والاعتراف بعظم منزلتهن وأنهن أمهات المؤمنين كما أطلق الله ذلك عليهن وأن من طعن فيهن أوواحدة منهن كان بعيدًا عن الله ورسوله وعباده المؤمنين.

ثم إن الإسلام قد جعل للأم منزلة عظيمة، ومكانة سامية، وحسبها شرفًا وفخرًا أن يوصي الرسول – ﷺ – أحد أصحابه وقد جاء يسأله:"من أحق الناس بحسن صحابتي قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من ؟ قال أبوك".

وأمهات المؤمنين حقهن أكبروأسمى من أمهات العصب والدم في المكانة ، وأعلى منزلة ، لذلك الأدب مع أمهات المؤمنين يكون كما يأتي:

أولاً: الترضي عليهن والصلاة عليهن:

جاء الصحابة إلى النبي – ﷺ – كما في الصحيح أنهم قالوا:"يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ".

وعندما يفعل المرء ذلك فإنه علامة على تمام دينه ومن حسن أدبه، ألم يطلب منا النبي أن نصلي عليهن كما نصلي عليه .

ثانيًا : معرفة فضلهن ومحبتهن:

و اتفق أهل العلم على أن خير الأمة أصحاب رسول الله – ﷺ – و أفضل الصحابة العشرة، الخلفاء الراشدون الأربعة – رضي الله عنهم أجمعين- و اتفقوا على ثبوت فضل أهل البيت – بيت رسول الله ﷺ – بما فيهم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وعلى تبديع وتفسيق وتضليل من يطعن فيهن، أو في واحدة منهن، لنصوص الكتاب والسنة في فضلهن ومدحهن والثناء عليهن، فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقًا والعياذ بالله.

ثالثًا : الإقتداء بهن ودراسة سيرتهن :

ومن حسن الأدب مع أمهات المؤمنين الإقتداء بهن في كل شيء.

فمثلا لقد ضربت أمهات المؤمنين أروع الأمثلة في طاعة الزوجة لزوجها مهما كلفتها الطاعة من مشاق .

فهذه خديجة ﷺ تتقدم على زوجات النبي – ﷺ – في نصرة الزوج وتصديق النبي من أول لحظة بعث فيها إلى الناس بشيرًا ونذيرًا ، وتقف بجانبه في أصعب اللحظات كما :" كلا أبشر. فوالله! لا يخزيك الله أبدًا.

والله! إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" .

وفي العلم الشرعي والتفقه في الدين وفي حسن العشرة والصبر على خشونة العيش نجد أنهن جميعا يضربن أروع الأمثلة في ذلك، فهذه رملة بنت أبي سفيان – أم حبيبة – أم المؤمنين – ﷺ – فقد كانت تحفظ من أحاديث النبي – ﷺ – ما يزيد على الألفي حديث .

وكانت تفتي من يسألها من رجال ونساء في أدق المسائل ما يصعب على غيرها وماذاك إلا لقربها من رسول الله – ﷺ – قال هشام بن عروة عن أبيه:"ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ".

فعلى كل طالب للعلم أن يجعل من سيرة أم المؤمنين نبراسًا له وسراجًا مضيئا له، فإنها نعم الأم ونعم المثل ونعم القدوة.

وفي مجال الاجتهاد في العبادة والزهد وكلهن – رضي الله عنهن – مثل لذلك، إلا أن حفصة بنت عمر – ﷺ – تسبقهن في ذلك .

فهذا جبريل – عليه السلام – ينزل من السماء فيقول للرسول – صلى

الله عليه وسلم – وقد طلق النبي حفصة :" أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة".

وفي مجال التصدق على الفقراء والإحسان إليهن ، لا نستطيع أن ننكر على إحداهن –رضي الله عنهن أنها لم تتصدق على الفقراء وتحسن إليهن ، إلا أننا نجد زينب بنت جحش – ﷺ – تتفوق على غيرها في هذا المجال ، وقد شهد لها الرسول بذلك.

فقال :" أسرعكن لحاقًا بي أطولكم يدًا ".

فكانت أول من لحق بالنبي – ﷺ – لأنها كانت أول من توفي من نساء النبي ولحق به ، لقد كانت سخية كريمة خيرة ، تتصدق على الفقراء والمساكين.

وفي اجتهادهن في إرضاء النبي – ﷺ – والبعد عن كل شيء قد يُظن – مجرد الظن – أنه قد يسيء إلى شخص النبي – ﷺ – فهذه رملة بنت أبي سفيان ن أم حبيبة – أم المؤمنين – يأتي إليها أبوها وهو مشرك قبل فتح مكة ، ويدخل عليها بيتها ويهم بالجلوس على فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم -.

فتخطف فراش رسول الله قبل أن يصل إليه وتعلن له صراحة بأنه لا

يمكن له أن يقترب من فراش رسول الله الطاهر حتى لا ينجسه، أو حتى لا يسيء إلى رسول الله وهو ما يزال بعد مشركا .

عندما ظنت – مجرد الظن – أنه يسيء إلى زوجها إذا غاب عنها في نفسها وماله فهكذا يجب على كل امرأة أن تبالغ في إرضاء زوجها كما فعلت أم حبيبة – ﷺ -.

ثالثًا: من الأدب معهن الذب عنهن والوقوف في وجه من يسيء إليهن :

- كان سلفنا الصالح منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا ، لا يزال الصالحون يضعون أمهات المؤمنين في مكانة عالية ولا يسمحون لأي شائن مبغض أن يطعن فيهن.
- بل يرون ذلك من أفضل القربات والجهاد في سبيل الله في الذب عنهن وتوقيرهن واحترامهن وحسن الأدب معهن.

رابعًا: من الأدب معهن التسمي بأسمائهن :

- ينبغي على المسلمين تسمية البنات بأسماء أمهات المؤمنين .

- وأن نذكر بناتنا ونجعلهن دائما باتصال دائم وحب مستمر مع أمهات المؤمنين .

- وأن يتخلقن بأخلاقهن وعدم التشبه بالساقطات العاهرات الر اقصات كما هو شأن عامة المسلمين .

من العبر المستخلصة من سير أمهات المؤمنين

قال تعالى ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب: 32 – 34).

الآداب التي حملتها هذه الآية لا تقتصر على نساء النبي ﷺ بل و أيضا نساء الأمة تبعًا لهن في ذلك، وفي مقدمة هذه الآداب ﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ التقوى هي المنطلق، ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ (الأحزاب: 32)؛ لا تتعمدن ترقيق الكلام في مخاطبة الرجال حتى لا يطمع فيكن من في قلبه مرض أو دخن. تتحدث التقية بالمفيد بدون تدلع ولا تَغَنُّج، ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (الأحزاب: 32).

فإن كانت نساء النبي اللاتي هن أطهرن النساء خوطبن بهذا الخطاب وهن في عصر الصحابة رضي الله عنهم، فكيف بزماننا! وكيف بحال نسائنا ورجالنا اليوم.

فلا يجب التساهل في الاختلاط ولا الاحتكاك مع الرجال الأجانب.

ثم ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (الأحزاب: 33)، فقرار المرأة في البيت هو الأصل وليس كما ذهب لإخراجها الجشعون ولا كما حاول تدليس شرح الآيات

المنتكسون الضالون، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ (الطلاق: 1)؛ مع أن البيت قد يكون للزوج ملكًا له لكنه نُسب للمرأة.

المرأة نُسب إليها؛ لأنها أكثر اختصاصًا به، وأكثر تعلُّقًا بإدارته ورعاية شؤونه.

ولا يعني ذلك ألا تخرج المرأة لحاجتها، بل تخرج ولكن ملتزمة الحجاب الشرعي وضوابط الخروج التقية، فلا تتبرج تبرج الجاهلية كأن تمشي بتبختر ولفت انتباه للرجال وتحريك لعواطفهم أو أي شكل من أشكال إبداء زينتهن، قالت عائشة ﷺ: "يا معشر النساء، قصتكن قصة امرأة واحدة: أحلَّ الله لكنَّ الزينة غير متبرجاتٍ لمَن لا يحل لكُنَّ أنْ يروا منكُن محرَّمًا".

واليوم الزينة تخصص للشارع وللخروج وترى المبالغة في ذلك والظلم للنفس العظيم.

بينما لا يجوز للمرأة إظهار زينتها إلا لمَن أحل اللهُ تعالى؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ (النور: 31).

ولم يترك الإسلام المرأة ضعيفة بدون أسباب الثبات لمقاومة خطوات الشيطان ودعاوى الشر لذلك أمرها بالصلاة والحفاظ عليها قال جل جلاله ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: 45)،

وفروض الدين الواجبة عليها، قال تعالى ﴿ وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ ﴾ (الأحزاب: 33).

ولا تستقيم حياة المرأة ولا تأمن إلا بالتزام كامل بلا ريبة ولا لجلجلة بمنهج الإسلام العظيم، قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: 65)، وهو يوجب التسليم لحقيقة أن ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (النساء: 34) ولا يعني ذلك قبول تسلط الرجلِ وظلمه، فللمرأة الطاعة في المعروف، وليس في معصية الله تعالى.

والعشرة بالمعروف والمودة والرحمة روح العلاقة الزوجية ولا تقم ولا تدم إلا بإقرار المرأة أن للرجل حق القوامة والاحترام.

وليست المرأة مطالبة بالانفاق في الأسرة إلا ما كان إحسانًا منها ومكرمة، قال تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (النساء: 34)؛ ولذلك لا يكن شغل المرأة الشاغل العمل والوظيفة وجني الأموال لأن مسؤولية الإنفاق عنها شرعًا ملزمة لوالدها وأهلها ثم زوجها حين تتزوج، ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: 27).

ونتعلم من سير نساء الرسول ﷺ الكثير عن النفس البشرية، وطباع المرأة، وصبر الزوج عليها، ونفهم الغيرة وكيف يمكن استيعابها والتحكم في زمام أمورها والحزم معها حين يحدث التعدي لحدود الله، والكثير من الفوائد التي لا يسعنا المقام هنا لحصرها بل إن سير أمهات المؤمنين

موسوعة عقدية وأخلاقية يجب على كل فتاة مسلمة دراستها والتعلم منها والاقتداء بها.

فأمهات المؤمنين قدوة لكل مسلمة، توحيدًا وفقهًا وصلاحًا وتواضعًا واستدراكًا ومسابقة واختيارًا لما عند الله تعالى.

فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ، ابنة خديجة بنت خويلد ﵂، ذكرها القرآن من ضمن أهل البيت في آيات عديدة منها قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)﴾ (الأحزاب: 33).

وقوله ﷻ ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: 23).

وقوله تعالى ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61) ﴾ (آل عمران: 61).

قال ابن كثيررحمه الله في تفسير هذه الآية بعد الحديث عن مباهلة النبي صلى الله عليه وسلم للنصارى:"فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة".

فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، اسم يزدان جمالًا ووقارًا وتفردًا، كيف لا وهي ابنة سيد الخلق أجمعين، القرشية النبيلة سيدة من سيدات نساء العالمين، والأشبه بأبيها رسول الله ﷺ ومن أحب الخلق لقلبه.

إن أردنا الحديث عن أبيها، تعجز الأقلام عن وصف خاتم الأنبياء! وأي فضل نالته فاطمة بأن تكون ابنة سيد الأنام!

وإن أردنا الحديث عن أمها فسيدة من سيدات نساء العالمين، خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية، أول من أسلم في الرجال والنساء جميعًا، وامرأة جليلة القدر، لا تنفك سيرتها أن تكون مدرسة بذل وتضحية وتفرد بالسبق! كانت نعم السند والزوجة لنبي الله ﷺ، وصلها السلام من ربها والبشرى بالجنة!

وإن أردنا الحديث عن زوجها، فسيد من سادات الصحابة رضي الله عنهم وفارس من فرسانهم الأفذاذ وخليفة راشد، وشهيد من الشهداء!

وإن أردنا الحديث عن أبنائها، فالحسن والحسين سيدا شباب الجنة، لكل واحد منهما مكانته الجليلة ومناقبه المهيبة! ولبناتها سير مزدانة بالجمال وعظمة الإسلام!

فأي شرف ينازع شرف فاطمة!

وكانت فاطمة تكنى بأم الحسن وأم الحسين، وكان يطلق عليها أم أبيها وتلقَّب بالزهراء [1]؛ وخلد التاريخ اسمها كواحدة من النساء اللاتي كملن.

---

[1] الإصابة؛ لابن حجر العسقلاني جـ4 صـ365.

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ".

وقال ابن كثيررحمه الله: "وَلَفْظُهُ يَقْتَضِي حَصْرَ الْكَمَالِ فِي النِّسَاءِ فِي مَرْيَمَ وَآسِيَةَ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ فِي زَمَانِهِمَا، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَفَلَتْ نَبِيًّا فِي حَالِ صِغَرِهِ، فَآسِيَةُ كَفَلَتْ مُوسَى الْكَلِيمَ، وَمَرْيَمُ كَفَلَتْ وَلَدَهَا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَه. فَلَا يَنْفِي كَمَالَ غَيْرِهِمَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَخَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ".[1]

وقد روى ابن رزين في مجموع الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال:"كمل من الرجال كثيرولم يكمل من النساء إلا أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

قال ابن تيمية رحمه الله[2]: "وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كمل من الرجال كثيرولم يكمل من النساء إلا أربعة)" الحديث.

---

[1] انتهى من "البداية والنهاية" (431/2).

[2] الاستقامة (2/ 156)

مولد فاطمة رضي الله عنها

ولدت فاطمة قبل بعثة النبيِّ ﷺ بخمس سنين؛ [1] وقيل سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وقيل غير ذلك، ورغم اختلاف الروايات إلا أنها متفقة على أن فاطمة كانت في سن صغيرة في الفترة المكية.

وكانت -ﷺ- أصغر بنات رسول الله ﷺ؛ إذ كانت زينب الأولى، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة أم كلثوم، ثم الرابعة فاطمة، و انقطع نسل رسول الله ﷺ إلا منها؛ فالذكور من أولاده ماتوا جميعا صغارًا، والبنات لم يبق لهن من نسلهن ذكر، فرقية -ﷺ- ولدت عبد الله بن عثمان وتوفي صغيرًا، وأما أم كلثوم -ﷺ- فلم تلد، وأما زينب -ﷺ- فولدت عليًّا ومات صبيًّا، وولدت أمامة بنت أبي العاص.

وفازت فاطمة -ﷺ- بمكانة في قلب النبي ﷺ لا تُبارى؛ لقد كانت من أحب الناس إليه، وكانت أشبه الناس بأمها خديجة ﷺ التي قال عنها النبي ﷺ : "إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا"[2]، وقد قامت فاطمة مقام أمها بعد وفاتها، وهي التي بقيت لأبيها بعد وفاة إخوانها وأخواتها تباعًا، فكانت نعم الابنة البارة بأبيها، تخفف عنه وتسعده وتساعده قبل زواجها وحتى ما بعد زواجها ﷺ.

---

[1] الطبقات الكبرى؛ لابن سعد جـ8 صـ16.

[2] صحيح مسلم

هجرة فاطمة رضي الله عنها

بقيت فاطمة مساندة لوالدها في مكة مع كل ما مر عليه من ظلم قريش وطغيانهم، ثم لما حان موعد الهجرة العظيم، خرج النبي ﷺ إلى المدينة، وأرسل ﷺ زيد بن حارثة ليأتي بابنتيه، فاطمة وأم كلثوم، وكانت ابنته رقية آنذاك مع زوجها عثمان بن عفان في الحبشة و ابنته زينب كانت ما تزال في عصمة زوجها أبي العاص بن الربيع الذي هو ابن خالتها .

وهاجرت كل من فاطمة وأم كلثوم، مع زيد بن حارثة، وزوجه أم أيمن، وأسامة بن زيد، وأم المؤمنين سودة، ومعهم آل أبي بكر – رضي الله عنهم – ولم يتعرض لهم أحد. وكان ذلك بعد مَقدَمِ النبي – ﷺ – المدينة بنحو سبعة أشهر.

ولحقت فاطمة بأبيها ﷺ في المدينة، ومع أنها كانت صغيرة في السن إلا أنها تميزت بالنضوج والعقل، لحجم ما عايشته في مكة، فقد شهدت حصار قريش للمؤمنين في الشعب، وثبات أمها السيدة خديجة ﷺ ثم وفاتها، وعايشت ظلم قريش وسعيهم لإيذاء النبي ﷺ، ورأت طلاق أختيها رقية وأم كلثوم من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب. ثم هجرة أختها للحبشة وما ر افق أيام الفترة المكية من عسرة، فكان لذلك تأثيرًا في نضوج عقلها مبكرًا خاصة أنها فتاة تربت في بيت النبوة وتحت هدي السماء!

إنها فاطمة التي تعلمت الشجاعة في الحق ونصرة أبيها منذ سن صغيرة، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، و أبو جهل وأصحاب

لـه جلـوس، وقـد نحـرت جـزوربـالأمس، فقـال أبـو جهـل: أيكـم يقـوم إلى سـلا جـزوربني فـلان، فيأخـذه فيضـعه في كتفـي محمد إذا سـجد؟ فانبعـث أشـقى القـــوم فأخـــذه، فلمـــا ســـجد النبـــي ﷺ وضـــعه بـــين كتفيـــه، قـــال: فاستضـحكوا، وجعـل بعضـهم يميـل على بعـض و أنـا قـائم أنظـر، لـو كانـت لي منعـة طرحتـه عـن ظهـر رسـول الله ﷺ، والنبي ﷺ سـاجد مـا يرفـع رأسـه حتى انطلـق إنسـان فـأخبر فاطمـة، فجـاءت وهي جويريـة، فطرحتـه عنـه، ثـم أقبلـت علـيهم تشـتمهم، فلمـا قضـى النبي ﷺ صـلاته، رفـع صـوته، ثـم دعـا علـيهم، وكـان إذا دعـا دعـا ثلاثـا، وإذا سـأل سـأل ثلاثـا، ثـم قـال: اللهـم، عليـك بقـريش ثـلاث مـرات، فلمـا سـمعوا صـوته ذهـب عـنهم الضـحك، وخـافوا دعوتـه، ثـم قـال: اللهـم، عليـك بـأبي جهـل بـن هشـام، وعتبـة بـن ربيعـة، وشـيبة بـن ربيعـة، والوليـد بـن عقبـة، وأميـة بـن خلـف، وعقبـة بـن أبـي معـيط، وذكـر السـابع ولـم أحفظـه، فوالـذي بعـث محمدا ﷺ بـالحق، لقـد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، – قليب بدر -.

وبعـد الهجـرة اسـتقرت فاطمـة مـع أبيهـا ﷺ وزوجاتـه، وكبـرت وأصـبحت في سـن الـزواج، فجـاء أبـو بكـر ﷺ ليخطبهـا، فـرده الرسـول ﷺ برفـق، وجـاء عمـر ﷺ ليخطبها فرده ﷺ أيضا برفق، إلى أن جاء علي ﷺ.

زواجها من علي رضي الله عنهما

زوّج النبي ﷺ فاطمة -ﷺ- لعلي بن أبي طالب ﷺ في السنة الثانية من الهجرة، بعد غزوة بدر؛ [1] وكان سنُّها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهرونصفًا، وكان سنُّ عليٍّ ﷺ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر. وقيل وكان عمرها ثمانية عشر عامًا، وكان عُمر علي ﷺ نحوًا من ثلاث وعشرين سنة.

ذُكِرَت قصة زواجهما في كتب الحديث والسِّيَروالتراجم، وقد رواها ابن كثيرفي السيرة النبوية والبيهقي في الدلائل عن علي ﷺ قال: خطبت فاطمة من رسول الله ﷺ .. فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة خُطِبَت من رسول الله؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله فيزوجك بها؟ فقلت: أوعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئتَ رسول الله ﷺ زوّجك. فو الله ما زالت ترجّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أُفْحِمْتُ، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة، فقال رسول الله ﷺ: (ما جاء بك، ألك حاجة؟) فسكتّ، فقال: (لعلك جئت تخطب فاطمة؟) فقلت: نعم، فقال: (وهل عندك من شيء تستحلها به؟) فقلت: لا والله يا رسول الله! فقال: (ما فعلت درع سلحتكها؟) قلت: فوالذي نفس علي بيده إنها لحُطَمِيَّة ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت عندي، فقال: قد زوجتكه، " فبعث إليها بها، فاستحلّها بها، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ".

---

[1] الطبقات الكبرى؛ لابن سعد ج 8 ص 18.

وقيل بيعت الدرع بأربعمائة وسبعين درهمًا، فجهزت بها عروسه، وعقد رسول الله ﷺ زواج علي على ابنته فاطمة ﷺ. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي قبل ليلة الزفاف: لا تحدث شيئًا حتى تلقاني، فدعا بإناء، فتوضأ منه، ثم أفرغه على فاطمة وعلي، وقال: "اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما".[1]

وأما جهازو أثاث زواجهما فكان: قطيفة، وقِرْبَة، ووسادة من جلد حشوها ليف أو نبات، فعن علي ﷺ قال: (جهَّزرسول الله ﷺ فاطمة في خميل (قطيفة)، وقِرْبة، ووسادة أدم (جلد) حشوها إذخر(نبات رائحته طيبة) رواه أحمد، وفي رواية ابن حبان: "وأمرهم أن يجهزوها، فجعل لها سريرًا مشرطًا بالشرط، ووسادة من أدم حشوها ليف".

هكذا كانت قصة زواج ابنة رسول الله سيدة من سيدات نساء العالمين وزوجة الصحابي الجليل علي ﷺ، لقد علمنا النبي ﷺ درسًا مهيبًا من الفقه والبصيرة في الزواج، إنه يشتري رجلا لابنته، فييسر له المهر والزواج، لأنه يعلم وزن الرجل وأصالة معدنه، وهكذا يجب أن يفكر الآباء عند تزويج بناتهن ليس كما نعيش في زماننا، ينظرفي قيمة المهرلا قيمة صاحبه، ويتنافس في مبالغ المهرلا في الصلاح والصدق والتيسير والعفاف ففقدت البركة وتأخر الزواج و انشغل الناس بالقشوربدل اللب!

[1] الطبقات الكبرى؛ لابن سعد ج.8 ص.21 .

ونلاحظ كيف قدم النبي ﷺ الشاب الذي بحاجة لأن يعف نفسه على المتزوج من الخطاب، وهذا من تيسير الزواج لمن هو صالح وأشد حاجة إليه من غيره. وفي ذلك فقه وبصيرة.

ونلاحظ أيضا كيف يتوسط سعاة الخير في زواج الصالحين، وهنا درس آخر فالتوسط لتزويج الصالحين من أعمال الخير والبر والمعروف.

وبارك الله في هذا الزواج فولدت فاطمة لعلي، الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب، وتوفي محسن صغيرًا، ولم يتزوج عليٌّ ﷺ، كما كان حال النبي ﷺ مع أمها، عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنهم أجمعين.

نصيحة الأب لابنته المتزوجة

كانت فاطمة ترجع لوالدها النبي ﷺ لتستشيره في أمور حياتها، وفي ذلك يروي زوجها علي ﷺ فيقول: شكت فاطمة -ﷺ- ما تلقى في يدها من الرَّحَى،[1] فأتت النبي ﷺ تسأله خادمًا فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته.

قال علي ﷺ: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم فقال:"مكانك". فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، ثم قال: "ألا أدلكما على

(1) الرحى: الأداة التي يطحن بها، وهي حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ويدار الأعلى على قطب.

ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما فكبرا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم" [1].

هكذا كانت نصيحة الأب النبي ﷺ لابنته وزوجها، لقد دلهما على سر من أسرار القوة والثبات، إنه الذكر وما أدراك ما الذكر ليبقى وصالهما بالله ﷻ لا ينقطع، ويعلمهما الاستغناء عن الناس وحسن التوكل على الله تعالى.

لقد كان النبي ﷺ يتعهد ابنته وزوجها ويطمئن على حالهما ويصلح بينهما، حين يحصل ما يحصل بين الأزواج، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: "جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي البَيْتِ، فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ فِي المَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ"[2].

تربت فاطمة في بيت النبوة، ومنّ الله عليها بأفضل أب ومعلم ومربي، فتعلمت الإسلام منذ أبصرت الدنيا، فبعد أن جاء جبريل عليه السلام بقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: 214)، قام النبي صلى الله عليه وسولم وقال: "يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أغني

---

[1] صحيح البخاري

[2] رواه البخاري ومسلم.

عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا"[1].

كان النبي ﷺ يذكر فاطمة، في مقام إحقاق الحق، ويضربها مثالًا مع عظم مكانتها عنده!

ولذلك كان يقول في حد السرقة: "و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".[2]

وكذلك كان النبي ﷺ يرشد ابنته الحبيبة لما فيه صلاح دينها وآخرتها، عملا بقول الله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم: 6).

روى ثوبان ﷺ فقال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة -رضي الله تعالى عنها- و أنا معه، وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب، فقالت: هذه أهداها إليَّ أبو حسن. فقال رسول الله ﷺ: "يا فاطمة، أيسرك أن يقول الناس: فاطمة بنت محمد وفي يدك سلسلة من نار؟" ثم خرج ولم يقعد، فعمدت فاطمة إلى السلسلة فاشترت غلامًا فأعتقته. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "الحمد لله الذي نجَّى فاطمة من النار" صحيح النسائي.

---

[1] صحيح مسلم

[2] صحيح الترمذي.

لقد كان دأب النبي ﷺ حث نسائه وبناته ونساء المسلمين على الزهد في الدنيا، وعدم الافتتان بزخرفها وزينتها؛ تَرغيبًا فيما عندَ اللهِ عزَّوجلَّ. وقيل: إنَّ إنكارَه صلَّى الله عليه وسلَّم كان فيما تَجِبُ فيه الزَّكاةُ. وقيل في شرح هذا الحديث أن: النَّهيُ هنا نَهيُ تَنزيهٍ لا نهيُ تحريمٍ، وهذا مِن تَربيةِ النَّبيِّ ﷺ لأمَّتِه على التَّعفُّفِ والتَّرفُّعِ عن بعضِ الْمُباحاتِ في الدُّنيا؛ للحُصولِ على أعلى الدَّرجاتِ في الآخرةِ، والثابتُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه أباح الذَّهبَ للنِّساءِ، وحرَّمه على الرِّجالِ فقط.

وتبقى سرعة استجابة فاطمة البارة ﷺ، قدوة ومثالًا يحتذى به، وهل سبق السابقون الأولون إلا بسرعة استجابتهم لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم!

الحذر من الأكاذيب التي تنسب لعلي وفاطمة

تسير بيننا أكاذيب و افتراءات لا أثر لها في دواوين السنة وهي غالبًا من اختراعات الر افضة ينجر لها بعض المسلمين تعاطفا لا علما، وجب التنبيه إليها، من ذلك ما يزعم أنه قول علي ﷺ عن فاطمة : "فأحببتها حبًا عظيمًا وما ناديتُها يومًا يا فاطمة ولكن كنتُ أقولُ يا بنت رسول الله وما رأيتُها يومًا إلا وذهبَ الهمُّ الذي كان في قلبي ووالله ما أغضبتُها قط ولا أبكيتُها قط ووالله ما رأيتها يومًا إلا وقبلتُ يدها".

وهذا كذب لا أصل له في كتب أهل السنة بل ثبت أن علي اختلف مع فاطمة كما يختلف الأزواج ويتفقون. ﷺ وأرضاهما. وكان النبي ﷺ يصلح بينهما.

ولا يعني ذلك أن عليا لم يكن يكنّ الحب الكبير لفاطمة ولكنه حب أكبر من الكلمات المفتراة عليهما.

ومن هنا وجب التحذير من مؤلفات الر افضة – وهي منتشرة بشكل كبير على الشبكة- حين يتعلق الأمر بأمهات المؤمنين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وكل ما يخص الإسلام. فإنما نرجع فيه لهدي القرآن والسنة وتلك سبيل المؤمنين.

سيرة فاطمة رضي الله عنها

لقد حفرت فاطمة أعظم الأثر بين المسلمين في عصرها، بخلقها وقوة دينها وبلاغتها، تروي لنا من ذلك أم المؤمنين عائشة -ﷺ- أنها كانت إذا ذُكرت فاطمة بنت النبي ﷺ، قالت: "ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها".[1]

ووصفت عائشة ﷺ فاطمة فقالت -: جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقام إليها وقال: "مرحبا بابنتي". صحيح مسلم.

---

[1] سير أعلام النبلاء جـ 2 ص 119 .

وعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا، وَقَالَ الْحَسَنُ حَدِيثًا وَكَلَامًا، وَلَمْ يَذْكُرْ الْحَسَنُ السَّمْتَ وَالْهَدْيَ وَالدَّلَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا، قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا". أخرجه أبو داود في سننه.

وكذلك ضرب المثل بحيائها، وما الحياء إلا تاج وقاروجمال المرأة المسلمة، فقد بلغ الأمر بفاطمة من شدة حيائها -ﷺ- أنها كانت تخشى أن يصفها الثوب بعد وفاتها، لقد استقبحت أن ينكشف جسدها وهي ميتة! فاتفقت مع أسماء بنت عميس ﷺ أن تجعل لها نعشًا قد نقلت فكرته أسماء من هجرتها للحبشة.

ومن حيائها ﷺ، أنها حرصت على أن لا يغسلها إلا زوجها وأسماء رضي الله عنهم جميعا.

وهكذا كانت ابنة رسول الله ﷺ العفيفة الحييّة أول من غطي نعشها من النساء في الإسلام .

قال عبد الله بن عباس ﷺ: فاطمة أول مَن جُعِل لها النعش، عملَتْه لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رأته يُصنَع بأرض الحبشة.[1]

لقد كانت فاطمة ابنة نبي الله وإمام المسلمين جميعًا، فلم يزدها عظم شأن أبيها إلى تواضعًا وتقوى وخشية من الله تعالى، لذلك غلب على

[1] الطبقات الكبرى؛ لابن سعد ج 8 ص 23 .

حياتها الزهد والورع والرضا بما قسمه الله تعالى، فكانت قليلة المهر، مهرها درعا، قليلة المؤنة، فما تجاوز متاعها سريرًا مشروطًا، ووسادة من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ، وقِرْبة.

وخدمت زوجها بإخلاص وتفانٍ ولم تردد كما يردد نساء في عصرنا اليوم، حقوقي وواجباته! ولم تناقش مسألة الخدمة للزوج ولا طالبت بحق من هذه الحقوق التي تتهافت عليها النساء في زمن غلب عليه البعد عن هدي الإسلام وشريعة الله تعالى، لقد كانت فاطمة تطحن وتعجن خبزها بيديها وتدير جميع شئون بيتها الأخرى، في بيوت بدائية ليست كبيوتنا اليوم، تشعل النار وتجلب الماء وتقوم بكل تفصيل بنفسها، ما يتطلب بذل الجهد المضاعف والتعب والعناء! ومع ذلك كانت تعتني بزوجها وتخدمه بمحبة وصدق شهد لها التاريخ! كيف لا وقد تربت في بيت ضربت فيه أمها المثل الأتقى والأروع في خدمة الزوج وحسن العشرة والبذل والإيثار والمحبة!

لقد كانت فاطمة زوجة صحابي مجاهد، لا يفارق النبي ﷺ في غزواته، وكل وقته في عمل مع النبي ﷺ والصحابة في وقت كانت دولة الإسلام في حالة صعود وبناء، ومواجهة لتحديات كبرى، وكانت فاطمة تقوم بخدمته ومساندته وتقوم بأمور بيتها وتشارك نسوة الأنصار والمهاجرين روح الدعوة لله تعالى. لم يرعلي منها ما ينفره ولا ما يكون عقبة في مسيرته، بل لم يرمنها إلا ما يجعله أشد تمسكًا ومحبةً لها. لقد شغلهما ما هو أعظم من كل فتات الدنيا! شغلهما الإسلام وفداء دين الله تعالى فأدام الله ذكرهما بين أجيال المسلمين القرون المتتالية، قدوة ومثلا.

قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه، فقالت: و أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، تأمل الوصف!

فأتت النبي ﷺ، فقال: ما جاء بك أي بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت.

فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتيناه جميعا، فقال علي: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة، فأخدمنا،

فقال رسول الله ﷺ: والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم و أنفق عليهم أثمانهم، فرجعا، فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ قالا: بلى. فقال: كلمات علمنيهن جبريل، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم، ولا ليلة صفين.[1]

[1] إسناده حسن، أخرجه النسائي (3384)، وابن ماجه (4152) مختصرا، وأحمد (838) واللفظ له.

قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-[1]:" كانت فاطمة ﷺ صابرةً مع علي بن أبي طالب على جهد العيش وضيقه".

وحين نتحدث عن فاطمة فنحن نتحدث عن امرأة كملت من بين النساء، فأصبحت قرة عين لزوجها الذي أحبها و أكرمها على فقره، وتعاونا على البر والتقوى ولم يتفرقا إلا وكلاهما راضٍ عن الآخر.

فضل فاطمة رضي الله عنها

لقد خص الله تعالى فاطمة بفضل عظيم، ومن ذلك أنها كانت أحب أهل النبي ﷺ إليه، فعن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، قال: حدثني أسامة بن زيد – ﷺ – قال: كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي فقالا لي: يا أسامة استأذن لنا على رسول الله – ﷺ -. فدخلت على النبي – ﷺ – فاستأذنته فقلت له: إن العباس وعليا يستأذنان. قال: "هل تدري ما حاجتهما؟"، قلت: لا والله ما أدري. قال:"لكني أدري ائذن لهما". فدخلا عليه، فقالا: يا رسول الله، جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك؟ قال: "أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد". فقالا: يا رسول الله، ليس نسألك عن فاطمة قال: "فأسامة بن زيد الذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه"[2].

---

[1] البداية والنهاية (جـ6 صـ33)

[2] المستدرك على الصحيحين، صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ومن فضلها أن وصفها النبي ﷺ أنها "شجنة منه" ﷺ: فعن المسوربن مخرمة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"إنما فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها"[1].

ومن فضلها أن نالت مرتبة سيدة من نساء العالمين.

أخرج أحمدُ من طريق موسى بن عقبة، عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضلُ نساء أهل الجنة خديجةُ بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون"[2].

وفي حديث آخر عن مَعْمَر عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ قال:"حسبُك مِن نساء العالَمين أربعٌ: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد"[3].

وقال النبي ﷺ :"يا فاطمةُ، ألا ترضين أن تكوني سيِّدةَ نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمَّة"[4].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ"[5].

ومن فضل الله عليها أن لم يجمع علي مع فاطمة زوجة ثانية إكراما للنبي ﷺ، كما لم يجمع النبي ﷺ مع أمها خديجة زوجة أخرى، وقد غضب لها

---

[1] مسند أحمد، حديث صحيح

[2] أخرجه أحمد وإسناده صحيح ورجاله ثقات

[3] أخرجه الترمذي في السنن، وقال: حديث حسن صحيح.

[4] صحيح البخاري

[5] أخرجه أحمد في مسنده.

النبي ﷺ، لما بلغه أن أبا الحسن هم ولم يفعل بما رآه سائغًا من خطبة بنت أبي جهل. فَعَنِ الْمِسْوَرِبْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ:"إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ، يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ"[1].

قال ابن القيم رحمه الله: "وفى ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِهره الآخر، وثناءَه عليه بأنه حدَّثه فصدقه، ووعده فوفى له، تعريضٌ بعلي ﷺ، وتهييجٌ له على الاقتداء به، وهذا يُشعر بأنه جرى منه وعد له بأنه لا يَريبها ولا يُؤذيها، فهيَّجه على الوفاء له، كما وفى له صهرُه الآخر" [2].

وقال رحمه الله: "وَفِي مَنْعِ عَلِيّ مِنْ الْجَمْعِ بَيْنَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا وَبَيْنَ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ حِكْمَةٌ بَدِيعَةٌ، وَهِيَ: أَنّ الْمَرْأَةَ مَعَ زَوْجِهَا فِي دَرَجَتِهِ تَبَعٌ لَهُ، فَإِنْ كَانَتْ فِي نَفْسِهَا ذَاتَ دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ وَزَوْجُهَا كَذَلِكَ كَانَتْ فِي دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ بِنَفْسِهَا وَبِزَوْجِهَا.

وَهَذَا شَأْنُ فَاطِمَةَ وَعَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا.

---

[1] صحيح البخاري ومسلم.

[2] زاد المعاد (118/5).

وَلَـمْ يَكُـنْ اللّهُ عَـزّوَجَـلّ لِيَجْعَـلَ ابْنَـةَ أَبِـي جَهْـلٍ مَـعَ فَاطِمَـةَ رَضِـيَ اللّهُ عَنْهَـا فِي دَرَجَـةٍ وَاحِـدَةٍ، لَا بِنَفْسِـهَا، وَلَا تَبَعًـا، وَبَيْنَهُمَـا مِـنْ الْفَـرْقِ مَـا بَيْنَهُمَـا، فَلَـمْ يَكُـنْ نِكَاحُهَا عَلَى سَيّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مُسْتَحْسَنًا، لَا شَرْعًا، وَلَا قَدَرًا.

وقـد أَشَـارَ صَـلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ إلَى هَـذَا بِقَوْلِـهِ: " وَاَللّهِ لَا تَجْتَمِـعُ بِنْـتُ رَسُـولِ اللّهِ وَبِنْتُ عَدُوّ اللّهِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ أَبَدًا ".

فَهَذَا إمّا أَنْ يَتَنَاوَلَ دَرَجَةَ الْآخَرِ بِلَفْظِهِ أَوْ إشَارَتِهِ"[1].

ومـا سـبق هـو فضـل الله على فاطمـة ﷺ ولا يجـوز تحـريم التعـدد لأجـل هـذه الخصوصـية التي خـص الله بهـا ابنـة رسـول الله ﷺ لقولـه ﷺ في القصـة نفسها: "وَ إِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا، وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا".[2]

وفي سير أعلام النبلاء، وسنن الترمذي، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَ أَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ، وَ أَنْتِ عَلَى خَيْرٍ".

ورد في الترمذي في سننه من كتاب الفضائل عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي مَتَى عَهْدُكَ (تَعْنِي بِالنَّبِيِّ ﷺ)؟ فَقُلْتُ: مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا فَنَالَتْ

---

[1] زاد المعاد (119/5).

[2] رواه البخاري ومسلم.

مِنِّي، فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي آتِي النَّبِيَّ ﷺ، فَأُصَلِّيَ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَلِي وَلَكِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي، فَقَالَ: مَنْ هَذَا، حُذَيْفَةُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا حَاجَتُكَ، غَفَرَاللَّهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ؟ قَالَ: إِنَّ هَذَا مَلَكٌ، لَمْ يَنْزِلْ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[1].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ: "أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ"[2].

رضي الله عن ابنة رسول الله ﷺ وأرضاها.

علاقة فاطمة بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم

لم تعارض أيا من بنات النبي زواجه ﷺ بعد وفاة أمهم خديجة ﷺ ومنهن فاطمة، فقد كن يبحثن عن سعادة واستقرار إبيهن، ولذلك عاشت فاطمة مع زوجتي أبيها سودة وعائشة بكل حب وحسن عشرة وتقدير.

واستمر حالها في محبة واحترام وبر بينها وبين زوجات النبي ﷺ ومصدر ثقة وامان لجميع زوجاته ﷺ ومما ذكر في ذلك أن أزواج النبي ﷺ أرسلن فاطمة إلى رسول الله ﷺ كما روت عائشة ﷺ فقالت: فاستأذنت عليه وهو

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه.

[2] أخرجه الترمذي في سننه.

مضطجع معي في مرطي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، و أنا ساكتة، قالت فقال لها رسول الله ﷺ: أي بنية ألست تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى، قال فأحبي هذه قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ، فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا"[1].

ويظهر لنا من خلال معاني الحديث شدة تقدير فاطمة لوالدها ﷺ واستجابتها لأمره ﷺ. وقد كان يحدث بين نساء النبي ﷺ ما يحدث من غيرة ومشاكل زوجية، كانت تحل بهدي النبوة العظيم.

أحاديث روتها ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

روت فاطمة ﷺ ثمانية عشر حديثًا، منها حديث واحد متفق عليه عند البخاري ومسلم؛

ومما حدثت به فاطمة عن أبيها:"كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: باسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، و افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج قال: باسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، و افتح لي أبواب فضلك"؟

[1] صحيح مسلم.

وروى عنها ابنها الحسين، وعائشة، وأم سلمة، و أنس بن مالك، وغيرهم . ورو ايتها في الكتب الستة كما ذكر ذلك الذهبي.

ولكن فاطمة ﷺ ليست من المكثرين في رو اية الحديث لأنها لم تعش بعد حياة النبي ﷺ إلا ستة أشهر بخلاف غيرها من الصحابة الذين عمروا بعد النبي ﷺ طويلًا وتمكنوا من رو اية الأحاديث كأبي هريرة و ابن عباس و ابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم.

وفاة النبي والمصيبة الكبرى

نبصر مكانة النبي ﷺ في قلب فاطمة عند وفاته، فلقد كان وقع وفاته قاتلا ويكفي من ذلك كيف قضت فاطمة لحظات موته وما بعدها،

فعن أنس ﷺ قال: لمّا ثَقُل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة ﷺ: واكرب أبتاه. فقال: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم"، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه! يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه! يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه !

فلما دفن قالت فاطمة ﷺ: أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟![1]

وقد كانت تعلم أن النبي ﷺ قد اختار الرفيق الأعلى، روى الشيخان عن عائشة أمِّ المؤمنين، قالت: إنَّا كنا أزواج النبيِّ ﷺ عنده جميعًا، لم تغادر

[1] رواه البخاري

منا واحدة، فأقبَلَت فاطمة عليها السلام تمشي، لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلمَّا رآها رحَّب قال: (مرحبًا بابنتي)، ثم أجلَسَها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها (أي: أخبرها بسرٍّ)، فبكت بكاءً شديدًا، فلما رأى حزنها سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصَّك رسول الله ﷺ بالسرِّ من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: عمَّا سارَّك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرَّه، فلمَّا توفي، قلت لها: عزمتُ عليك بما لي عليك من الحقِّ لما أخبرتني، قالت: أمَّا الآن فنعم، فأخبرَتْني، قالت: أمَّا حين سارَّني في الأمر الأول، فإنه أخبرني: "أنَّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كلَّ سنة مرَّةً، و إنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي اللهَ واصبري؛ فإني نعم السلف أنا لك"، قالت: فبَكَيْت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية، قال: "يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأُمَّة"[1].

لقد حملت فاطمة ألم فراق أبيها قبيل وفاته وبعدها، وكانت كما بشرها النبي أول اللاحقين به ﷺ.

نقل الذهبي في ترجمة السيدة فاطمة ﷺ قوله: "مَكَثَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ رسول الله ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَهِيَ تُذَوِّبُ". وروي عنه أنه قال: "مكثت بعد أبيها ستة أشهر، وهي تذوب، وما ضحكت بعده أبدًا!!".

[1] البخاري ومسلم

تأمل: "تذوب"! و"ما ضحكت".

كيف عاشت سيدة نساء العالمين آخر أيامها بفجيعة.

فاطمة والصديق رضي الله عنهما

كان الصحابة المثال البشري العملي لدعوة الإسلام، فقدموا لنا أفضل قدوة و أفضل تمثيل للإسلام بقلوبهم التقية السخية، نشاهد ذلك بعد وفاة النبي ﷺ، ومطالبة فاطمة بميراثها، وحرص الصديق على تطبيق أمر رسول الله ﷺ وإن كان في ذلك حزن ابنته.

روى الشيخان عن عروة بن الزبير، أنَّ عائشة أم المؤمنين ﵂ أخبرته أنَّ فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما تَرَك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنَّ رسول الله ﷺ قال: "لا نُورَثُ، ما تركْنا صدقةٌ"، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ من خيبر، وفدك (مكان بينه وبين المدينة)، وصدقته (أي: أملاكه التي صارت بعده صدقة موقوفة)

بالمدينة، فأَبَى أبو بكر عليها ذلك، وقال: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركت شيئًا مِن أَمْرِه أن أزيغ[1].

وصدق الصديق فقد طبق وصية النبي ﷺ على ابنته عائشة أيضا فلم ترث زوجه النبي ﷺ. ولا أحد من أهله كما ابنته فاطمة رضي الله عنهم أجمعين.

و"معنى هجرانها: انقباضها عن لقائه، وعدم الانبساط، لا الهجران المحرَّم مِن ترك السلام، ونحوه".[2]

"قال المهلب: إنما كان هجرها انقباضًا عن لقائه، وترك مواصلته، وليس هذا من الهجران المحرم، وأما المحرَّم من ذلك: أن يلتقيا، فلا يسلم أحدهما على صاحبه، ولم يَروِ أحدٌ أنهما التقيا وامتنعا من التسليم، ولو فعلا ذلك: لم يكونا متهاجريْن، إلا أن تكون النفوس مظهرة للعداوة، والهجران، و إنما لازمت بيتها، فعبَّر الراوي عن ذلك بالهجران[3]".

وفي هذه الأثناء وقف علي ﷺ مساندًا لزوجه ولم يزل يطيب خاطرها وينصرها ويتعاطف معها وفي ذلك دلالة محبته لها ﷺ.

لكن الخلاف انتهى بإرضاء الصديق لفاطمة ﷺ، روى البيهقي عن الشعبي قال: لما مَرِضَت فاطمة ﷺ، أتاها أبو بكر الصديق ﷺ، فاستأذن عليها، فقال علي ﷺ: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحبُّ أن آذَن له؟ قال: نعم، فأذِنَتْ له، فدخل عليها يترضَّاها وقال: والله ما

---

[1] البخاري ومسلم

[2] عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (17 / 258)

[3] عمدة القاري (15 / 20).

تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاءَ مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضَّاها حتى رَضِيت.[1]

ومن يتدبر سير الصحابة يعلم يقينا أن العلاقة بينهم كانت علاقة محبة في الله وأخوة إيمان وولاء لا ينضب، اجتمعوا على الإسلام وعملوا لدين الله وجعلوه أعظم غاياتهم ومقاصدهم، والحاكم بينهم في خلافاتهم، وكانت هذه الصفة من أبرز أسباب نجاح خلافتهم في الأرض، ولم يكن بينهم الخيانة التي يفتريها بعض الكذابين، وقد ثبت فرح الصديق رضي الله عنه لعلي وفاطمة عند زواجهما، ومدى قربه من النبي ﷺ ومحبته لكل ما يحبه النبي ﷺ كما ثبت فضله في الإسلام ومكانته عند النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يشكك في ذلك إلا خبيث نفس مفضوح، لذلك لا بد من الحذر من روايات الرافضة المفتراة التي تطعن في خليفة رسول الله، الصديق ﷺ وتحاول تشويه صورته وذمه وتقبيحه -قاتلهم الله- بمحاولة رسم صورة عداء بينه وبين ابنة النبي، صاحبه في الهجرة وصاحبه في مكة والمدينة وقد كان أبو بكر أول من صدق بأبيها من الرجال وأول من نصره وأحب الرجال إليه.

كان الصديق ﷺ الأتقى مع ابنة رسول الله ﷺ لأنه يطبق أمر النبي ولا يتعامل مع أمر النبي بعاطفة كما فعل مع جيش أسامة حيث عارضه جميع الصحابة ومع ذلك كان موقفه الأحق والأصوب فكان ما كان من توفيق الله تعالى له بهزيمة المرتدين وإخضاع الجميع لدين الله تعالى كاملا غير منقوص، وحفظ الأمانة كما أراد الله ورسوله ﷺ. ولذلك كان خليفة

[1] قال البيهقي (رحمه الله): هذا مرسل حسن بإسناد صحيح؛ (السنن الكبرى للبيهقي جـ6 صـ491 حديث 12735).

رسول الله، لصدقه وأمانته وحزمه في الحق وأدائه حق هذه الولاية على أكمل وجه، فهو صاحب مقولته الشهيرة (أينقص الدين و أنا حي!).

وقد صان الله تعالى الأنبياء عن أن يورثوا دنيا، لئلا يكون ذلك شبهةً لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا، وخلفوها لورثتهم.

روى الترمذي في الحديث الصحيح، عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: "إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ و افر".

وجاء في تعليق ابن حجر على تراضي علي مع أبي بكر وبيعته له وفرحة المسلمين بعد ذلك: "قال القرطبي: "مَن تأمل ما داربين أبي بكروعلي من المعاتبة، ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف: عَرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام، والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانًا، لكن الديانة ترد ذلك، والله الموفق". وقد تمسك الر افضة بتأخرعلي عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتت فاطمة، وهذيانهم في ذلك مشهور، وفي هذا الحديث ما يدفع في حجتهم"[1].

وفاة فاطمة رضي الله عنها

[1] فتح الباري" (7 / 495).

كانت فاطمة الوحيدة من أبنائه التي توفت بعده ﷺ وأول أهله لحوقًا به، تماما كما بشرها والدها ﷺ، لقد توفيت فاطمة -ﷺ ليلة الثلاثاء، لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها،[1] وقيل غسلها زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأرجح غسلتها أسماء بنت عميس ﷺ، كما أوصت قبل وفاتها ﷺ.

وقال الذهبي في (السير): "وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة، وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة، والأول أصح".

وودعت فاطمة فلذات كبدها وهم لا يزالون في سن صغيرة، حيث كان عمر الحسن والحسين حين وفاتها ثماني سنوات، وسبع سنوات على التوالي والبنات أصغر سنًا.

وروى الذهبي قصة وفاتها في (السير) عن أم جعفر: أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس: إني أستقبح ما يُصنع بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفها، قالت: يا ابنة رسول الله، ألا أريك شيئًا رأيته بالحبشة؟ فدعت بجر ائد رطبة فحنَتْها، ثم طرحت عليها ثوبًا، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، إذا مت فغسليني أنت وعليّ، ولا يدخلن أحد عليَّ".

وأدت أسماء وصية فاطمة، ﷺ، تماما كما أوصتها، ومنعت أي أحد من الدخول عليها حتى نساء النبي ﷺ، وحين روجعت في ذلك ذكرت الوصية وواجب الوفاء بها، فرضي الجميع، لنتعلم درسًا آخر في وفاء الصحابة

[1] الطبقات الكبرى؛ لابن سعد جـ8 صـ23.

للحق فلا تأخذهم لومة لائم فيه. لقد كان إحقاق الحق أحب إليهم من المجاملات فيه.

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: صلَّى العباس بن عبد المطلب على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ونَزَلَ في حفرتها هو وعلي والفضل بن عباس، ودُفِنَت بالبقيع ليلًا [1]. وتلك وصية أخرى لفاطمة أن تدفن ليلًا، زيادة في الحرص على سترها، فلم تكتف ﷺ، بالنعش بل أرادت ستر الليل أيضا، فأي سبق سبقت به فاطمة النساء بما ضربته من قدوة في الستر والعفة والحياء! واليوم تخرج المرأة وهي حية ترزق بدون ستر وحجاب شرعي، تختلط بالرجال ولا تدري أنها فقدت أهم صفة في المرأة المسلمة، سترها وحياءها! فالله الله في الستر والحياء يا إماء الله.

وروى يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، قال: مكثت فاطمة بعد النبي ﷺ ستة أشهر وهي تذوب.

تذوب وهي المبشرة بالجنة وفي ذلك دلالة على أن فقد النبي ﷺ كان مصيبة كبرى في حياة فاطمة لم تقو عليها حتى فاضت روحها، ﷺ وأرضاها.

[1] الطبقات الكبرى؛ لابن سعد ج.8 ص.24

في الختام

نحن نتحدث عن فاطمة! تلك الابنة البارة التي عاشت كل مراحل الدعوة لله تعالى، منذ بداية البعثة إلى وفاة سيد الخلق أجمعين، لقد شهدت اضطهاد قريش وبطشهم بالمسلمين في مكة، وعايشت معاناة النبي في مكة، وفجعت بوفاة أمها ﷺ، وشهدت الهجرة، والغزوات وهي تنظر لوالدها القائد في كل المشاهد والميادين، فتراه يقيم بنيان الإسلام في الأرض في أصعب الظروف وأمام أقوى التحديات!

فتحت عينيها وهي دون الرابعة من عمرها على والدها وهو خاتم الأنبياء يحمل رسالة ودعوة تعيى بحملها الجبال! وشهدت قصة قيام هذا الدين منذ بدايته إلى أن تحول لقوة ضاربة في الأرض وكيان مستقل واعد يخرج الناس من الظلمات إلى النوروويوصل الرسالة إلى آخر الزمان، فاستمرت أثناء كل ذلك، وهي تقدم أفضل قدوة ومثال عن ابنة خاتم الأنبياء! فلنا أن نتخيل الأجواء المهيبة التي تربت فيها فاطمة مع مدرسة النبوة العظيمة! ولا عجب أن حملت كل تلك الأحزان في قلبها عند وفاته صلى الله عليه وسلم،

ويكفيك من ذلك وصف المؤلفين في باب السيرة لفاطمة: "إن هذه السيدة الجليلة كانت كثيرة الشبه بأبيها رسول الله ﷺ".

وأحب أن أختم بخلاصة جامعة لأبرز صفات فاطمة ﷺ التي يجب أن تقتدي بها بنات المسلمين اليوم:

وأولها: شدة تمسكها بدينها والذي يظهر من خلال حياتها في مكة وهجرتها للمدينة ومساندتها لوالدها النبي ﷺ وزوجها الصاحبي المجاهد ﷺ فكان عنوان هذه المسيرة: إحقاقها للحق ونصرتها له وصبرها على ذلك.

ثانيا: أخلاقها وحياؤها وعفتها، فقد كانت مدرسة بكل ما تعنيه الكلمة وتعجز الكلمات عن وصف حرصها على الستر حتى في لحظات الموت وهي مبشرة بالجنة! فضلا عن رجاحة عقلها وصبرها وزهدها وسرعة استجابتها لأمر الله ورسوله، لقد تربت على إحقاق الحق ونصرة الحق والموت على الحق!

ثالثا: لم تكن فاطمة فقط ابنة بارة بأبيها وبأخواتها، لم تكن فقط عضوا مسؤولا في أسرة حملت تكاليف تبليغ الرسالة للعالمين! بل كانت أيضا زوجة بارة بزوجها، فقد صبرت على فقر علي ﷺ وتحملت أعباء الحياة الشاقة وهي في زهرة عمرها، وقدمت أمثلة رائعة في تعاملاتها مع زوجها ولا أجمل من موقف استئذانه لها في إدخال أبي بكر الصديق في مرضها وحرصها على رضاه في ذلك! كنت تدرك معنى القوامة وهي ابنة النبي! فحفظت حق زوجها فيه حتى وهي على فراش الموت.

رابعا: تميزت فاطمة بقلب رقيق وحس مرهف، فلم تتحمل مصيبة وفاة والدها، لشدة محبتها له، وكان آخر أفراد أسرتها وفاة، فقد فقدت الأم ثم أخوانها وأخواتها تباعًا وأحد أبنائها، تحملت كل ذلك وصبرت لوجود والدها النبي ﷺ ورسالته التي تفديها بنفسها وأغلى ما تملك، وبعد رحيله

ﷺ لم تتمكن من الصمود، فأذن الله تعالى لتلك الروح من بيت النبوة أن ترجع إلى ربها راضية مرضية وتلتحق بالأحبة.

خامسا: فاطمة امرأة ولم تكلف بولاية الرجال وعرفت قدر الرجال في حياتها، فكانت تحفظ قوامة زوجها علي وترجو رضاه، كما كانت على علو شأنها لا تتجاوز ولاية الرجال في الحكم، فهي ولاية أعطاها الله للرجال دون النساء لأنهم الأقدر على الوفاء بها، (وليس الذكر كالأنثى). وقد قدمت فاطمة مثالًا للمرأة المسلمة، وتعاملت في حدود ما حباها الله من فضل ولم تتجاوز ذلك بمنازعة رجل في حقه وأمره، لذلك اكتفت بالصمت حين قضى الصديق أبي بكر ﷺ بحكم النبي ﷺ، وكان الأعلم بأمر النبي في ذلك، والأشد حرصًا على حفظ أمانة النبي وأدائها كاملة غير منقوصة، وقد أثبت ﷺ وأرضاه أنه كان الأكثر كفاءة لقيادة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، ولولا ثباته وصبره وشدة قوته في الحق ومعرفته به ونصرته له وإن خالفه الجميع، لما وصل الإسلام لأجيال من بعده كما نزل على نبي الله محمد ﷺ دون تحريف أو نقص أو تبديل، فحري بالنساء التعلم منها، كيف أن لكل من الرجل والمرأة أدوارهما المخصصة، ولا يعني صلاح المرأة أو خصها بفضل، أن تنازع الرجل في حقوقه ومكانته وفضله الذي خصه الله به تعالى. قال الله تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (النساء: 32) .

قدمت فاطمة سيرة امرأة مؤمنة موحدة، ابنة نبي وقائد ومعلم ومربي، وأختا وزوجة وأما و ابنة زوج، ومهاجرة! عاشت جميع المراحل الحرجة

والانتصارات المبهرة للإسلام في صدره الأول، وحزنت وفرحت بكل تفاصيل الحزن والفرح (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: 140).

لم يكن هدفها ملك الدنيا بل الجنة بجوار من تحب! لذلك هانت هذه الدنيا في عين فاطمة، وحين تهون الدنيا، تعظم الآخرة، ولا تسل عن سبيل المسابقة كيف تمضي فيه المؤمنة بعد ذلك!

أيتها المسلمة أمامك قدوة عظيمة، ابنة نبي ﷺ! فهل يعقل أن تقتدي بنساء جل همهن اللهث خلف الدنيا تنتهي حياتهن بأيدي فارغة أم بهذه المملكة من الجمال والاستقامة على سبيل المؤمنين؟

هل يعقل أن تعيش المسلمة على غير هدي النساء في بيت النبوة! وكيف تطمع في مراتب الجنة العالية!

عليك بتقوية قلبك و إيمانك والاستقامة بأخلاقك وحيائك وعفتك، والزهد في هذه الدنيا، والصبر على الابتلاءات والتزود لها بأحسن الأعمال، عليك بالرضا بما قسمه الله لك والقيام بدورك أمة لله تعالى ترجو رحمته ورضوانه، عليك العمل والمسابقة لأجل مراتب الجنة الخالدة واللقاء مع الأحبة !

هذه هي رسالتي لك من خلال سيرة ابنة خير الأنام، ويبقى الكثير مما يمكن بسطه ولكنني آثرت الاختصار، ومما يمكن أن تستنبطه كل مسلمة بصدقها ومحبتها وسعيها لمرضاة الله تعالى .. وذلك فضل الله يؤتيه من

يشـــاء .. (وَالَّـــذِينَ جَاهَـــدُوا فِينَـــا لَنَهْـــدِيَنَّهُمْ سُـــبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَـــعَ الْمُحْسِـــنِينَ) (العنكبوت: 69).

جمعنـا الله و إيـاكن معهـا في فردوسـه الأعلى وجعلنـا جميعـا خير خلـف لخير سـلف وقـدوة للأجيـال المقبلـة، لـم نـزل نتـوارث العهـد ونعقـد البيعـة، لله ورسوله ﷺ، لا نبدل تبديلا ولو كان في ذلك حتوفنا.

بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخرج الإمام البيهقي عن الزهري قال: "أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد.. فولدت له القاسم، وبه كان يكنى، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة ﷺ".

زينب رضي الله عنها

زينب بنت مُحَمَّد ﷺ هي البنت الكبرى للنبي ﷺ ولأمها خديجة، وقد ولد قبلها أخوها الأكبر القاسم، الذي كان يكنى به رسول الله ﷺ.

تزوجت زينب ﷺ من أبي العاص بن الربيع في حياة أمها خديجة ﷺ، وأسلمت زينب قبل زوجها، وكانت تدعوه للإسلام فلم يستجب لها، ولم يؤثر عنه عداء أو إيذاء للنبي ﷺ أو لزينب رغم كفره. وأرادت قريش من أبي العاص أن يطلق زينب ﷺ ويزوجوه بمن شاء من بنات قريش إيذاء لأبيها ﷺ، ولكنَّ أبا العاص رفض ذلك لحبه الشديد لزينب، فقد ذكر ابن هشام في السيرة النبوية أن مشركي قريش ذهبوا إلى أبي العاص وقالوا له: "فارق صاحبتك (زوجتك زينب) ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله، إني لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش".

وبقيت زينب مع زوجها أبي العاص على هذه الحالة، إذْ لم يكن نزل حينئذ التفريق بين المسلمة وغير المسلم، والذي نزل بعد ذلك عند الحديبية، قال ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (الممتحنة:10) هذه الآية هي التي حرمت المسلَمات على المشركِين، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب ﵂، وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه".

وبقيت زينب مع أبي العاص وهو على شركه، وهو يحسن لها، حتى وقعت معركة بدر، فأسر زوجها مع أسرى قريش، فراحت تبذل ما في وسعها لفكاكه من الأسر، فكان مما أرسلته لتفديه وتفك أسره به: قلادة لها كانت أهدتها لها أمها خديجة ﵂ عند زواجها منه، فعن عائشة ﵂ قالت: "لما بعث أهل مكة في فداء أُسَرائهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خدَيجة أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لها رِقَّةً شديدة وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها!" فقالوا: نعم". رواه الحاكم وأبو داود.

قال الطيبي: "قولها: (رقَّ لها) أي تذكر غربتها ووحدتها، وتذكر ﷺ عهد خديجة وصحبتها، فإن القلادة كانت لها، فلما زوجتها من أبي العاص أدخلت القلادة مع زينب عليه". وقال الهروي: "أي لغربتها (زينب) ووحدتها، وتذكر عهد خديجة وصحبتها فإن القلادة كانت لها وفي عنقها".

و أطلق رسول الله ﷺ سراح أبي العاص من الأسر، وأخذ عليه عهداً حين يرجع إلى مكة أن يسمح لزينب رضى الله عنها بالهجرة إلى المدينة المنورة، فوفى أبو العاص بذلك، قال ابن كثير في البداية والنهاية: "قال ابن إسحاق: وقد كان رسول ﷺ قد أخذ عليه أن يُخْلي سبيل زينب، يَعْني أَنْ تُهاجر إلى المدينة، فَوفى أبو العاص بذلك". فكان ﷺ يثني عليه فيقول: "أَنْكَحْتُ (زوَّجْتُ) أبا العاص بن الربيع فَحَدَّثَنِي وصَدَقَنِي" رواه البخاري. وفي رواية أخرى: "ووَعَدَنِي فَأَوْفَى لي".

قال ابن الأثير: "هذا المشار إليه بالوعد والوفاء: هو أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، كان أُسر في غزوة بدر، فأرسلت زينب فداءه من مكة، وهي قلادة أمها خديجة ﷺ، فرقّ لها رسول ﷺ رقة شديدة، واستطلق أسيرها من المسلمين، وشرط رسول الله ﷺ على أبي العاص أن ينفذ زينب إليه إذا وصل إلى مكة، ففعل".

قال ابن كثير رحمه الله[1]: " قال ابن إسحاق: ولما رجع أبو العاص إلى مكة، وقد خلى سبيله – يعني: كما تقدم – بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه فقال: "كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصاحباها فتأتياني بها".

فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر – أو شيعه – فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز.

---

[1] البداية والنهاية، ج3، قدوم زينب بنت الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة

قال ابن إسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: حدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت: يا ابنة مُحَمَّد ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟

قالت: فقلت: ما أردت ذلك.

فقالت: أي ابنة عم لا تفعلي، إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تضطبني مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال.

قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل.

قالت: ولكني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك.

قال ابن إسحاق: فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهارا يقود بها وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته.

ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهما فتكركر الناس عنه.

وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال: يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكفَّ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من مُحَمَّد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك ضعف منا ووهن ولعمري ما لنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من نؤرة.

ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا وألحقها بأبيها، قال: ففعل.

وقد ذكر ابن إسحاق: أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك:

أفي السلم أعيارا جفاء وغلظةً * وفي الحرب أشباه النساء العوارك

وقد قيل: إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا.

قال ابن إسحاق: فأقامت ليال حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها ليلا على رسول الله ﷺ.

وقد روى البيهقي في (الدلائل): من طريق عمر بن عبد الله بن عروة ابن الزبير، عن عروة، عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما في بطنها وإن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجيء معه

فتلطف زيد فأعطاه راعيا من مكة فأعطى الخاتم لزينب فلما رأته عرفته فقالت: من دفع إليك هذا؟

قال: رجل في ظاهر مكة، فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة".

"قال ابن إسحاق: وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدوسي، عن أبي هريرة.

قال: بعث النبي ﷺ سرية أنا فيها فقال: "إن ظفرتم بهبار بن الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار".

فلما كان الغد بعث إلينا فقال: "إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما".

تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط (السنن) ولم يخرجوه".

"وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا ما معه وأعجزهم هربا وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته.

فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص ابن الربيع، فلما سلَّم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال: "أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت".

قالوا: نعم!

قال: "أما والذي نفس مُحَمَّد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه بجير على المسلمين أدناهم".

ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: "أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له".

وبعث النبي ﷺ إلى السرية الذين أخذوا ماله، فقال لهم: إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالًا، فإن تحسنوا وتردوه، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فَيء الله، فأنتم أحق به، قالوا: بل نرده، فردوه كله، ثم ذهب به إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: يا معشر قريش: هل بقي لأحد منكم عندي شيء، قالوا: لا فجزاك الله خيراً، قال: فإني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا خوف أن تظنوا أني أردت أكل أموالكم، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فرد عليه النبي ﷺ زينب رضي الله عنها، فعاشت معه بقية حياتها.

قال الذهبي:"خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام بماله، وبمال كثيرٍ لقريش، فلما رجع لقيته سرية (أميرها زيد بن حارثة وذلك في جمادى الأول سنة ست من

الهجرة) فأصابوا ما معه، وأعجزهم هاربا، فقدموا بما أصابوا، وأقبل أبو العاص في الليل حتى دخل على زينب، فاستجار بها فأجارته، وجاء في طلب ماله. فلما خرج ﷺ إلى الصبح وكبَّر وكبَّر الناس معه، صرخت زينب من صفة النساء (مكان مظلل في المسجد للنساء): أيها الناس إني قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع. وبعث النبي ﷺ إلى السرية الذين أصابوا ماله فقال: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإنَّا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به.

قالوا: بل نرده، فردوه كله، ثم ذهب (أبو العاص) إلى مكة، فأدَّى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيًّا كريما، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أكل أموالكم. ثم قدم على رسول الله ﷺ".

ولما أسلم أبو العاص بن الربيع ذهب إلى المدينة المنورة، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين زينب ﵂، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة النبوية.

وقال ابن حجر:"اتفق أهل العلم بالنسب أن زينب لم تلدْ لأبي العاص إلا عليًا وأُمامة فقط.. فأما علي فقد مات عندما ناهز الاحتلام.. ومات في حياته ﷺ". وأما أمامة ﵂ فكانت وفاتها في عهد معاوية بن أبي سفيان ﵁. وأمامة هي التي كان النبي ﷺ يحملها أثناء الصلاة وهي طفلة صغيرة، عن أبي قتادة ﵁: "أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول

الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها" رواه البخاري. وكان رسول الله ﷺ يحب أمامة ابنة ابنته زينب حبًّا شديدًا، ويحنو عليها ويهتم بها ويكرمها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أُهْدِيَ لرسول الله ﷺ قلادة من جزع (خرز) ملمعة بالذهب، ونساؤه مجتمعات في بيت كُلهن، وأُمامة بنت أبي العاص بن الربيع جارية (صغيرة) تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ﷺ: كيف ترين هذه؟ فنظرن إليها فقلن: يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب! فقال: ارددنها إليَّ، فلما أخذها قال:: والله لأضعنّها في رقبة أحب أهل البيت إلي، قالت عائشة: فأظلمت علي الأرض بيني وبينه خشية أن يضعها في رقبة غيري منهن، ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذي أصابني، ووجمّنا جميعا، فأقبل حتى وضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص، فسرِي عنّا"، رواه الطبراني.

وفي الصحيحين من حديث أبي قتادة قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ.

وتُوفّيت زينب –رضي الله عنها– في العام الثامن من الهجرة، وخرج النبي في جنازتها وأنزلها القبر، وثبت عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أنه قال: "تُوفِّيَتْ زينبُ بنتُ النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، فخرجَ بجنازتها وخرجْنا معَهُ، فرأيناهُ كئيبًا حزينًا، ثمَّ دخلَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم قبرها فخرجَ ملتمعَ اللَّونِ، فسألناهُ عن ذلكَ فقالَ: إنَّها كانت امرأةٌ مِسقامًا فذَكَرتُ شدَّةَ المَوت وضغطةَ القبرِ، فدعَوتُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ فخفِّفَ عنها" (حسن غريب).

وأما وفاة أبي العاص فقد تأخّرت عن وفاتها ﵂، قال الذهبي:"زينب كانت ﵂ أكبر بنات رسول الله ﷺ، وتُوُفِّيَتْ سنة ثمان من الهجرة"، وقال: "ومات أبو العاص في شهر ذي الحجَّة، سنة اثْنَتَيْ عَشْرة في خلافة الصِّدّيق".

فارقت زينب ﵂ الدنيا بعد أن ضربت مثلًا عاليا في صدق الإيمان ووفاء الزوجة، وبكاها زوجها المحب، أبو العاص ﵁، بكاء حارًّا، وحزن عليها والدها النبي ﷺ حزنًا شديدًا، وأعطى النساء اللاتي يُغَسِّلنها قبل دفنها إزاره الذي يشد على الخصر، وأمرهن أن يجعلوه يلاصق جسَدها الطاهر مباشرة، فعن أم عطية ﵂ قالت: "لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال لنا رسول الله ﷺ: "اغسلنها وترا ــ ثلاثًا أو خمسا–، واجعلن في الخامسة كافورا، أو شيئًا من كافور، فإذا غسَّلتُنَّها فأعْلمنى، قالت: فأعلمناه، فأعطانا حقْوَه (إزاره) وقال: أشعرْنها (أَلْففْنها) إياه"، رواه مَسلم.

فإن كان هناك من مثل يضرب بزينب ﵂، فهو وفاؤها الآسر، وأدبها الجم وصبرها العجيب!

ولا شك أن سيرتها كانت سببا في إسلام زوجها، وهنا قصة خلدها التاريخ لمحبة ومودة ورحمة بين زوجين، خير من كل تلك الروايات الساقطة التي تتداولها القنوات بما تحمله من فسق وفجور وتعدي لحدود الله تعالى.

لقد افترقت زينب عن زوج محب لها محسن ووفي، وهي كذلك كانت محبة له ومحسنة ووفية، كل ذلك لأجل الإسلام وطاعة لله ورسوله ﷺ، وخاطرت

بخروجها الذي أصيبت فيه، وبقيت صابرة مصابرة في المدينة تنتظر الفرج، وكأنها كانت تدرك أن زوجها يحمل من الخير ما يأتي به للإسلام!

وقد صدق حدسها، فقد أسلم زوجها وعاد إليها بمشاعر أقوى وأحب، بعد امتحان مزلزل، تجاوزاه بنجاح وكان لها الفضل عليه.

ولا بد أن يستوقفك ذلك الموقف المهيب من مروءة زينب التي آجرت أبا العاص، ويأسرك أكثر تقدير النبي صلى الله عليه وسم لمروءتها ومن بعده المسلمون!

هذه المشاهد في مجتمع المدينة، كانت قبل 14 قرنا، لقد سبق المسلمون في ضرب المثال الأروع لتقدير الحقوق وحفظها.

فكيف كان حال المرأة في ذلك الزمان في بلاد الروم وفارس! لقد كانت في ظلام عظيم!

وإن كان من خلاصة تلخص قصة زينب ﵂، فهي تلك الاستجابة السريعة لأمر الله تعالى، وذلك الالتزام الجميل بهدي الإسلام، حتى ولو كان على حساب ألم النفس وفراق الحبيب وعند الله تعالى لا يضيع حق، ولا يبخس صدق ووفاء!

رقية بنت محمد رضي الله عنها

ولدت رقية –ﷺ– بعد أختها زينب –ﷺ– ، وقد أسلمت مع إسلام أمها وأخواتها، وكانت قبل البعثة تحت عتبة بن أبي لهب، ولكنّه طلقها قبل أن يدخل بها لإسلامها ولحاقها بأبيها، فتزوجت من عثمان بن عفان ﷺ في مكة، ثم خرجوا إلى الحبشة مهاجرين، وولدت له هناك عبد الله، وتُوفّي صغيراً بعمر صغير لم يتجاوز السابعة. ولا شك أن الهجرة في الحبشة حملت الكثير من المعاني والمشاعر والمواقف المؤثرة، وإن لم يكتب في ذلك الكثير، إلا أن خروج ابنة رسول الله ﷺ رفقة زوجها، لأرض بعيدة في وحشة وغربة، يتعاونان على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر، لهو من القصص الماجدة التي يخلدها التاريخ في صفحات العز والثبات.

ثم هاجروا من الحبشة إلى المدينة، ومرضت رقية هناك مرض موتها، وبقي عثمان عندها يمرضها، وتخلّف عن غزوة بدر لذلك، وتُوفّيت –ﷺ–، وكان عمرها اثنين وعشرين سنة، ودُفنت في البقيع، وكانت تكنّى بعدّة أسماء منها: أم عبد الله، وذات الهجرتين، ويا لجمال الكنى!

أم كلثوم بنت محمد رضي الله عنها

أسلمت أم كلثوم –رضي الله عنها– مع أمها وأخواتها، وكانت تحت عتيبة بن أبي لهب قبل البعثة، وطلّقها قبل الدخول بها، وهاجرت إلى المدينة مع أبيها وأخواتها، وبعد وفاة أختها رقية تزوجها عثمان بن عفان في السنة الثالثة من الهجرة، وتُوفّيت في السنة التاسعة من الهجرة من شهر شعبان، وقد أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– النساء بتغسيلها.

قالت أم عطية –رضي الله عنها–: "تُوفِّيَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَخَرَجَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقَالَ: اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ من ذلكَ، إِنْ رَأَيْتُنَّ بِمَاءٍ وسِدْرٍ، واجْعَلْنَ في الآخِرَةِ كَافُورًا –أَوْ شيئًا من كَافُورٍ– فَإِذَا فَرَغْتُنَّ، فَآذِنَّنِي قَالَتْ: فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَلْقَى إِلَيْنَا حِقْوَهُ، فَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ".

وأنزلها في قبرها علي والفضْل وأسامة، وكان النبي جالس على قبرها.

وفي حديث الطبراني عن الزبير بن بكار قال: ولما توفيت رقية عند عثمان زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم، فتوفيت عنده، ولم تلد له شيئا، وقال له النبي ﷺ: "لو كان لي عشر لزوجتكهن".[1]

وإن كان من عبرة من قصة رقية وأم كلثوم، فهي علاقة الأب النبي –صلى الله عليه وسلم– ببناته، إحسانا وتربية ومحبة وتوجيها، ثم حرصه ﷺ على تزويجهن

[1] رواه الطبراني منقطع الإسناد .

من التقي الصالح، ثم بر بناته به ﷺ وحسن استجابتهن لأمر الله ورسوله ﷺ ثم برهن بالزوج، فيالها من مدرسة!.

النساء في القرآن

خصّ الله ﷻ النساء بسورة كاملة من السور الطوال تحمل اسمهن، ويرجع ذلك لما اختصت به من ذكر أحكام النساء فيها.

قال الزركشي:"لا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر، أو مستغرب يكون في الشيء من خلق، أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم، أو أكثر، أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم؛ لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء.اهـ. من البرهان في علوم القرآن.

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة قالت:"ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء إلا و أنا عنده".

وروي «صحيح البخاري» عن ابن مسعود من قوله: "لنزلت سورة النساء القصرى" يعني سورة الطلاق- حيث تشاركت سورة الطلاق في التسمية بسورة النساء، وللتمييز بينهما سميت سورة النساء باسم سورة النساء الطولى.

وجاء في التحرير والتنوير:"ووجه تسميتها بإضافة إلى النساء، أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم، ثم بأحكام تخص النساء، وأن فيها أحكاما كثيرة من أحكام النساء: الأزواج، والبنات، وختمت بأحكام تخص النساء".

وعن مَعْدَانَ بن أبي طَلحةَ اليَعمُريّ، قال: إنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضِي اللهُ عنه خطَب يومَ جمعةٍ، فذكَر نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وذكَر أبا بكرٍ، ثم قال: إنِّي لا أَدعُ بعدي شيئًا أهمَّ من الكَلالةِ، ما راجعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في شيءٍ ما راجعتُه في الكَلالةِ، وما أَغلظَ لي في شيءٍ ما أغلظَ لي فيهِ! حتى طعَنَ بإِصبَعِه في صَدْري، وقال: يا عُمرُ، ألَا تكفيك آيةُ الصَّيفِ التي في آخرِ سورةِ النساءِ؟! وإني إنْ أعِشْ أقضِ فيها بقضيةٍ، يَقضي بها مَن يقرأُ القرآنَ ومَن لا يقرأُ القرآنَ.[1]

ويكفي من اسم سورة النساء دليلا، لتكريم الإسلام للمرأة فخصص لها سورة من القرآن، تحمل اسم سورة النساء بينما لم يخصص للرجال سورة لهم!

[1] رواه مسلم

فضائلُ سُّورة النساء وخَصائصُها:

1. عن عبدِ الله بن مَسعودٍ رضِي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- وهو على المنبر-: "اقرأْ عليَّ القرآنَ، فقلت: يا رسولَ الله، أقرأُ عليك وعليك أُنْزِل؟! قال: إنِّي أَشتهي أن أسمعَه من غيري، قال: فقرأتُ عليه سورةَ النِّساء حتى بلغتُ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ،(النساء: 41- 42) ، رفعتُ رأسي، أو غمزني رجلٌ إلى جنبي- وفي رواية: بيده- فرفعتُ رأسي، فنظرْتُ إليه فرأيتُ عينيهِ تسيلُ"[1]
2. عن عائشةَ رضِي اللهُ عنها، عن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: "مَن أخَذ السَّبْعَ الأُولَ من القرآن، فهو حَبرٌ"[2]
2- عن واثلةَ بن الأسقعِ رضِي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أُعطِيت مكانَ التوراة السَّبْعَ الطِّوالَ... الحديث"[3].
3- عن عبدِ اللهِ بن مَسعودٍ رضِي اللهُ عنه، قال: إنَّ في النِّساء لخمسَ آياتٍ، ما يسرُّني بهنَّ الدُّنيا وما فيها، وقد علِمتُ أنَّ العلماء إذا مرُّوا بها يعرفونها: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ

---

[1] رواه البخاري (5055)، ومسلم (800) واللفظ له.

[2] رواه أحمد (82/6) (24575)، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) للهيثمي (165/7)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (407/3) (1377)، وابن الضريس في ((فضائل القرآن)) (72)،

[3] -1رواه أحمد (107/4) (17023)، والطبراني (75/22) (186)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (487/2) (2484)

نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ،(النساء: 31) ، وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا، (النساء: 40) ، وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ،(النساء: 48) ، وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ،(النساء: 64) ، وقوله: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ،(النساء: 110)[1].

4- عن حُذيفةَ بن اليمانِ، قال: "صلَّيتُ مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذاتَ ليلةٍ، فافتتَحَ البقرةَ، فقلتُ: يركع عند المئةِ، ثم مضى، فقلتُ: يصلي بها في ركعةٍ، فمضى، فقلتُ: يركع بها، ثم افتتح النساءَ فقرأها، ثم افتتح آلَ عمرانَ فقرأها، يقرأ مُترسِّلًا".[2]

---

[1] رواه سعيد بن منصور في (سننه) (1297/4)، والطبراني (250/9) (9069)، والحاكم (3194). قال الهيثميُّ في ((مجمع الزوائد)) (14/7): رجاله رجال الصحيح

[2] رواه مسلم (772).

موضوعاتُ سورة النساء:

أبرزُ الموضوعاتِ التي تناولتْها سورةُ النساء:

1. تناولتْ سورةُ النساء الحديثَ عن المرأة، ففصَّلت الكثيرَ من أحكامها، وأوضحتْ كثيرًا من حقوقِها، وأطالتِ السورةُ الكلامَ في هذا الجانب.

2. نظَّمت السورةُ الكثيرَ من العَلاقات القائمةِ بين الرجُل والمرأة؛ ومنها:

موضوع القِوامة، و إباحة النِّكاح والتعدُّد فيه للرجل، وحق المرأة في الكرامة الإنسانية والمهر والميراث، وحُرمة عَضْل النساء، وأحكام الرَّضَاع،كما حثَّتْ على الفضيلة، وزجرت عن إتيان الفاحشة، وتطرَّقت أيضًا إلى العَلاقة مع مِلْك اليمينِ، إلى غير ذلك.

3. تحدَّثت عن حقوق الأيتام والسُّفهاء، وكيف التعامُل مع أموالِهم.

4. فيما يتعلَّق بالأموالِ، تناولت السورة موضوعَ تحريمِ أكْل أموالِ النَّاسِ بالباطل، والتحذير مِن فِعل ذلك، والحثَّ على الإنفاق في سبيل الله، وتوعُّد الذين يبخلون ويأمرون الناسَ بالبُخل.

5. تطرَّقت السورةُ إلى بيان الكثير من الأحكام الفقهيَّةِ مع بيان يُسْرِ الشَّريعةِ، وإرادة الله التخفيفَ عن عباده، ومراعاة ضَعْفهم، ومن هذه الأحكام: أحكامُ المواريث، وحُرمة صلاة السَّكران في حالة سُكرِه، ووجوب الاغتسال من الجَنابة لمن أراد الصَّلاة، ومشروعية التيمُّم وأحكامه، كما أَوضحتِ السورةُ بعضًا من أحكام الجناياتِ، والدِّيَات، مع بيان عِظَم دماء المؤمِن، وجزاء مَن يقتل مؤمنًا متعمِّدًا، وغير ذلك من الأحكام الفقهيَّة.

6. تحدَّثت السورةُ عن أهلِ الكتابِ، وبيَّنت بعضَ ما هُمْ عليه من الضَّلال، وما حلَّ عليهم من الغضب واللَّعن، وذَكَرت بعضَ تعنُّتِهم، ونَقْضهم للعهود، وكُفْرهم بالآيات، ومعاملتهم السيِّئة لأنبياء الله، التي وصلت إلى قتْل بعضِهم. ثم تناولَتْ دعوتَهم إلى الدِّين الحقِّ، ونهيَهم عن الغلوِّ في الدِّين، ومن ذلك غلوُّهم في المسيح عيسى ابن مريمَ، وقولهم بالتثليث.

7. تَطرَّقتْ إلى قضيةِ الحُكم في الإسلام، وإلى ما يَنبغي أنْ يقومَ عليه الحُكمُ في الدَّولة الإسلاميَّة، وهو العدلُ، ووجوبُ الطاعةِ لله والرسولِ وأُولي الأمر، وأنْ يكون المرجعُ في التنازع هو شَرْعَ الله، حتى جعلَتِ الإيمانَ مربوطًا بتحكيمِ الشَّرع، والرِّضا والتسليم له.

8. الحديثُ عن المنافقين، وفضْحُهم، وبيانُ الكثير من أعمالهم، وتصرُّفاتهم، ودَسائسهم، وعقوبتهم، ومكانهم في الآخرة، وأنَّهم في الدَّرْك الأسفل من النار.

9. ومِن المواضيع التي تحدَّثت عنها السورةُ: الأمْرُ بالقتال في سبيل الله، ولإعلاء كلمته، ولنُصرة المستضعَفين من المؤمنينَ، موضِّحةً الأجرَ العظيمَ لِمَن يُقاتِل في سبيل الله، والفضل الجزيل للمجاهدين على القاعدين، ومبيِّنةً بعضَ الأحكام التي يحتاج لها المقاتلُ في سبيل الله؛ كالتعامُل مَع مَن يُلقِي السلام، وأحكام صلاة الخوف، والقَصْر للصَّلاة.

10. حضَّت السورةُ على عمَل الخير، والتخلُّقِ بالأخلاق الفاضلة؛ ومنها: العدل، وأداء الشَّهادة لله كما هي، ولو كانت على النَّفْسِ، أو الوالدينِ أو الأقربين، وألَّا يتَّبِعوا أهواءَهم فيَقعوا في الظُّلم، ومنها: أداءُ الأمانات، والحثُّ على الإحسانِ للخَلْق، ومراعاة الأقرَبينَ من الوالدينِ والأقاربِ والجيرانِ، وكذلك مراعاةُ المحتاجين من الفُقَراء والمساكينِ والضعفاءِ، والإحسانِ إليهم.

11. بيانُ العداوة الأزليَّة بين الشيطانِ وبينَ بني آدمَ، وكيف أنَّ الشيطانَ توعَّد بإضلالِ جزءٍ من العِبادِ.

12.الحثُّ على الإيمانِ باللهِ ورُسله وكُتُبِه واليومِ الآخِر، وتوحيد العبادة، وبيانُ خطورةِ الشِّركِ، والنَّهْي عن اتِّخاذِ الكافرينَ أولياءَ من دون المؤمنينَ، والأمرُ بتقوى اللهِ عزَّوجلَّ، والاعتصام به، والتمسُّك بدِينه.

13-ذَكَرتِ السورةُ طَرَفًا من خبرِ أنبياء الله تعالى.[1]

[1] الدرر السنية، موسوعة التفسير، تفسير سورة النساء.

أحكام المرأة في القرآن

القرآن الكريم شامل لأحكام الدين؛ إما تفصيلًا وإما تأصيلًا. قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: 89)، وقال سبحانه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء: 26).

لقد علمنا الله ﷻ أمر ديننا ومصالح أمرنا، وما يحل لنا وما يحرم علينا، لنعبد الله تعالى كما يحب ويرضى.

وتنوعت الأحكام الواردة في القرآن الكريم فشملت جوانب الحياة الإنسانية جميعها، فكان منها:

- الأحكام الاعتقادية، التي تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهي تشمل الإيمان والتوحيد وأصول الدين.
- الأحكام الخلقية: وهي تشمل ما يجب المكلف أن يتحلى به من الفضائل والمكارم وما يتخلى عنه من الرذائل. وهي منظومة الأخلاق في الإسلام.
- الأحكام العملية (الفقهية): تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال و أفعال وعقود وتصرفات. ويشمل أحكام العبادات من صلاة وصوم وحج ونذر ونحوها من العبادات التي يقصد بها تنظيم علاقة

الإنسان بربه.وكذلك أحكام المعاملات من عقود وتصرفات وغيرها مما يقصد بها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض، سواء أكانوا أفرادًا أم أزواجا أم أسرا أو جماعات أو أمما.

وجميع هذه الأحكام مترابطة، فالمسائل الاعتقادية لابد أن ينبني عليها عمل وسلوك، وهذا السلوك هو الأخلاق بمعناها الشامل، كما أن المسائل العملية الفقهية، لابد أن تصدرعن اعتقاد، ونيّة.

والمرأة معنية بكل أحكام التكليف في القرآن إلا ما خصّ الله به تعالى الرجال دون النساء وهي معنية أيضا بتلك التي تشملها.

بعض من فقه النساء من خلال الآيات

سنعرض بعض الأحكام من فقه النساء في القرآن العظيم، لتبيان أهمية دراسة كتاب الله وتعالى والإحاطة بهذا العلم الواجب.

قال الله ﷻ يحذرنا من خطر السحر والسحرة، والفتنة التي ابتلي بها الناس بأن نزل عليهم ببابل، ملكين: هاروت وماروت، فيعلمون الناس السحر، ولكن يقولون: إن هذا فتنة، إن هذا كفر، وهذا من الابتلاء الذي شاءه الله ليبلو الناس في ذلك المكان، وذلك الزمان أيهم أحسن عملًا، فجعل هؤلاء الناس يتعلمون من الملكين، هذا السحر في النفث في العقد، ويستخدمونه في التفريق بين المرء وزوجه، فقال الله تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ (البقرة: 102)، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ (البقرة: 102).

ففشل الكثير من الناس في هذا الامتحان، وكان أبرز شر فيه محاولة الفصل بين المرأة وزوجها، والفتنة بينهما في التفريق، وأخطر ضحايا السحر النساء، فإما أنها ضحية مكر ومكيدة وإما أنها بنفسها المجرمة المكيدة.

والمؤمنة الموحدة لا تخوض في الشرك والسحر، وكثيرًا ما تكون هي الضحية لسحر عقد لها لذلك، فلتأخذ حذرها بالتحصن بالأذكار في الصباح والمساء وأذكار ما بعد كل صلاة و أيضا قبل النوم وعند

الاستيقاظ. وأن تبتعد عن الحرام وكل منافذ الشروعلاقات الهدم، وكل ما فيه تهديد لأمان علاقتها الزوجية.

ولا يجوز للمسلمة أن تذهب للساحر لا لأجل أن يسحر لها ولا لأجل أن يفك لها السحر، فكلاهما منكر عظيم في الإسلام، وشرك كبير. ولا يبرره البحث عن إحداث المودة للزوج أو استجلاب محبته فهذه مصيبة وكارثة.

وكل من جاءت عرافًا أو كاهنًا، مجرد الإتيان بدون فعل أي شيء، لا تقبل صلاتها أربعين يوما، كما في الحديث الذي رواه مسلم.

فإذا صدقته كفرت بما أنزل على محمد كما في الحديث الذي رواه أحمد في صحيح الترغيب والترهيب.

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ. رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة: من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ. ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا.

وللأسف انتشر السحر في مجتمعات المسلمين وأصبح كابوسا مفزعا لكثير من الأسر وقتل الروح فيه لا يزال يجرم.

ولكن بفضل الله فإن كيد الساحرهين ضعيف، لمن تمسكت بتوحيدها وعباداتها وأذكارها وإعظامها التوكل على ربها. قال تعالى ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: 69).

ولتقطع المسلمة علاقتها بكل امرأة تستهين بمثل هذه الشركيات والفساد في الأرض، ولا تعطيها شيئًا من ملابسها أو أغراضها، أو أغراض زوجها، وهذا الإغلاظ والقطع تتقرب به لله تعالى وتثبت به في سبيل المؤمنين.

قال الله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَ أَنتُمْ لِبَاسٌ﴾ (البقرة: 187) وقال تعالى ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة: 187)،

وهنا حق من حقوق الزوجية، تتعلمه الزوجة المسلمة. وتتعلم الكثير من الأدب من آيات البقرة، فقد حدد الله وقت الصيام وحرم تعدي حدوده. فلا يليق بالمؤمن أن تكون سبب ضعف زوجها باستثارته والتهاون في تعظيم حق الله تعالى وحدوده في رمضان.

ولتعطي نفسها حقها كاملا في أوقات الجواز، والحلال موجب للبركة والثبات.

وقال عزوجل ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (البقرة: 223)، فللزوج الحق في زوجته إلا فيما حرّم الله تعالى كالوطء بالدبر أو وقت الحيض والنفاس والمرأة لم تتطهر بعد، فهو محرم لا يجوز.

والمسلمة تمنع زوجها من معصية ربه وتجاوز حدوده مهما كلفها الأمر وإن اضطرت للخلع والطلاق، محتسبة عند ربها، قال الرسول ﷺ: "لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلًا أو امرأة في الدبر"[1].

وفي الحديث الصحيح "ملعون من أتى امرأته في دبرها".[2]

وكما أن المرأة يجب عليها منع زوجها من الحرام عليها أيضا أن لا تمنعه من الحلال وهذا أمر قد أسيء له كثيرًا مع دعوات النسويات حتى خرجوا علينا بمصطلح ما أنزل الله به من سلطان سموه "الاغتصاب الزوجي" وهو من تحرير الشيطان!

فلا يمكن أن تكون العلاقة الزوجية اغتصابًا، و إنما لها حقوقها وواجباتها، والمرأة التي تمنع زوجها الحلال ستخسر زوجها عاجلا أم آجلا! و أقول للمسلمة عيشي حلالك كاملا، وترفعي عن الحرام تفلحي ولا تتحايلي!

قال تعالى ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾(البقرة: 221)، ﴿وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾ (البقرة: 221).

المسلمة لا يجوز لها أن تتزوج بكافر أو مشرك، لذلك اتق الله في نفسك يا مسلمة ولا تستهيني بهذا الأمر، فكل زواج من غير مسلم باطل ولا يجوز.

---

[1] رواه الترمذي: 1165، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح: 3195.

[2] رواه أبو داود: 2162، وأحمد: 9733، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: 1878.

ولقد رأينا بعض التهاون في هذا الأمر من نساء تربين في الغرب أو تأثرن بدعاوى "الإنسانوية" فتتزوج كافرا وتهلك نفسها من حيث لا تدري!

والشرك ظلم عظيم.

يقول الشيخ محمد صالح المنجد:"وقوله: وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ (البقرة: 221) هذا فيه إشارة إلى عزة الإسلام في المرأة المسلمة، وأن الله يقول للمؤمنين: لو كان عندكم أمة ليست حرة، أمة لكن مؤمنة فإنها خير من الحرة المشركة، ولو أعجبتكم الحرة المشركة.

فإذًا، ليست المسألة الحرية وعدم الحرية، وأن هذه أمة وهذه حرة، وإنما الميزان الأصلي ميزان الدين، ولذلك كم في هذا الحكم من الإعزاز للمرأة المسلمة، وإشعارها بالعزة، أنها تشعر أنها لو كانت أمة مؤمنة من العبيد والموالي فإنها خير و أفضل من الحرة المشركة، ولذلك الله يقول للرجال المسلمين: وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ (البقرة: 221)، من حرة مشركة، ولو أعجبتكم الحرة المشركة، لو كانت الحرة المشركة أجمل، لو كانت أطول، لو كانت أغنى، لو كانت أكثر حسبًا، وأكثر جاهًا، وأكثر مالًا، فلا تغرنكم؛ لأن القضية والأساس هي العقيدة.

ثم يقول الله: وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ (البقرة: 221) المرأة المسلمة عزيزة، والمرأة المسلمة لها مكانه كبيرة، ولذلك لا يجوز التفريط بها وتزويجها إلى رجل كافر أبدًا، لا يهودي ولا نصراني ولا مرتد، ولا كافر أصلي، ولا غيره، لا من أهل الكتاب، ولا من غير أهل الكتاب، لا يجوز تزويج المرأة المسلمة؛ لأنها عزيزة بالإسلام، لأن عزة الإسلام في نفسها تمنع

من تسليمها لبراثن هذا الكافر، وهذا المشرك، ولو أعجبكم الكافر والمشرك، ولو كان غنيًا، ولو كان ملكًا، ولو كان وجيهًا، ولو كان حرًا، ولو كان ما كان مما عليه من الحسب والنسب فإنكم لا تسلموا بناتكم المسلمات، ولا تسلموا أخواتكم المسلمات إلى هؤلاء الكفار: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (الممتحنة: 10).

ولذلك فإن كثيرًا من الأمهات والآباء يحصل عندهم اغترار بالشاب المتقدم، فإذا وجدوه غنيًا، ومن عائلة، وربما يكون صاحب عضلات وجسد، وطول وعرض، فإنهم يسلمون ابنتهم إليه، ويقولون: زوجناك أنت، ما نفرط فيك، أهلًا وسهلًا، فيضعون ابنتهم المسلمة العزيزة مع هذا الرجل الكافر المرتد عن الدين.

ولا ينظرون إلى دينه ولا إلى صلاته، وإنما يقولون: موظف، راتبه كبير، سألنا عنه أخلاقه حسنة، ما في مانع نزوجه، كيف ما في مانع تزوجوه والرجل عنده أكبر مانع وهو الشرك، والكفر الذي هو مقيم عليه؟ ومن أعظم أنواع الكفر: الردة، ومن مظاهرة الردة: ترك الصلاة بالكلية.

ولذلك إن الرجل أو المرأة التي تزوج ابنتها لتارك الصلاة، ظالمة ظالمة ظالمة؛ لأنها قد أسلمت ابنتها، سلمت وخلت بينها وبين هذا الرجل الكافر المستهزئ بالدين، أو التارك للصلاة، الخارج عن الإسلام بأي وجه من وجوه الردة.

وينبغي أن يكون موقف البنت المسلمة شديدًا حاسمًا، فتقول: لا أريده، لا أريده، لا أريده، سأهرب منه لو أجبرتموني، وسأشكي الأمر إلى القاضي،

وسأقول لأقربائي و أتوسط به، و أتوسل بهم كي يحولوا بيني وبين هذا الزواج، فإن البنت تكون مغلوبة في كثير من الأحيان على أمرها، فلا تستطيع أن تفعل شيئًا تحت ضغط الأب وضغط الأم في تزويجها من هذا الكافر، ولو كان اسمه: عبد الله، وعبد الرحمن، أو محمد، وأحمد، وما شابه ذلك من الأسماء الإسلامية، فإن العبرة ليست بالاسم، و إنما العبرة هل الرجل مسلم؟ يعمل الواجبات الشرعية، وينتهي عن المحرمات؟ زوجناها، وإلا بحثنا لبنتنا عمن هو أفضل منه، و انتظرنا من يأتي ممن هو خير منه، ولو جلست ابنتنا بغير زواج طيلة حياتها هو أحب و أفضل من أن تزوج لهذا الرجل الكافر".[1]

وقال الله عزوجل ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 228).

يعلم القرآن المسلمة فقه الطلاق، والذي هو حل لكثير من الحالات التي يتعسر فيها الاستمرار في حياة زوجية سوية، ويبين لها أن عدتها ثلاثة قروء تمضي من حين الطلاق، فتدخل المطلقة في العدة بعد الطلاق مباشرة.

ومن العلماء يفسرها بثلاث حيض، ومن العلماء من يفسرها بثلاثة أطهار.

[1] من مقال فقه النساء في القرآن.

لكن الأرجح والمشهور أنها ثلاث حيضات.

وهذا يخص المطلقة التي تحيض.

أما المطلقة التي لا تحيض مثل الصغيرة أو اليائس الكبيرة التي انقطع عنها الحيض فإنها تعتد بثلاثة أشهر؛ كما قال الله تعالى ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ (الطلاق: 4).

أما المرأة الحامل، فقال عنها تعالى ﴿ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: 4)، وهكذا تنتهي عدة الحامل بوضعها لحملها، ولو كان بعد الطلاق بيوم واحد.

وهناك حالة رابعة هي حالة المرأة المطلقة التي لم يدخل بها زوجها بعد، فليس لديها عدة، لأن زوجها لم يدخل بها.

قال تعالى ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ (الأحزاب: 49)،

وقال الله تعالى ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: 228).

فلا يحق ولا يجوز للمرأة كتمان حملها لأن الحمل ليس حقا حصريا لها بل لأبيه الحق فيه والإسلام يشدد على الأمانة والعدل.

ويترتب على ذلك حقوق وواجبات لا يجب الاستهانة بها وتضييعها من نفقه وتربية ومساءلة.

وحيل النساء في باب الطلاق لا تخفى كمن تعجل الحيض بأخذ حبوب تساعدها في ذلك وهذا من أساليب اليهود الذين كانوا يتحايلون على أوامر الله تعالى.

وهنا حق آخر لا يجب التهاون فيه من المرأة المسلمة، قال تعالى ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا ﴾ (البقرة: 228)،

فيحق للزوج أن يرجع زوجته خلال العدة، حين تكون الطلقة رجعية.

ولكن إذا انقضت العدة فلا يحق له أن يراجعها بدون عقد شرعي جديد مكتمل الشروط، من ولي وشهود ومهر وما يعرف من شروط العقد.

والله تعالى لا يظلم عنده أحد لذلك نجد القرآن يحذر من مغبة تجاوز حدود الله والإضرار بالمرأة، كمن يرجع زوجته بعد الطلاق ليضر بها ويؤذيها، فقال تعالى ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا ﴾ (البقرة: 228)، فالغاية هنا هي الإصلاح وليس الإضرار.

أما لمن تسأل عن حقوقها في الإسلام فيكفيها قول الله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 228)، فلها العشرة بالمعروف كما على زوجها، ويدخل فيها حقها في الإنفاق والمعاملة الحسنة والعدل، وحقه الطاعة وحسن التبعل له وخدمته وحفظ بيته وذريته وتربيتهم، وغيره مما توجبه العشرة بالمعروف.

قال رسول الله ﷺ : "ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن[1].

وهذا يوضح لنا مقام الزوج في الإسلام فلا يحق للزوجة إدخال من لا يعلم ولا يريد لبيته في غيابه. وهذا من الحقوق التي إهمالها يوجب الشحناء والبغضاء في الأسر كما هو حال كل معصية وتعدي لحدود الله ومخالفة لأمره ﷻ.

والزوج الكريم يحسن لزوجته ويكرمها بقدر استطاعته ولا يذلها ليعطيها حقها في النفقة.

ونرى تشديد الله تعالى في أمر الطلاق لما يترتب عليه من حقوق ومظالم وهو ما نراه في زماننا.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) ﴾ (البقرة: 231).

[1] حديث صحيح (رواه الترمذي: 1163، وقال الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب: 1930).

فلا يسمح الإسلام للرجل بإرجاع الزوجة خلال العدة فقط من أجل الإهانة والأذى، كما كان أهل الجاهلية يفعلون لإذلال المرأة والإضرار بها.

ويقول تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 232).

ورد في صحيح البخاري: أن معقل بن يسار كان له أخت طلقها زوجها، فأراد أن يراجعها الزوج فمنعها معقل، قال: لا، هذا أذلك، الزوج أذلك، طلقك، أبدًا ما أرجعك إليه البتة، فكان اسمها: جميلة، واسم زوجها: عاصم بن عدي، فأنزل الله هذه الآية، فكفر هذا الأخ عن يمينه و أنكحها إياه[1].

وكم من البيوت هدمت بسبب تعنت جاهلي.

قال تعالى ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ (البقرة: 229).

فقد حدد الله الطلاق بفرصتين والثالثة هي الأخيرة حتى لا يتلاعب الرجل بأمر الطلاق ويدرك أنه جد، وليس بهزل، فبعد الطلقة الثالثة لا رجعة له

[1] رواه البخاري: 5331 بمعناه

إليهـا إلا أن تـنكح زوجـا غيـره. وفـي هـذا تكـريم للمـرأة، لكـون المـرأة فـي الجاهلية كانت تحت رحمة الرجل يرجع وقت ما يريد.

وقـد أجـاز الله للمـرأة الخلـع أيضـا قـال تعـالى ﴿ إِلاَّ أَن يَخَافَـا أَلاَّ يُقِيمَـا حُـدُودَ اللّهِ فَـإِنْ خِفْـتُمْ أَلاَّ يُقِيمَـا حُـدُودَ اللّهِ فَـلاَ جُنَـاحَ عَلَيْهِمَـا فِيمَـا افْتَـدَتْ بِـهِ ﴾ (البقـرة: 229)، وهنـا يظهـر لنـا معنى جليـل لميثـاق الله الغلـيظ، فـإن خـاف الـزوج والزوجـة مـن أن لا يقيمـا حـدود الله ولا يسـتقيمان كمـا أمـر في هـذه العلاقة فيمكنهما أن يفترقا. فترد له مهره ويتفارقا على خير.

وفي هـذه الآيـة تربيـة جليلـة! ﴿فَـإِنْ خِفْـتُمْ أَلاَّ يُقِيمَـا حُـدُودَ اللّهِ ﴾(البقـرة: 229).

فـإن خشـيتما ألا تحسـنا الصحبة كمـا أمـر الله تعـالى، ولـم تحسـنا العشـرة بالمعروف، فلا جناح عليكما الافتراق.

وعـدة المختلعـة على الصحيح حيضـة واحـدة كمـا أمـر النبي ﷺ امـرأة ثابـت بن قيس أن تعتد بحيضة.

ولا يعني ذلـك أن تسـأل المـرأة زوجهـا الطـلاق بغيـر بـأس ولا عـذر شـرعي، للتحـذير الـذي جـاء في حـديث رسـول الله ﷺ:" أيمـا امـرأة سـألت زوجهـا الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة"[1].

لندرك أنه ميثاق غليظ! وامتحان صدق مهيب!

[1] رواه أبو داود: 2226، والترمذي: 1187، وابن ماجه: 2055، وأحمد:22379،

ومن رحمة الله بعباده فإنه إن أراد الزوجان تصحيح مسيرتهما فيسمح الله لهما ذلك في حال تزوجت الزوجة وطلقها زوجها، فقال تعالى ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ﴾ (البقرة: 230).

مع العلم أن التحايل في هذا الباب محرّم، فقد قال رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له، وأخبر أن المحلل كالتيس المستعار.

فهو يستأجر من يتزوج طليقته لمجرد يتزوجها ويدخل بها لكي يطلقها ليحللها لزوجها الأول، ويلخص ذلك قصة امرأة رفاعة القرظي إلى الرسول ﷺ فقالت: "إني كنت تحت رفاعة فطلقني فبت طلاقي" يعني: طلقني ثلاث مرات، صارت مبتوتة، "فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وما معه إلا مثل هدبة الثوب"، يعني: قالت: ما يصلح للوقاع، ما عنده ما يجامعني به، "فتبسم النبي ﷺ فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ إلى الزوج الأول، (لا)، لا يمكن حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك.[1]

يعني: حتى يحصل هذا، مجازعن قليل الجماع، لا بد أن يحصل الوقاع من الزوج الثاني، وإذا صار الطلاق بعد ذلك يجوز أن ترجع للأول.

قال تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ

[1] رواه البخاري: 5260، 5792، ومسلم: 1433.

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 233).

أي أن الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين، يعني: سنتين، لمن أرادت أن تتم الرضاعة. وهو أمر ليس بالإجباري، لكن إتمامه هو الأفضل.

﴿ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَه رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 233).

ومن يتأمل في حجم الجاهلية التي تتفشى في مسائل الحضانة وخلاف الأزواج والمظالم بينهم يتعجب كيف يصل الحال بمسلم ومسلمة لهذا الانحدار.

فليؤدّي كل طرف حق الآخر فأكبر ضحية هم الأطفال الذين يتنازعم الآباء والأمهات بدون تقوى.

ومن أحكام المرأة في القرآن عدة المتوفي عنها زوجها، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: 234).

إلا المرأة الحامل فإن عدتها إذا مات زوجها حتى وضع الحمل. فإذا انتهت العدة ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 234).

يقول الشيخ محمد صالح المنجد:"لا حرج إذا تزينت وتعرضت للخطاب، وإذا جاء الخاطب قابلته، ولا جناح عليها أن تنتقل من مسكنها الذي كانت معتدة فيه، ولا جناح عليها في التزين؛ لأن المرأة المحادة يجب عليها خلال فترة العدة أن تترك الزينة بأنواعها، وأن تمكث في البيت أربعة أشهروعشرًا ما تخرج إلا للضرورة، يعني: تترك الملابس المزينة، المزركشة والسهرات أو الحفلات والمناسبات، وتلبس ثيابًا عادية جدًا.

ومن البدع: لبس السواد، لا يجوز، حرام، إذا لبست السواد واعتقدت أنه هو الواجب، فإنها تكون قد ابتدعت في دين الله، لكن لو لبسته؛ لأن هذا عندها متيسرولم تجد غيره لا بأس، تلبس الأزرق، الأخضر، المهم أن لا يكون كحلي، أن لا يكون زينة في نفسه، ولا يكون مطرزًا مزركشًا مزخرفًا، وكذلك لا تضع طيبًا، اللهم إلا إذا اغتسلت من الحيض، فإنها يرخص لها في وضع الطيب عند الاغتسال من الحيض فقط، وغيرذلك لا تضع طيبًا، وكذلك الحلي تتجرد من القلائد والأقراط، والأسورة والخواتم، ما تضع زينة.

ومن العجيب: أن أحكام العدة في المجتمع دخل فيها بدع كثيرة، فبعض النساء يعتقدن أنها لا يجوز أن تسلم وتصافح امرأة متزوجة.

وبعض النساء تعتقد أنها لا يجوز أن تصافح الولد الصغير.

وبعض النساء المعتدات تعتقد أنه لا يجوز أن تنظر من الشباك، أو تعتقد أنه لا يجوز أن تتروش، أو تعتقد أنه لا يجوز أن تخرج إلى سطح البيت، أو إلى حديقة البيت داخل سور البيت.

وبعضهن تعتقد أنه لا يجوزلها أن تنظرإلى القمر.

وبعضهن تعتقد أنه لا يجوزلها أن تنظرإلى المرآة.

وبعضهن تعتقد أنها إذا انتهت من العدة لا بد أن تخرج مغمضة العينين إلى ساحل البحر، وتفتح عينها أمام البحر، وترجع وتصلي ركعتين في المسجد، إلى آخره من البدع والخرافات الشائعة وسط النساء في هذه الأيام.

والحقيقة أنني ما وجدت عددًا أكبر من البدع عند النساء من بدع الحداد.

ولذلك نقول: المرأة المحادة تمكث في البيت إلا للضرورة مثل: المستشفى، أو المحكمة، وتترك الزينة فقط.

تتكلم بالهاتف؟ نعم، تتروش متى ما شاءت؟ نعم، تنظر من الشباك؟ نعم، تنظرفي المرآة؟ نعم، تسلم على الولد الصغير؟ نعم، على المرأة المتزوجة؟ نعم، وهكذا من الأشياء.

ومن البدع التي تذكرتها الآن: أنهم يعتقدون أن الرجل إذا كان متزوجًا من زوجتين فإذا كانت واحدة حاملًا و أتت بولد تطلع من عدة هي وضرتها، تقول: الولد يطلع بقية الزوجات، وإذا جابت أنثى قالت: لا، البنت حبيبة أمها، يعني: ما تطلع إلا أمها وما تطلع الضرائر الأخريات.

هذا من الأشياء المضحكة الموجودة عند بعض النساء."

قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ،(النساء: 7).

وهذا غيض من فيض ومجرد انتقاء سريع من بحر علم ممتد، ولو تتبعناه لخرج بنا عن موضوع الكتاب، والشاهد من ذلك أن تقرير حق المرأة والتأكيد عليه ثابت في القرآن العظيم.

لقد اعتنى الإسلام بحفظ الحقوق المالية للمرأة في جميع الحالات، في الحالة الاعتيادية وهي الزواج وفي حالة الخلاف وفي حالة الضعف، وقدم القرآن هديًا عظيمًا في إدارة الخلافات في الحياة الزوجية. والكثير من الفقه والأدب والتقوى نتعلمها من هدي القرآن وأحكام المرأة في الإسلام وهو من أوجب العلم الذي يجب أن تتعلمه المسلمة مقدما على جميع العلوم الدنيوية التي تنشغل فيها المرأة في زماننا وهي تجهل العلم الفريضة.

ويعلم مما سبق أن الحقوق الشرعية للمرأة محفوظة في دين الله تعالى، ولو بسطنا ما في سورة النساء فقط من دون كل القرآن من أصول وفروع وفقه وأحكام على المرأة المسلمة معرفتها، لخرجنا بمجلدات لا يفي القلم بعدها، ولا العقل بحصرها، و إنما عرضنا ها هنا بعض الوقفات السريعة للفت الانتباه لعظيم العلم الذي ينتظر المسلمة والذي ترتقي به المؤمنة، والذي تنتصر به الموحدة!

و أنصح كل مسلمة، التوسع في ذلك والبحث عن كل الأحكام التي تخص المرأة في القرآن والسنة، وأن تتفقه في دينها ولا تكون جاهلة به، لتعبد ربها على نور من ربها، ولن تجد عدلا وحفظا للمرأة كما تجده في أحكام القرآن فهي تحفظ الحقوق لكل المسلمين وحقوق المرأة بشكل خاص، بما تتميز به الأحكام المنزلة من رب العالمين، فهي تعالج و اقع المرأة بما ينفعها وينصرها لا ما يتعاطف معها سذاجة وجهلا ثم يوردها المهالك.

والله ﷻ الحكيم الخبير يشرع لعباده ما فيه نفعهم وارتقاؤهم ونجاتهم، فالحمد لله على نعمة العبودية لله تعالى وحسن الاتباع وبركات ذلك كله.

الخاتمة

أيتها المسلمة انتهت رحلتنا في هذا الكتاب بعرض قصص النساء في آي القرآن، لتستنيري بهديها وتتأدبي بأدبها، وتستقيمي كما أمر الله ﷻ، قدوة لك أمّنا حواء عليها السلام، فكوني المسلمة الموحدة، التائبة إلى ربها المجتهدة، السكن لزوجها، التي تدرك أن عدوها اللدود هو الشيطان الرجيم وتدرك أن له خطوات استدراج، فلا تنطلي عليها دعوات العري ولا البخس لقيمة نفسها، قارة في بيتها عاملة لخيري دنياها وآخرتها، سلاحك في هذه الحياة التوبة والاستدراك، والترفع عن الكبر والجحود، تعلمين أن اتباع هدى الله هو المنجاة لحياة الخلود، فما الحياة الدنيا إلا متاع قليل إلى حين. فالصبر الصبر والعمل والعمل والحذر الحذر!

كوني المتّعظة من قصص نساء بني إسرائيل وترفعي بنفسك عن مقامات الاستعباد والاستخدام المهين للمرأة، وضعي نفسك في وسط تشرق فيه نفسك بالتوحيد والسنة والعمل الصالح والأثر المديد.

تعلمي من امرأة عمران الأدب مع الله ﷻ وتقديره حق قدره سبحانه وحسن الظن به تعالى، ثم ذلك الإخلاص في نذر ذريتها لله تعالى، ولخدمة دينه وإعلاء كلمته، والرضا بما قسمه الله ﷻ، تعلمي منها أن تربطي أهدافك في الحياة بمرضاة الله تعالى ونصرة دينه.

تعلمي من ابنتها مريم، الشكر، وحسن العبادة، والمرابطة على مصلّاك، وذكر الله تعالى، تعلمي منها الرضا بأمر الله والاستعانة به سبحانه،

والثبات في مو اقف الزلازل والمصادمة لأهل الباطل، والصدع بدين الله ﷻ وبالتوحيد، تعلمي منها كيف تكونين أمة لله تقية، عفيفة، وأمًّا بارة أبية!

تعلمي من امرأة زكريا التوحيد والدعاء، وحسن البرّ بزوجها، تعلمي منها حب الخير والصلاح والصبر والمسابقة بالخيرات والتضرع لله رهبًا ورغبًا، ومشاركة الزوج في أهدافه العظيمة ومساعيه الجليلة، وعلو الهمة في تربية الأبناء.

تعلمي من قصة المستضعفات في مكة أهمية الهجرة في سبيل الله تعالى والعيش في وسط تعبدين فيه الله تعالى حق عبادته، تعلمي كيف تصونين نفسك في وسط لا يصون المسلمة! تعلمي كيف تسدين الذرائع وتتحصني بالحجاب والإيمان والعمل الصالح. تعلمي الاحتساب والاستجابة لله ورسوله ﷺ، وأسباب استجلاب تأييد الله تعالى وتأييد المؤمنين. تعلمي أن تكوني قلعة من قلاع الإسلام في مسيرة هذه الأمة وجهادها.

و إياك أن تكوني كافرة جاحدة عاصية خائنة، كزوجة لوط! ولا أمًّا عاقة، كأم بنات لوط عليه السلام، فكل أمر من الله ورسوله ﷺ تسارعين في الاستجابة إليه بصدر منشرح وهمة شغوفة، وعزم لا يلين.

وكذلك تتعلمين من بنات لوط، لم يؤثر فساد أمهن في تقواهن واستقامتهن وإن دعتك أمك لمعصية الله فلك في بنات لوط الدرس والعبرة، لتعايشي بنفسك إن صدقت! كيف ينتهي ثبات المؤمنات الموحدات بنصر من الله عظيم.

واحذري أن تتصفي بصفات القبح التي حملتها امرأة نوح، فتصطفين مع باطل أو تبررين له أو تسخرين من زوجك أو تضمرين له الشر والظلم، فإن عاقبة الكفر والظلم وخيمة لا ينفع فيها الزواج من الصالحين.

وليكن لك في سارة زوج إبراهيم القدوة والمثل، الموحدة المؤمنة، التقية العفيفة، البارة بزوجها السكن له، الحافظة له في الغيب، المساندة له في الكرم والخير، التي لم تزل تفرح لنصر الله للمؤمنين وقهره لأعداء الدين، فاستوجبت البشرى، وتحقيق المنى. ولتتخلّقي بأخلاق أهل البيت.

واحذري من فتن الزمان، وتحصني منها فلا تكوني كامرأة العزيز، أطلقت العنان لشهواتها، فانتهى بها الأمر لفضيحة! وغضّي بصرك وسدّي الذرائع واحرصي على الإخلاص ليقيك الله مواطن الفتن ويثبّتك أمام رياحها، وأحسني واصبري، ورددي: اللهم اغنني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك، و إياك وصحبة دنيا دنية، أو رفقة تشغلك عن معالي الأمور، طهري مجلسك، و ابتعدي عن علائق السوء!

ولا تكوني كنساء المدينة يقضين وقتهن في الكيد والنميمة، وترفعي عن كل ما يهين كرامتك ويكسر همتك ويحرمك التوفيق والظفر.

وكوني الصابرة الموقنة عند الابتلاء والفقد كما كانت أم يوسف عليه السلام، صابرة محتسبة تسند أسرتها بحسن الظن بالله تعالى، شاكرة لأنعمه، أنجبت نبيًا عظيم الشأن مخلصًا وأوفت مقام نصرته وأخيه غيبًا، بصدق يقينها!

فلم تملك إلا الدعاء في كربها، ولكنها رأت بركات إعظام التوكل على ربها!

و إياك وعقوق الوالدين وعقوق الأبناء، فكلاهما جريمتان يحذر منهما القرآن، فلا تقطعي ما أمر الله به أن يوصل، واستقيمي كما أمر الله ﷻ ويوصف.

ولا عليك بالابتلاء، بضرة أو زوجة أخرى تنافسك في زوجك، فالتعدد حق مشروع والظلم فيه خط أحمر، فاتقي الله ما استطعت، قدوتك في ذلك هاجر، استجابت لأمر ربها بيقين مهيب، فكان أن جعل من بركات ثباتها، فضائل لا تعد ولا تحصى!

وحين تكون البيعة مع الله تعالى، فكل عسير يتيسر، وكل حرمان يعوض، ويكفيك معية الله تعالى وتأييده، وكلما كانت استجابتك لله أقوى، كانت منحه أشد كرمًا! ولا تخشى صابرة لربها مستقيمة على أمره، خسارة ولا بخسًا!

و إياك أن تكوني ممن يئد نفسه! كما كانت المرأة توأد في الجاهلية، ووأدها في زماننا انحرافها عن سبيل المؤمنين أو زواجها برجل غير صالح.

فتخيري لنفسك الزوج القوام، الذي يحب الله ورسوله – ﷺ- الذي يحفظ عليك دينك وآخرتك، و إياك وفتن الدنيا ورجل ديوث لا يصلي، أو رجل يرمي بك لمستنقعات الاختلاط ولا تتحرك فيه رجولة ولا كرامة يفرحه تبرجك!

اختاري من يأخذ بيدك إلى جنة الخلد تقيًا! ولا يكن شغلك الشاغل المهر، فقد شهد الله للمرأة المؤمنة بالإيمان، وما أدراك أن يشهد الله لأمته! وكان مهرها بعض السور من القرآن.

و إياك وصحبة الحمقاء أو دنو الهمة والأهداف والدعوات الحمقاء، فالحماقة أعيت من يداويها وهي بلا شك تتعزز في موطن سوء وصحبة مثبّطة، فاحفظي نفسك من كل ما يهينها ولا تنقضي غزلك، واجعلي منهجك "عبادة الوجل".

وكوني كأم الغلام الكافر، ينجيك صلاحك من الأقدار المؤلمة، يصرف عنك السوء، ويحفظك من الأذى. وكلما كنت لربك عابدة، كانت معيته لك حافظة! وتعويضه لك لا يعادله تعويض. فهذا رأس الأمر وسنامه، لا تفرطي فيه، ولولا رحمة الله بنا لهلكنا. و إياك وفتنة المال والأبناء.

وتخلقي بخلق أم موسى عليه السلام، وتجلّدي في مقامات الكرب والابتلاء، ولا تستلمي لطاغية، وليكن شفاء صدرك في الملمّات الصبر والصلاة والدعاء، والأخذ بالأسباب الممكنة، فما بعد الضيق إلا الفرج، ومن تحسن الاستجابة لله تعالى والثبات على أمره، فقد فازت بمعيته الجليلة و انتصرت.

وكوني كيّسة فطنة لا يؤتى الإسلام من قبلك، يقظة لمكائد الكائدين وأعداء الحق والدين، وتحري الكتمان والسرية والأمانة، والعمل على نصرة الحق، بعفتك وحيائك وتقواك ونباهة محببة فيك.

ولك في امرأة موسى مدرسة في الحياء والعفة ورجاحة العقل، والصبر والزهد، والتقوى ومحبة الزوج والبر به، وهذا مقام زوجة نبي نالت فضلا من الله عظيمًا.

فإن ابتليت بالزوج الطالح والعاصي والفاجروالكافر، فدونك آسية! قصتها ملحمة، وثباتها منقبة، قدمت نفسها وروحها في سبيل الله، لأجل بيت عند الله في الجنة، لم يقدرعلى إذلالها أطغى طاغوت في زمانه، فما ضرّها كفره وطغيانه حين ترسخ التوحيد في قلبها وجوراحها، واصطفت مع معسكر الحق، لا تبالي بزخرف الدنيا ونفوذ زوج طاغية! ومهما حرمت في هذه الحياة فإن الجنة هي المتاع الأوفى!

و إياك أن تلتفي لدعوات التثبيط والتخذيل وكسر الهمة، وتشبهي بعائشة أم المؤمنين الرائعة، وتعلمي منها الفطنة وحب العلم والتعلم، والنصح في الله، وعزة النفس وسموها وعفتها وحياءها وحفظها لما تحب، وبرها بزوجها، تعلمي منها كيف يكون شموخ المؤمنة، وكيف يكون نصر الله للمؤمنة!

و إياك ومناجزة الرجال والتآمرعليهم أوالاستعلاء بولاية عليهم كما كان حالة ملكة سبأ وتنازلي للحق كما هي تنازلت، واعرفي قدرك أمة لله تصون نفسها وتعرف ربها وتستقيم كما أمرها، فلا ملك يدوم ولا نفوذ، إلا رضى الرحمن والعمل الصالح، وتعلمي من سيرتها رجاحة العقل والتفكر والاستشارة والتراجع عن الخطأ والبحث عن سبيل الحق والإيمان والثبات عليه، ولا يغرينك كل زخرف الأرض ودعوات الاسترجال والبطر!

ولك في ابنتي صالح مدين مدرسة في الحياء والصدق والتقوى، من حيث التعامل في حال الاختلاط، ومن حيث تحري سلامة النفس والخُلُق، ومن

حيث بِرّ الوالدين ورجاحة العقل، وما ازدانت امرأة بهذه المناقب إلا كانت الملكة وتخلّد ذكرها في سجل الخالدات.

وكذلك كان حال زوجة أيوب عليه السلام، صابرة مصابرة، فتعلمي منها سمو الإيثار والوفاء، و إياك والتذمّر وكفران العشير وإن داربه الزمان، بل كوني الأصيلة كما كانت زوجة أيوب حصيفة، فاستحقت حب زوجها وغيرته عليها واستحقت مع ذلك رحمة الله بها وعطاءاته المضاعفة!

واجعلي كل ما تعيشينه من تفاصيل مرتبطة برضوان الله تعالى، كما فعلت المجادلة، و أنتِ و اثقة أن الله تعالى يسمع ويرى ويعلم كل شيء! فلست بحاجة لكثرة شكوى ولكن بحاجة للتقوى وتحري الاستقامة والصدق ولو كان مع أحب الناس إلى قلبك، فطاعة الله هي الموجبة للألفة واستمرار بركات الاجتماع في سبيل الله تعالى!

واحذري استدراج الشيطان من باب الغيرة التي توقعك في ظلم، فلم يسلم من ذلك حتى أمهات المؤمنين! وتحري دائما معالجتها مبكرًا، مستحضرة فضل الصبر على ألم الغيرة، وعاقبة الظلم وإن كان بسبب الغيرة! وتعلمي من عائشة وحفصة التوبة وسرعة الاستدراك ومن زينب العفو ومروءة الحرة!

وليكن في ذهنك حاضرًا خاتمة نساء الأخدود إن تعرضت لمساومة خبيثة على دينك، فهو أغلى ما تملكين وتأكدي أن في كل محطة ثبات، رفعة، وفي كل إقبال على الله، كرامة، بقدر صدقك وإخلاصك! والابتلاء سنة في حياة المؤمن والمؤمنة، فتزودي له بكل ما يقوي الإيمان في قلبك ويشتد له

حب الله ورسوله ﷺ، تزودي بالتقوى والعمل الصالح، واحذري كل فتنة، فإن الموت قريب ونوازل المسلمين لا تهدأ! ولا ينجو إلا مسلم موحد ومسلمة موحدة!

وعودي نفسك تأمل خواتيم الظالمين، مثل ما كان حال امرأة أبي لهب، وازجري النفس في كل لحظة انجرار لهوى النفس وهوى رفقة فاسدة! وكل ما يدعوك للظلم أو مناصرة ظالم أو باطل. فإنه سبيل الضلال المبين. ولا تتبعي أحدًا في ضلاله ولو كان زوجك، و إياك أن تحاولي إرضاء أحد ببخس دينك والانحراف عن سبيل المؤمنين.

وليكن لك في سير نساء النبي ﷺ و ابنته فاطمة خير القدوة والمثل، ويكفيك من ذلك كله أن تزداني بلقب أمة لله أبية، في كتيبة حفيدات أمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح، وتلك مرتبة دونها الموت! لا تحيدين عن مطلبها والثبات عليها.

ولا تبالي بكل اعتراض وسخرية، فما عند الله خير وما عند الله هو التأييد والنصر. وما دون ذلك فخذلان وهزيمة!

تتحطم جميع أرتال الشبهات والأهواء التي تبثّها النسوية وكل دعوة منحرفة دنيّة، مخالفة لهدي القرآن والسنة، عند سير نساء السلف و آثارهن الجليلة، فتشبثي بكتاب ربك وسنة وسيرة نبيك ﷺ، وسير أمهات المؤمنين وكل صالحة في تاريخ الأمة، ولا تلتفتي لدعوات محاربة أيًّا كانت دو افعها أو أمانيها.

أجدني هنا مضطرة للتوقف! ليس لكون الحديث قد انتهى ولكن لأنه يجب علي أن أقف عند حد، فقد حاولت أن أجمع أهم ما يجب أن تحيط به المؤمنة علمًا من كتاب ربها، في باب قصص النساء في القرآن العظيم، لأقدم لها الخلاصة المهمة في كل قصة ولأقربها أكثر لمعايشة معاني القرآن بو اقعها اليوم، وليتحول القرآن من مجرد مصحف يحط عليه الغبار في الزاوية، لمنهج علمي وعملي تقوم عليه حياتها، والهدف من كل ما ترين، هو توطيد العلاقة بكتاب الله ﷻ، ولا شك أنني لم أجمع كل العلم والخير الذي حوته الآيات في هذا المقام إلا النذر اليسير جدًا جدًا، فإنما هي فتوحات ينالها العبد والأمة بقدر ما يريد الله تعالى لهما وبقدر إخلاص وصدق كل منهما، وفي ذلك تتباين مراتب الاستيعاب والفتح، وهي تتعلق بحالة القلب وفضل الله العظيم، فاسألي الله من فضله العظيم.

كذلك أشدد على أن الكثير من الأثر والفهم والقوة تنبعث في قلبك كلما رابطت على كتاب الله تعالى، وهو ما لا يقدمه تأليف ولا كتاب، إنما تقدمه لك همتك الصادقة في طلب المعالي، فلا يُحسن المؤلف ولا الكاتب التعبير عن كل ما يعيشه أو يحسه أو يروم إليه أو يراه، ولكنك أنت فقط من يمكنها أن تعايش كل هدي وعظمة حملتها آيات القرآن الكريم، فلا تبخلي على نفسك المواصلة على أوراده، وتدارسه فلا تنسيه!

وحيا الله التواصي بمواصلة العناية بكل ما يطرحه القرآن من هدي عظيم، حتى ترجع المرأة المسلمة إلى قلعتها وحصنها الحصين، مؤمنة مسلمة محسنة موحدة! ترجو رحمة ربها وبيتًا عنده في الجنة، قد عقدت البيعة لجنة عرضها كعرض السماوات والأرض لا تسمح لأي مخلوق أو

عقبة أن تحول بينها وبين هدفها الأسمى! أينما سدت ثغرًا أبلت البلاء الحسن، بيعتها لله وحده لا شريك له، فهانت تكاليف الارتقاء في عينها.

يا أمة الله أخلصي حياتك لله وحده لا شريك له، واجعلي جميع اختياراتك وقراراتك وتفاصيل حياتك تتعلق بمرضاة الله ﷻ، فإن كانت تقربك من الله فشدّي عليها وإن كانت تبعدك، فبعدًا بعدًا! وبمثل هذا الفهم تتضح لك السبيل وتنعمين بهدي الآية الجليلة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

أرجو أن أرى في الأيام المقبلة، المزيد من البذل في تبيان معاني القرآن في واقعنا الذي نعيشه، والمزيد من التأملات والتدبر لقصصه الجليلة ووصاياه المهيبة، بما يقدم علمًا وعملا به في حياتنا، لتشرق الروح ويشتد العزم وتحلو المسيرة!

وفي الختام، لا أخفيك أني اختصرت الكثير ولم أوف الطرح حقه الأوفى، وإنما هو جهد المقل، نسأل الله العفو والمغفرة، لكنني أشدد على أن أهم درس نخرج به من رحلتنا مع "النساء في آي القرآن" هو غرس مفهوم العزة بالإسلام في النساء وعزة المرأة المسلمة بدينها!

فكلما اشتد إيمان المرأة رفعها الله تعالى، وكلما نقص ذلّت، وذلّت لأرذل الناس!

والإيمان يوجب التسليم، والاعتزاز، يوجب الاستقامة، فالمرأة المسلمة فخورة بتحكيم شريعة ربها، عزيزة بالرضوخ لأحكامها، ودليل ذلك التزامها بالإسلام ودعوتها للإسلام، وتلك هي القدوة المباركة.

لقد وصلنا للنهاية، فما كان من توفيق وإصابة فمن الله وحده ﷻ، وما كان من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، نسأل الله سبحانه المغفرة وسداد القول والعمل.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشيدًا، تعز فيه وليّك، وتذلّ فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، وتنهي عن معصيتك.

اللهم آمين وصلّ اللهم على سيد الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.